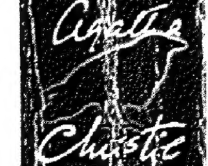
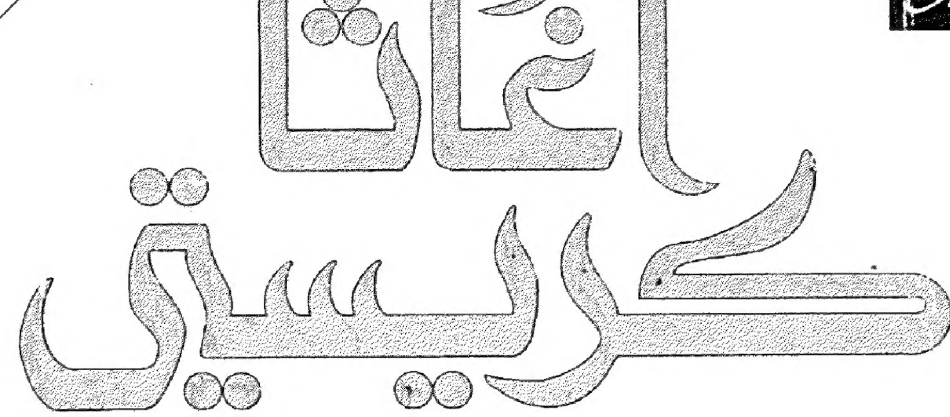


النص الكامل

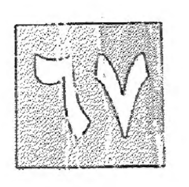
الطبعة القانونية الأولى والوحيدة باللغة العربية



الفَتَاة الثّالِثَة







الفَتَاة الثّالِثَة

هذه هي الترجمة القانونية الوحيدة لهذا الكتاب
وهي تضم النص الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٦٦ بعنوان

Third Girl

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: agatha@al-ajyal.com

الطبعة الثالثة

٢٠٠٤

أغاثا كريستي

الفَتَاة الثّالِثَة

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٦٦

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

تنفيذ الغلاف: سارية مجاهد ديرانية



بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

جلس هيركيول بوارو إلى مائدة الإفطار وإلى يمينه كوب من الشُكلاتة الساخنة التي كان يهوى دائماً شربها، وبجانب الكوب قطعة من البسكويت المُحلّى اللذيذ. أومأ برأسه مستحسناً؛ فقد شبع طعاماً وهدأت معدته، كما هدأ عقله واستراح، بل ربما هدأ واستراح أكثر قليلاً من اللازم.

كان قد أنهى «إلياذته الكبرى»، وهي تحليل للعظماء من كتّاب الروايات البوليسية. وكان قد تجرأ على تجريح إدغار ألان بو، ورفع بمديحه إلى عنان السماء كاتبين أمريكيين مغمورين، وقام بطرق مختلفة أخرى بإغداق المديح حيث يستحق المديح، وبحجبه بإصرار حيث لم يرَ له مبرراً. وكان قد أشرف على طبع الكتاب في المطبعة، ثم نظر إلى النتائج وقال إنها جيدة باستثناء ذلك العدد الكبير من الأخطاء المطبعية. كان قد استمتع بإنجازه الأدبي وبذلك القدر الكبير من القراءة التي اضطره إليها، بل واستمتع أيضاً بصيحة الاشمئزاز التي أطلقها وهو يرمي بأحد الكتب على الأرض (رغم حرصه دوماً على النهوض لأخذه ورميه بترتيب في سلة المهملات)، كما استمتع بإيماءات الاستحسان التي بدرت منه في الحالات النادرة

التي كان الاستحسان فيها مُبرراً.

والآن؟ لقد قضى فترة راحة واسترخاء سعيدة كانت ضرورية جداً بعد هذا الجهد الذهني، ولكن المرء لا يستطيع الاسترخاء إلى الأبد، ولا بد له من الانتقال للخطوة التالية. ولكنه لم يكن يعرف -لسوء الحظ- ما عسى تلك الخطوة التالية تكون. هل تكون إنجازاً أدبياً آخر؟ لم يُحبذ ذلك؛ فقد كان شعاره أن يُنجز شيئاً جيداً ثم يتركه وشأنه. كانت حقيقة الأمر هي أنه كان سئماً، فقد كان ذلك النشاط الذهني المحموم الذي بذله كبيراً، وهو قد أورثه عادات سيئة وجعله قلقاً دائم التململ...

أمر يثير الغيظ! هزّ رأسه وأخذ رشفة أخرى من كوب الشُكلاتة. بعد ذلك فُتح الباب ودخل خادمه الماهر جورج. كان سلوكه يتسم بالاحترام، وبقليل من الاعتذار. تنحنح ثم تمتم قائلاً: "توجد..."، ثم توقف قليلاً وعاد ليقول: سيدة شابة جاءت زائرة.

نظر إليه بوارو بدهشة وبقليل من الامتعاض، ثم قال مؤنباً: إنني لا أستقبل أحداً في مثل هذه الساعة.

وافقه جورج قائلاً: نعم يا سيدي.

تبادل الخادم وسيده النظرات. كان التفاهم بينهما أحياناً محفوفاً بالمصاعب، وكان من شأن جورج أن يوحي -عن طريق تغيير اللهجة أو الإيحاء أو اختيار كلمات معينة- بوجود شيء يمكن استنتاجه إذا ما طُرح السؤال الصحيح. فكر بوارو في جوابه، وتذكر توقف جورج القصير قبل قوله عبارة «سيدة شابة». كان جورج دقيقاً مرهفاً فيما

يخص المكانة الاجتماعية. وهو لم يكن واثقاً من المنزلة الاجتماعية للزائرة، ولكنه أبقى الباب مفتوحاً ومنحها بذلك ميِّزة حسن النية.

- وهل ترى أنها سيدة شابة وليست -مثلاً- مجرد شابة؟

- أظن ذلك يا سيدي، رغم أنه ليس من السهل دوماً الجزم بذلك في أيامنا هذه.

كان جورج يتكلم بأسف حقيقي.

- هل أعطت سبباً لرغبتها برؤيتي؟

قال جورج وهو ينطق الكلمات ببعض التردد وكأنه يعتذر سلفاً: قالت... إنها تريد استشارتك بشأن جريمة قتل قد تكون ارتكبتها.

حدق بوارو وقد ارتفع حاجباه وقال: **قد تكون** ارتكبتها؟!

- هذا ما قالته يا سيدي.

- هذا غير مقنع، ولكنه قد يكون مثيراً.

قال جورج بارتياب: ربما... ربما كانت تلك مزحة يا سيدي.

- أحسب أن كل شيء ممكن، ولكن المرء لا يكاد يظن...

ثم رفع كوبه وقال: أدخلها بعد خمس دقائق.

قال جورج: "نعم يا سيدي"، ثم انسحب.

أنهى بوارو آخر رشفة من كوبه، ثم نحّاه جانباً ونهض واقفاً. ذهب باتجاه الموقد وعدّل شاربيه بحرص أمام المرآة الموضوعة

فوق إطاره، وبعد أن اقتنع بمظهره عاد إلى كرسيه وانتظر وصول زائرته، دون أن يعرف -بالضبط- ماذا عساه يتوقع.

لعله قد أمل أن تكون الفتاة أقرب إلى الجمال بمقاييسه هو للجمال، ولكن خاب أمله حين عاد جورج برفقة الزائرة، وفي دخيلة نفسه هزّ رأسه وتنهد. لم يكن من جمال هنا، بل كانت الحيرة أصدق وصفاً لواقع حال الفتاة.

فكر بوارو باشمئزاز: يا لهؤلاء الفتيات! ماذا يمنعهن من تحسين أنفسهن؟ فببعض الملابس الأنيقة وقليلٍ من تصفيف الشعر كان يمكن لهذه الفتاة أن تحظى بشيء من القبول. أما الآن...

كانت زائرته فتاة في نحو العشرين من عمرها، وقد انتشر على كتفيها شعر طويل سائب يصعب تحديد لونه. أما عيناها الواسعتان فقد كان فيهما تعبير زائغ يخلو من الاهتمام. وكانت ملابسها مما يُفترض أنه الملابس المُختارة لبنات جيلها: حذاء من الجلد، وجوارب صوفية بيضاء غير محكمة النسج يُشك في نظافتها، وتنورة فوقها سترة طويلة من الصوف الثقيل لا تناسب قياسها. وكان من شأن أي امرئ بعمر بوارو أو من أبناء جيله أن يتمنى شيئاً واحداً؛ وهو إلقاء الفتاة في مغطس حمام بأسرع ما يمكن! لطالما خطرت هذه الفكرة لبوارو وهو يمشي في الشوارع حيث كانت مئات الفتيات ممن لهن نفس المظهر. ومع ذلك، ورغم المفارقة، فقد بدت هذه الفتاة وكأنها غطست مؤخراً في نهر وانتُشلت منه. وفكر بوارو بأن مثل هؤلاء الفتيات ربما لا يكُنّ قذرات حقاً، بل كل ما في الأمر أنهن يبذلن عناية وجهداً هائلين لكي يظهرن بهذا المظهر.

نهض بأدبه المعتاد لاستقبالها وسحب لها كرسياً وهو يقول: لقد طلبتِ رؤيتي يا آنسة؟ اجلسي أرجوك.

قالت الفتاة بصوت لاهث بعض الشيء: آهْ.

ثم حدقت إليه، فقال: حسناً؟

ترددت قليلاً ثم قالت: أحسب أن... من الأفضل أن أقف.

مضت العينان الواسعتان تحدقان إليه بارتياب، فقال: "كما تحبين". ثم عاد فجلس على كرسيه ونظر إليها، وانتظر.

جرّت الفتاة قدميها، ثم نظرت إليهما، ثم رفعت بصرها لتنظر ثانية إلى بوارو وقالت: أنت... أنت هيركيول بوارو؟

- بالتأكيد. هل من خدمة أستطيع تقديمها لك؟

- آه، الأمر صعب بعض الشيء. أعني...

شعر بوارو أنها ربما كانت بحاجة لشيء من المساعدة فقال: لقد أخبرني خادمي أنك أردتِ استشارتي لأنك تظنين أنك ربما ارتكبت جريمة قتل. أهذا صحيح؟

أومأت الفتاة برأسها وقالت: صحيح.

- ولكن من المؤكد أن هذه قضية لا تحتمل الشكوك؛ فلا بد أن تعرفي ما إذا كنتِ قد ارتكبتِ جريمة قتل أم لا.

- لا أعرف تماماً كيف أعبر عن الأمر. أعني...

قال بوارو بلطف: هيا اجلسي وأخبريني كل شيء عن الأمر.

- لا أظن... آه، يا إلهي! لا أدري كيف... الأمر صعب جداً. لقد... لقد غيّرتُ رأيي. لا أريد أن أكون وقحة ولكن... أظن أن من الأفضل أن أذهب.

- هيا، تشجعي.

- كلا، لا أستطيع. لقد ظننتُ أن بوسعي أن آتي و... وأسألك، أسألك عما يجب عليّ فعله... ولكني لا أستطيع. فالأمر مختلف كثيراً عن...

- عن ماذا؟

- أنا آسفة جداً ولا أريد حقاً أن أكون وقحة، ولكن...

تنهدت بعمق ونظرت إلى بوارو، ثم أشاحت بنظرها عنه، وفجأة صاحت قائلة: **أنت كبير جداً في السن**. لم يخبرني أحد بأنك كبير إلى هذا الحد. أنا لا أريد أن أكون وقحة ولكن... هذا هو الواقع. **أنت مُسن جداً**. إنني حقاً آسفة جداً.

ثم استدارت فجأة واندفعت خارج الغرفة أشبه ببعوضة يائسة قرب ضوء مصباح.

سمع بوارو -وهو فاغرٌ فمه- صوت انغلاق الباب الأمامي بشدة. وبقي بوارو ذاهلاً.

* * *

الفصل الثاني

رن جرس الهاتف، ولكن هيركيول بوارو لم يبدُ واعياً لذلك.

رن بصوتٍ عال وإصرار. ودخل جورج الغرفة ومشى نحوه ملتفتاً إلى بوارو متسائلاً. أشار بوارو بيده وقال: اتركه.

أطاع جورج وترك الغرفة ثانية، واستمر جرس الهاتف بالرنين، واستمر الصوت العالي المزعج، وفجأة توقف. ولكنه عاد بعد دقيقة أو نحوها ليرن من جديد.

- يا إلهي! لا بد أن هذه امرأة... لا شك أنها امرأة.

تنهد ونهض واقفاً ثم مضى إلى الهاتف فرفع السماعة وقال: نعم؟

- هل أنت... أهذا السيد بوارو؟

- نعم، أنا بنفسي.

- أنا السيدة أوليفر... لقد بدا صوتك مختلفاً فلم أميِّزه.

- صباح الخير يا سيدتي... أأنت بخير كما أرجو؟

- آه، أنا بخير.

جاء صوت أريادني أوليفر من خلال الهاتف بنبراته المبتهجة المعتادة. كان بين بوارو وبين هذه الكاتبة الشهيرة للقصص البوليسية علاقات صداقة. قالت: لقد اتصلتُ بك في وقت مبكر بعض الشيء، ولكني أردتُ أن أطلب منك معروفاً.

- نعم؟

- إنه حفل العشاء السنوي الذي يقيمه نادي كُتّاب القصة البوليسية، وكنتُ أتساءل إن كان بوسعك أن تأتي لتكون الضيف المتحدث هذا العام. سيكون ذلك لطفاً بالغاً منك.

- ومتى سيُقام هذا الحفل؟

- في الثالث والعشرين من الشهر القادم.

خرجت من بوارو زفرة عميقة وقال: لقد كبرتُ كثيراً مع الأسف!

- كبرتَ كثيراً؟ ما الذي تعنيه بالله عليك؟ أنت لست كبيراً أبداً.

- أتظنين ذلك؟

- طبعاً أظن ذلك. ستكون رائعاً؛ يمكنك أن تروي لنا الكثير من القصص الرائعة عن جرائم حقيقية.

- ومَنْذا يريد الاستماع؟

- الجميع. إنهم... سيد بوارو، أيوجد خطب ما؟ هل حدث

شيء؟ تبدو منزعجاً.

- نعم، أنا منزعج بالفعل. مشاعري... ولكن لا يهم.

- ولكن أخبرني عن الأمر.

- ولماذا أثير ضجة؟

- ولماذا لا تثير ضجة؟ من الأفضل أن تأتي وتخبرني كل شيء عن الموضوع. متى ستأتي؟ عصر اليوم. تعال واشرب الشاي معي.

- أنا لا أشرب شاي العصر هذا.

- يمكنك شرب القهوة إذن.

- ليس هذا بالوقت الذي أشرب فيه القهوة عادة.

- الشُكلاتة إذن؟ وفوقها الكريمة المخفوقة؟ أم الزهورات؟ أنت تحب احتساء الزهورات. أم عصير الليمون، أو البرتقال؟ أم تفضل القهوة منزوعة الكافِئين إن استطعتُ الحصول عليها...

- أما هذه فلا! إنها كريهة.

- سأقدم لك أحد المشروبات التي تحبها كثيراً. لديّ نصف زجاجة ريبينا في الثلاجة.

- وما هي الريبينا؟

- شراب العلّيق البري.

- على المرء أن يعترف لك بالفضل! إنك تبذلين حقاً كل جهودك يا سيدتي. لقد أثّرَ فيّ اهتمامك؛ ويسعدني أن أقبل شرب

كوب من الشُكلاتة عندك عصر اليوم.

قالت السيدة أوليفر: "جيد، وعندها ستخبرني بكل شيء عما يزعجك"، ثم أغلقت السماعة.

* * *

فكر بوارو لحظة، ثم أدار رقماً على الهاتف، وبعد لحظة قال: السيد غوبي؟ هيركيول بوارو يتكلم. هل أنت مشغول كثيراً في الوقت الحاضر؟

أجابه صوت السيد غوبي: نوعاً ما... مشغول بعض الشيء، ولكن يمكن أن أتفضل عليك يا سيد بوارو إن كنت في عجلة من أمرك كما هي عادتك... فلا أقول إن الشباب عندي لا يستطيعون تدبر ما هو موجود حالياً من عمل. إن الحصول على شباب جيدين لم يعد سهلاً كما كان من قبل؛ فهم معجبون كثيراً بأنفسهم في هذه الأيام. يظنون أنهم يعرفون الصنعة كلها قبل أن يبدؤوا في تعلمها. ولكن لا حيلة في ذلك! لا يمكن للمرء أن يتوقع عقول العجائز في أجسام الشباب. سيسرني أن أضع نفسي تحت تصرفك يا سيد بوارو، وربما استطعتُ تكليف شابين جيدين بالعمل. أحسب الأمر كالعادة... جمع معلومات؟

ثم أخذ يومئ برأسه ويصغي وبوارو يشرح له بالتفصيل ما يريد منه من عمل. وعندما انتهى من السيد غوبي، اتصل بوارو بشرطة سكوتلانديارد حيث تم إيصاله أخيراً بصديق له هناك.

وبعد أن أصغى ذلك الصديق بدوره لما يطلبه بوارو أجابه:

إنك متواضع فيما تطلبه، أليس كذلك؟ أنت تطلب معلومات عن أي جريمة قتل، وفي أي مكان! لا تعرف الزمان ولا المكان ولا الضحية. يبدو لي هذا أشبه بمطاردة السراب أيها العجوز!

* * *

في الساعة الرابعة والربع كان بوارو يجلس في غرفة جلوس السيدة أوليفر يحتسي -بإعجاب- الكوب الضخم من الشُكلاتة التي تعلوها الكريمة المخفوقة والذي كانت مضيفته قد وضعته لتوها على طاولة صغيرة بجانبه، وقد وضعت بجانبه طبقاً من البسكويت.

- يا لهذا اللطف يا سيدتي العزيزة!

نظر من فوق كوبه بقليل من الدهشة إلى تسريحة السيدة أوليفر، وإلى ورق الجدران الجديد في بيتها. كان كلاهما جديداً بالنسبة له؛ ففي آخر مرة رأى فيها السيدة أوليفر كانت تسريحة شعرها عادية بسيطة، أما الآن فكانت تسريحتها تُظهر الكثير من الغنى بتلك الخصلات الدائرية المرتبة في أشكال معقدة فوق رأسها كله. وقد ارتاب بأن هذا الترف الغني مُصطنع إلى حدٍ بعيد. وفكر في نفسه كم من خصلات الشعر هذه يمكن أن تسقط إذا ما انفعلت السيدة أوليفر فجأة كما هي عادتها. أما بالنسبة لورق الجدران...

قال وهو يشير إلى الجدار بملعقة الكوب: هذه الكرزات... أهي جديدة؟

شعر وكأنه جالس وسط أيكة من الكرز.

- هل ترى أن الكرز كثير فيها؟ من الصعب الجزم بجمالية ورق

الجدران مُسبقاً. أتظن أن الورق القديم كان أفضل؟

عاد بوارو بذاكرته إلى الوراء ليتذكر -بشكل باهت- ما بدا له أنه منظر لعدد هائل من الطيور الاستوائية ذات الألوان الزاهية. شعر بميل إلى التعليق قائلاً: "كثُر التغيير دون أن يتغير شيء"، ولكنه كبح نفسه. وعندما أعاد الكوب إلى صحنه واتكأ إلى الخلف بشيء من الرضا وهو يمسح بقايا الكريمة المخفوقة عن شاربيه قالت السيدة أوليفر: والآن، ما قصة هذا الأمر كله؟

- يمكنني إخبارك بذلك ببساطة. فقد جاءت صباح اليوم فتاة لرؤيتي، وقد اقترحتُ تحديد موعد لها (فلدى المرء مشاغل حياته المعتادة كما تعلمين) ولكنها أرسلت تقول إنها تريد رؤيتي على الفور لأنها تظن أنها ربما كانت قد ارتكبت جريمة قتل.

- يا له من قول غريب! ألم تكن تعرف؟

- بالضبط، هذا هو السؤال! ولذلك قلتُ لجورج أن يُدخلها، فجاءت ووقفت هناك. رفضت الجلوس... اكتفت بالوقوف هناك تحدق إليّ، وبدت وكأنها بنصف عقل تماماً. حاولتُ تشجيعها، ولكنها قالت فجأة إنها قد غيرت رأيها. قالت إنها لا تريد أن تكون وقحة ولكنني... ماذا تظنين؟... ولكنني كبير جداً بالسن...

سارعت السيدة أوليفر إلى قول كلمات مهدئة: آه، إن الفتيات هكذا... يعتبرن كل من تجاوز الخامسة والثلاثين نصف ميت. ليس للفتيات عقل، ينبغي أن تدرك ذلك.

- لقد جرح هذا القول مشاعري.

- هيا، ما كنت لأقلق من ذلك لو كنتُ مكانك. كان قولها هذا وقحاً جداً بالطبع.

- هذا لا يهم، والأمر لا يتعلق فقط بمشاعري أنا. إنني قلق. نعم، إنني قلق.

نصحته السيدة أوليفر بالارتياح قائلة: لو كنتُ مكانك لنسيت الموضوع كله.

- أنت لا تفهمينني... إنني قلق بشأن هذه الفتاة. لقد جاءت إليّ تطلب المساعدة، ثم قررت أنني كبير جداً. كبير جداً بحيث لا يمكن أن أكون ذا فائدة لها. كانت مخطئة بالطبع (وهذا من نافلة القول...)، ثم اكتفت بعد ذلك بالهروب. ولكنني أقول لك إن تلك الفتاة **بحاجة للمساعدة**.

قالت السيدة أوليفر تهدئه: لا أحسب أنها بحاجة فعلاً. إن الفتيات يجعلن من الحبة قبة.

- كلا، أنت مخطئة. **إنها بحاجة للمساعدة**.

لا أحسبك ترى فعلاً أنها ارتكبت جريمة قتل؟

- ولم لا؟ لقد قالت إنها ارتكبتها.

- نعم، ولكن...

توقفت السيدة أوليفر قليلاً ثم قالت ببطء: لقد قالت إنها ربما ارتكبتها. ولكن ماذا عساها تعني بذلك؟

- بالضبط. فلا معنى لذلك.

- من الذي قتلته، أو تظن أنها قتلته؟

رفع بوارو كتفيه حيرة. فقالت السيدة أوليفر: ولماذا قتلت من قتلته؟

رفع بوارو كتفيه مرة أخرى، فقالت السيدة أوليفر وقد بدأت تُبدع بعد أن أطلقت العنان لخيالها الخصب: ربما كانت الاحتمالات كلها واردة بالطبع. ربما كانت قد دعست بسيارتها شخصاً ولم تتوقف لإسعافه... وربما هاجمها رجل على شفا منحدر صخري فقاومته وتمكنت من إلقائه إلى الأسفل... وربما أخطأت فأعطت أحدهم دواء غير دوائه... وربما ذهبت إلى واحدة من تلك الحفلات التي يتعاطون فيها المخدرات فتشاجرت مع أحدهم، وربما صحت من غيبوبتها فوجدت أنها طعنت أحدهم. ربما...

- يكفي يا سيدتي... يكفي!

ولكن السيدة أوليفر كانت قد مضت بعيداً، فتابعت تقول: وربما كانت ممرضة في غرفة عمليات وأعطت للمريض مُخدراً غير المخدر المطلوب أو...

توقفت فجأة، وقد انتابتها لهفة مفاجئة لمعرفة تفصيلات أوضح، فقالت: كيف كان شكلها؟

فكر بوارو للحظة ثم قال: إنها كشخصية أوفيليا (إذا ما تغاضينا عن التشابه بالمظهر).

- آه، يا إلهي! أكاد أراها أمامي إذ تصفُها بمثل هذا الوصف. ما أغرب ذلك!

- إنها ليست قديرة... هكذا رأيتها. ليست ممن يستطيعون التكيف مع المصاعب. ليست ممن يرون مسبقاً المخاطر التي يجب أن تأتي. إنها واحدة ممن يقول الناس عنهم وهم ينظرون حولهم: "إننا بحاجة إلى كبش فداء، وهذه تصلح لذلك".

ولكن السيدة أوليفر لم تكن تصغي الآن. كانت تمسك بخصلات شعرها بكلتا يديها في إشارة مألوفة لدى بوارو. صاحت بشيء من الألم: انتظر، انتظر!

انتظر بوارو وقد رفع حاجبيه.

- أنت لم تقل لي ما هو اسمها.

- لم تعطِني اسمها، وهو أمر مؤسف... أتفق معك في ذلك.

صاحت ثانية بنفس الألم: انتظر!

أرخت قبضتها عن شعرها وأطلقت زفرة عميقة. حرر شعرُها نفسه من أربطته وانسدل على كتفيها، فيما انفصلت خصلة ضخمة من الشعر كلياً وسقطت على الأرض. أخذها بوارو ووضعها على الطاولة دون أي تعليق.

قالت السيدة أوليفر وقد عاد إليها الهدوء فجأة وغرست في شعرها بعض الدبابيس وأومأت برأسها وهي تفكر: حسناً إذن، من الذي دلّ هذه الفتاة عليك يا سيد بوارو؟

- لا أحد حسب علمي. من الطبيعي أنها سمعت عني دون شك.

فكرت السيدة أوليفر بأن عبارة «من الطبيعي» هذه ليست العبارة الصحيحة أبداً. كان الطبيعي أن بوارو نفسه كان متأكداً من أن الجميع قد سمعوا به دوماً، ولكن من شأن عدد كبير من الناس (في الواقع) أن يحدقوا إليك دون فهم إذا ما ذكرت لهم اسم هيركيول بوارو، وخاصة جيل الشباب منهم. وقالت لنفسها: "ولكن كيف لي أن أقول ذلك له بشكل لا يجرح مشاعره؟".

- أعتقد أنك مخطئ؛ فالفتيات والشباب الصغار لا يعرفون الكثير عن رجال التحري. إنهم لا يسمعون بهذه الأشياء.

قال بوارو متفاخراً: لا بد أن الجميع قد سمعوا بهيركيول بوارو.

كانت تلك مسألة إيمان بالنسبة لبوارو.

- ولكن الجميع قليلو الثقافة في أيامنا هذه. والواقع أن الأشخاص الوحيدين الذي يعرف الشباب أسماءهم هم المغنون وأعضاء الفرق الموسيقية ومقدمو البرامج الغنائية... وأمثالهم. وإذا ما احتجتَ إلى شخص متخصص متفرد، وأعني بذلك طبيباً أو رجل تحرٍّ أو طبيب أسنان... فعندها لا بد أن تسأل أحداً... أن تسأل عن أفضل شخص يمكن أن تلجأ إليه. وعندها سيقول لك من تسألُه: "يا عزيزي، يجب أن تذهب إلى ذلك الرجل الممتاز جداً في شارع كوينز آن، فما أن يجري لك بعض الحركات في جسمك حتى تشفى". أو: "لقد سُرقت كل جواهري، وكان من شأن هنري أن يستشيط غضباً، ولذلك لم يكن بوسعي اللجوء إلى الشرطة، ولكن

يوجد رجل تحرٍّ رائع بالفعل، وهو كتوم جداً، وقد أعادها لي دون أن يعرف هنري شيئاً عن الموضوع"... هكذا يحدث الأمر دائماً. لقد أرسل أحدهم تلك الفتاة إليك.

- أشك كثيراً بذلك.

- ليس ممكناً معرفة ذلك حتى يُخبرك أحد به. وسيخبرك به أحدهم الآن. لقد خطر الأمر لي تواً: أنا التي أرسلتُ تلك الفتاة إليك.

نظر بوارو إليها وقال: أنت؟ ولكن لماذا لم تقولي ذلك فوراً؟

- لأن الأمر لم يخطر ببالي إلاّ قبل قليل فقط... عندما ذكرتَ أوفيليا؛ ذات شعر طويل يبدو مبلولاً، وهي دميمة بعض الشيء. لقد بدا ذلك وصفاً لفتاة رأيتها عملياً من قبل... قبل فترة وجيزة تماماً، ثم تذكرت من تكون.

- ومن هي؟

- أنا لا أعرف اسمها عملياً، ولكنني أستطيع معرفة ذلك بسهولة. كنا نتحدث عن رجال التحري والمخبرين الخاصين... وتحدثتُ أنا عنك وعن بعض الأمور المدهشة التي فعلتَها.

- وأنت أعطيتِها عنواني؟

- لا، لم أعطها عنوانك بالطبع؛ فلم أكن أعرف أنها تريد رجل تحرٍّ أو شيئاً من ذلك. ظننتُ أنه مجرد حديث. ولكنني ذكرت اسمك مرات عديدة، وسيكون من السهل طبعاً أن تعثر الفتاة على اسمك في دليل الهاتف وتأتي إليك.

- هل كنتما تتحدثان عن جرائم القتل؟

- لا أذكر ذلك تحديداً. بل إنني لا أعرف كيف دخلنا في موضوع رجال التحري. إلاّ إذا، نعم، ربما كانت هي التي بدأت طرح الموضوع...

- أخبريني إذن، أخبريني بكل ما تستطيعينه... حتى إن كنتِ لا تعرفين اسمها، أخبريني بكل ما تعرفينه عنها.

- حسناً، لقد كان ذلك في عطلة نهاية الأسبوع الماضي. كنت في ضيافة عائلة لوريمر. ولا علاقة لهم بالأمر، باستثناء أنهم أخذوني إلى بعض أصدقائهم لقضاء أمسية. وقد كان هناك العديد من الأشخاص، وبدأ الحضور يقولون أشياء لي كما تعلم: عن مدى حبهم لكتبي وقصصي ومدى تشوقهم للقائي... وهذا كله يجعلني أشعر بالحرج الشديد والضيق، ويُشعرني بأنني سخيفة بعض الشيء. ولكنني تمكنتُ من التكيف بشكل أو بآخر. وقد أعربوا عن مدى حبهم لرجل التحري الفظيع في قصصي، واسمه سفين جيرسون. (وليتهم يعلمون كم أكرهه أنا! ولكن ناشر كتبي يوصيني دوماً بعدم قول ذلك). على كل حال، أظن أن الحديث عن رجال التحري في الحياة الواقعية قد نشأ عن هذا الموضوع، وتحدثتُ قليلاً عنك، وكانت هذه الفتاة واقفة قربنا تصغي. وعندما قلتَ إنها أشبه بأوفيليا نشطت ذاكرتي وفكرتُ: "بمن يذكرني هذا الوصف؟". ثم تذكرت وقلتُ لنفسي: "بالطبع. إنها الفتاة التي رأيتها في الحفلة ذلك اليوم". وأكاد أظن أنها تنتمي إلى ذلك البيت، ما لم أكن أخلط بينها وبين فتاة أخرى.

تنهد بوارو؛ فمع السيدة أوليفر يكون المرء دوماً بحاجة للكثير من الصبر. سألها: من هم هؤلاء الناس الذين كنت في زيارتهم؟

- أحسب أن اسم الرجل هو تريفوسيس، أو ربما تريهيرن. اسم من هذا القبيل... وهو من أقطاب المال. غني تماماً. له وجوده في لندن، ولكنه قضى معظم حياته في جنوب أفريقيا...

- هل له زوجة؟

- نعم، وهي امرأة جميلة جداً ذات شعر أشقر وأصغر منه بكثير، وهي الزوجة الثانية له. أما ابنته فهي من زوجته الأولى. وقد كان هناك أيضاً خالٌ لهم هَرِمٌ جداً ويكاد يكون أصم، وهو شخص مميز جداً... تجد أمام اسمه سلسلة من الألقاب. ربما كان أدميرالاً أو ماريشالاً جوياً أو ما شابه ذلك؛ وأظنه عالم فلك أيضاً؛ فقد كان لديه تلسكوب ضخم فوق سطح البيت (رغم أنني أظن أن تلك مجرد هواية له). وقد كانت في البيت أيضاً فتاة أجنبية كانت تجري هنا وهناك لرعاية العجوز، وأظن أنها تسافر معه إلى لندن وتحرص على أن لا تدعسه سيارة... وقد كانت جميلة بعض الشيء.

رتب بوارو المعلومات التي زودته بها السيدة أوليفر وهو يشعر وكأنه كمبيوتر بشري، ثم قال لها: إذن فإن من يعيش في البيت هم السيد والسيدة تريفوسيس...

- اسمهما ليس تريفوسيس. تذكرت الآن... إنه ريستاريك.

- هذا اسم من نوع مختلف تماماً عن الأول.

- نعم، هو كذلك. إنه اسمٌ من الأسماء الشائعة في كورنوول،

أليس كذلك؟

- يعيش هناك -إذن- السيد والسيدة ريستاريك، والخال العجوز البارز. هل اسمه ريستاريك أيضاً؟

- اسمه السير روديريك فلان.

- والفتاة الأجنبية، كائناً ما كان عملها، والابنة... هل يوجد أطفال آخرون؟

- لا أظن ذلك، ولكنني لا أعرف حقاً. والابنة لا تعيش في البيت بالمناسبة. كانت هناك لقضاء عطلة نهاية الأسبوع فقط؛ فهي غير منسجمة مع زوجة أبيها كما أظن. إن لها عملاً في لندن، ولها صديق لا يحبونه كثيراً. هذا ما فهمتُه.

- يبدو أنك تعرفين الكثير عن العائلة.

- آه، المرء يسمع الكلام. إن عائلة لوريمر يتكلمون كثيراً؛ فهم دائماً في سيرة هذا الشخص أو ذاك، ويسمع المرء الكثير من الأقاويل عن الناس في المنطقة. مع أن المرء يخلط بين الناس أحياناً، وربما كنتُ قد خلطتُ بينهم أيضاً. ليتني أتذكر الاسم الأول لتلك الفتاة. إنه مرتبط بأغنيةٍ ما. ثورا؟ "كلميني يا ثورا، ثورا، ثورا..."، شيء من هذا القبيل، أم أنه ميرا؟ "ميرا، آه يا ميرا، إن حبي كله لك". شيء من هذا. أم هو نورما؟ أو ربما ماريتانا؟ نورما... نورما ريستاريك. نعم، أنا واثقة أن هذا صحيح.

ثم أضافت دون رابط للحديث: وهي فتاة ثالثة.

- أظنك قلتِ إنك تظنينها الابنة الوحيدة.

- وهكذا هي... أو هذا ما أراه.

- إذن ما الذي تعنينه بقولك إنها «الفتاة الثالثة»؟

- يا إلهي! ألا تعرف ماذا تعني عبارة الفتاة الثالثة؟ ألا تقرأ صحيفة التايمز؟

- أقرأ الولادات والوفيات وأخبار الزواج، وبعض المقالات التي أجد اهتماماً بها.

- لا، أعني صفحة الإعلانات الأولى. سأريك.

ذهبَتْ إلى الطاولة الصغيرة وأخذت عنها صحيفة التايمز، ثم قلّبت الصفحات وعادت قائلة: هنا... انظر:

"مطلوب فتاة ثالثة لشقة مريحة في الطابق الثاني، غرفة مستقلة، تدفئة مركزية، في إيرلز كورت". "مطلوب فتاة ثالثة للمشاركة في شقة، ٥ جنيهات في الأسبوع، غرفة خاصة". "مطلوب فتاة رابعة. ريجنت بارك. غرفة خاصة".

إنها طريقة العيش المفضلة لدى الفتيات اليوم؛ فهي أفضل من السكن لدى العائلات أو في بيوت الشباب. تستأجر الفتاة الأولى شقة مفروشة ثم تتقاسم الأجرة مع غيرها. وتكون الفتاة الثانية عادة صديقة لها، ثم تجدان فتاة ثالثة عن طريق الإعلان. وكما ترى فإنهن غالباً ما يتمكنّ من حشر فتاة رابعة معهن. تأخذ الفتاة الأولى أفضل غرفة، وتدفع الفتاة الثانية مبلغاً أقل قليلاً، والثالثة أقل من الثانية ويتم

حشرها في زاوية صغيرة. وهي طريقة ناجحة إلى حدٍّ بعيد.

- وفي أي مكان من لندن تعيش هذه الفتاة التي ربما كان اسمها نورما؟

- لا أعرف عنها شيئاً في الواقع كما قلتُ لك.

- ولكن بوسعك أن تعرفي؟

- آه، نعم. أظن أن ذلك سيكون سهلاً تماماً.

- أأنت واثقة من أنه لم يجرِ هناك حديث أو ذكر لوفاة مفاجئة؟

- أتعني وفاة في لندن أم في بيت ريستاريك؟

- في أي منهما.

- لا أظن ذلك. هل تريد أن أرى ما يمكنني إثارته ومعرفته عن الأمر؟

التمعت عينا السيدة أوليفر انفعالاً؛ فقد كانت تدخل الآن في صميم التجربة. قال لها بوارو: سيكون ذلك لطفاً بالغاً منك.

- سأتصل بعائلة لوريمر. سيكون هذا الوقت مناسباً تماماً للاتصال.

ثم ذهبت نحو الهاتف قائلة: "سيتعين عليّ التفكير بأعذار... وربما اختراع بعض الأمور..."، ثم نظرت نحو بوارو بشيء من الارتياب فقال لها: هذا طبيعي ومفهوم. أنت امرأة ذات خيال واسع، ولن تجدي صعوبة في ذلك. ولكن... لا تخرجي بأشياء خيالية جداً.

عليك بالاعتدال.

رمته السيدة أوليفر بنظرة تفهم، ثم أدارت قرص الهاتف وطلبت الرقم المطلوب. أدارت رأسها إليه وتمتمت قائلة: هل لديك قلم وورقة... أو دفتر ملاحظات... شيء أدوِّن عليه الأسماء والعناوين والأماكن؟

كان بوارو قد رتب أصلاً وجود دفتر ملاحظاته قرب يده، فأومأ لها مُطمْئِناً.

عادت السيدة أوليفر فالتفتت إلى السماعة في يدها وانطلقت تتكلم، فيما استمع بوارو بكل انتباه للمكالمة من طرف واحد.

- مرحباً، هل أستطيع التحدث... آه، هذا أنتِ يا نعومي. أريادني أوليفر تتكلم. آه، نعم... لقد كان جمعاً كبيراً بعض الشيء... آه، أتعنين العجوز؟ لا، أنت تعرفين أنني لا أفعل ذلك... أعمى تماماً؟... ظننتُ أنه ذاهب إلى لندن مع تلك الفتاة الأجنبية الصغيرة... نعم، لا بد أن الأمر يثير قلقهم أحياناً... ولكن يبدو أنها تتدبر أمره بشكل جيد... إن أحد أسباب مكالمتي لك هو سؤالك عن عنوان الفتاة... كلا، أعني الفتاة ريستاريك... لقد كان في مكان ما في ساوث كنسنغتن، أليس كذلك؟ أم أنه في نايتزبريدج؟ لقد وعدتها بإرسال كتاب لها، وكتبتُ عنوانها، ولكنني أضعتُه كالعادة. حتى إنني لا أستطيع تذكر اسمها. أهو ثورا أم نورما؟... نعم، لقد ظننتُه نورما بالفعل... انتظري لحظة، سأحضر قلماً... نعم، أنا جاهزة... ٦٧ بورودين مانشينز... أعرفه، ذلك الصف الضخم من الأبنية الذي يبدو مثل السجن... نعم، أظن أن الشقق مريحة جداً

فيه، بوجود التدفئة المركزية وغير ذلك... من هما الفتاتان الأخريان اللتان تعيشان معها؟... أهما صديقتان لها أم عرفَتْهُما من خلال الإعلان؟... كلاوديا ريسلاند... والدها هو عضو البرلمان، أليس كذلك؟ ومن هي الفتاة الأخرى؟... نعم، ظننتُ أنك لا تعرفين... ولكن أظنها لطيفة تماماً هي الأخرى... ماذا يعملن جميعاً؟ يبدو أن معظم هؤلاء الفتيات يعملن سكرتيرات، أليس كذلك؟... آه، تظنين أن الفتاة الأخرى تعمل في تصميم الديكورات الداخلية أو في شيء يتعلق بالمتاحف الفنية... كلا يا نعومي، لا أريد حقاً أن أعرف... ولكن المرء يتساءل فقط عمّا تفعله الفتيات في أيامنا هذه؛ فهذا مفيد لي في كتابة قصصي... يريد المرء أن يبقى مُلماً بآخر أحوال الدنيا. ما هو ذلك الذي أخبرتِني به عن وجود صديق ما... نعم، ولكن المرء عاجز تماماً، أليس كذلك؟ أعني أن الفتيات يفعلن ما يحلو لهن تماماً... هل يبدو الشاب فظيعاً جداً؟ هل هو من ذلك النوع القذر الذي يُطلق لحيته بإهمال؟ آه، من ذلك النوع... وشعر كستنائي طويل ملتف ينزل حتى كتفيه... نعم، من الصعب جداً معرفة الشاب من الفتاة، أليس كذلك؟ نعم، إنهم يبدون فعلاً كرسومات فاندايك إن كانوا على جانب من الوسامة... ماذا قلتِ؟ إن أندرو ريستاريك يكرهه؟... نعم، هكذا هو دأب الرجال... ماري ريستاريك؟... أحسب أن المرء يشاجر أحياناً مع زوجة أبيه. أظنها شكرت ربها كثيراً لأن الفتاة وجدت عملاً في لندن. ماذا تعنين بقولك إن الناس يقولون أشياء؟... لماذا، ألم يستطيعوا معرفة ما بها؟... من قال ذلك؟... نعم، ولكن ما الذي تستروا عليه؟... آه، ممرضة؟... تحدثت مع مربية جينرز؟ أتعنين زوجها؟ آه، فهمت... لم يستطع الأطباء اكتشاف الأمر... كلا، ولكن الناس ذوو طبائع خبيثة جداً. إنني أتفق معك.

فهذه الأشياء عادة ما تكون غير صحيحة أبداً... آه، أكان ذلك في المعدة؟... ولكن ما أسخف ذلك. أتعنين أن الناس قالوا إن صاحبنا، ما هو اسمه، أندرو... أتعنين أن من شأن ذلك أن يكون سهلاً مع وجود كل تلك المواد القاتلة للأعشاب الضارة في المكان... نعم، ولكن لماذا؟... أعني أن القضية ليست قضية زوجة كرهها لسنوات طويلة... إنها الزوجة الثانية، وهي أصغر بكثير منه، وجميلة... نعم، أظن أن ذلك ممكن... ولكن لماذا تريد الفتاة الأجنبية ذلك أيضاً؟... تعنين أنها ربما كانت ساخطة من أشياء قالتها لها السيدة ريستاريك؟ إنها فتاة ضئيلة جذابة جداً... أحسب أن أندرو ربما أُعجب بها... ليس بشكل جدي بالطبع... ولكن ربما كان ذلك قد أزعج ماري، وعندها ربما تكون قد هاجمت الفتاة و...

وبزاوية عينها لاحظت السيدة أوليفر إشارات بوارو المهتاجة لها فقالت لمحدثتها على الهاتف: دقيقة واحدة يا عزيزتي... إنه الخبّاز. انتظريني على الخط.

بدا بوارو وكأنه يشعر بالإهانة. وضعت السماعة وأسرعت تعبر الغرفة حيث لحقت ببوارو إلى زاوية منعزلة تستخدم مكاناً لتناول الإفطار، وهناك سألت وهي تلهث: ما الأمر؟

قال بوارو بازدراء: خباز، أنا!

- كان عليّ التفكير في عذر ما، وبسرعة. ما الذي كنتَ تشير من أجله؟ هل فهمت ما الذي كانت...

قاطعها بوارو قائلاً: ستخبرينني بعد قليل... أعرف ما يكفي.

ما أريد منك فعله هو أن ترتبي -بقدراتك السريعة على الارتجال- مبرراً مقبولاً أستطيع معه زيارة عائلة ريستاريك. قولي إني صديق قديم لك، وربما استطعت القول إن...

- اتركِ الأمر لي؛ سأفكر بشيء ما. هل تريد إعطاء اسم وهمي؟

- كلا، بالتأكيد. دعينا نجعل الأمر بسيطاً على الأقل.

أومأت السيدة أوليفر برأسها وأسرعت عائدة إلى الهاتف: نعومي؟ لا أتذكر ما كنا نقوله. لماذا يأتي دوماً شيء يقطع على المرء كلامه عندما يكون قد شرع لتوّه في أقاويل لذيذة. لا أستطيع أن أتذكر الآن حتى سبب مكالمتي لك أصلاً... آه، نعم... عنوان تلك الطفلة، ثورا... أعني نورما... وقد أعطيتِني إياه. ولكن كان عندي شيء آخر أردتُ... آه، تذكرت. إنه يتعلق بصديق قديم لي، رجل رائع. لقد كنتُ أتكلم عنه عملياً عندما كنتُ معكم هناك، واسمه هيركيول بوارو. إنه سيقيم لفترة في منطقة قريبة جداً من بيت عائلة ريستاريك، وهو متلهف جداً على مقابلة السير روديريك، فهو يعرف الكثير عنه ويُكنُّ إعجاباً عظيماً له ولأحد الاكتشافات الرائعة التي اكتشفها أثناء الحرب أو لأمر علمي قام به... على كلٍ، إنه حريص جداً على "زيارته والتعبير عن احترامه له"، هكذا عبّر السيد بوارو عن الأمر. أتظنين أن ذلك ممكن؟ هل لك أن تُعطيهم خبراً بذلك؟ نعم، ربما رأيتموه يأتي فجأة. قولي لهم أن يطلبوا منه أن يقص عليهم بعض قصص التجسس الرائعة فهو... ماذا؟ آه! طبختك على النار؟ نعم، طبعاً يجب أن تذهبي. وداعاً.

أعادت سماعة الهاتف إلى مكانها وألقت نفسها على كرسي قائلة: يا إلهي! يا له من أمر مُتعب. أكان هذا جيداً؟

- ليس سيئاً.

- رأيتُ أن من الأفضل أن أربط زيارتك بالعجوز، وهناك سترى البقية ممن أحسبك تريد رؤيتهم. إن بوسع الإنسان دوماً أن يكون غامضاً مُبهماً فيما يتعلق بالموضوعات العلمية، خاصة إذا كان امرأة، ويمكنك -لحين وصولك إلى هناك- التفكير بشيء أكثر تحديداً وإقناعاً. والآن، هل تريد سماع ماكانت تقوله لي؟

- فهمتُ أن نميمة كانت تجري. أهي حول صحة السيدة ريستاريك؟

- بالضبط. يبدو أن لديها نوعاً من تلك الأمراض الغامضة المتعلقة بالمعدة، وقد حار فيه الأطباء. وقد أرسلوها إلى المستشفى فأصبحت على ما يرام، ولكن لم يَضِح هناك أي سبب لذلك. ثم عادت إلى البيت، فعاد المرض للظهور من جديد... واحتار الأطباء مرة أخرى، ثم بدأ الناس يتكلمون. وقد بدأ ذلك على يد ممرضة قليلة الإحساس بالمسؤولية إلى حدٍ ما، وقد أخبرت أختها جارة لها، وذهبت الجارة إلى عملها فأخبرت غيرها متعجبة من غرابة الأمر كله. ثم بدأ الناس يقولون إن زوجها يحاول تسميمها دون شك. مثل تلك الأمور التي يقولها الناس... ولكن الكلام -في هذه الحالة- لم يكن ذا معنى في الواقع. ثم تساءلنا أنا ونعومي حول تلك الفتاة الأجنبية الضيفة، إنها تقوم بدور السكرتيرة والمرافقة للعجوز، ولذلك فلا يوجد -فعلاً- سبب يدعوها إلى دس مبيدات الأعشاب الضارة للسيدة ريستاريك.

- سمعتك تقترحين بعض الأسباب.

- ذلك أنها توجد دوماً أشياء ممكنة...

قال بوارو متأملاً: جريمة قتل مرغوبة.. ولكنها لم تُرتكب بعد.

* * *

الفصل الثالث

قادت السيدة أوليفر سيارتها إلى داخل باحة مجمع بورودين مانشنز السكني. كانت هناك ست سيارات تملأ المساحة المخصصة لوقوف السيارات، وبينما هي تتردد في مكان وقوفها عادت إحدى السيارات إلى الخلف وانطلقت بعيداً، فسارعت السيدة أوليفر لاحتلال المكان الشاغر.

نزلت فأغلقت باب سيارتها بقوة، ووقفت تنظر إلى السماء. كان المُجمّع حديثاً، يحتل فراغاً خلّفته فوضى منجم أرضيٍ في الحرب الأخيرة. بدا مُجمع الشقق عَملياً تماماً في أسلوب بنائه، ومن الواضح أن من بناه كان يزدري الإضافات التزيينية.

كان الوقت وقت حركة محمومة، وكانت السيارات والناس يدخلون ويخرجون من الباحة مع انتهاء يوم العمل. نظرت السيدة أوليفر إلى ساعتها: السابعة إلاّ عشر دقائق. وكان ذلك -برأيها- وقتاً مناسباً؛ فهو الوقت الذي يُفترَض أن تكون الفتيات العاملات قد عُدنَ فيه إلى بيوتهن طلباً للراحة. إنه وقتٌ تكون فيه المحاولة معقولة تماماً. كان للمجمع جناحان متماثلان تماماً في الشرق والغرب، مع وجود

أبواب متأرجحة ضخمة في الوسط. اختارت السيدة أوليفر الجانب الأيسر، ولكنها وجدت فوراً أنها كانت مخطئة؛ فهذا الجناح كان مُخصصاً للأرقام التي تتراوح بين ١٠٠ و ٢٠٠، ولذلك عبرت إلى الجانب الآخر.

كانت الشقة رقم ٦٧ في الطابق السادس. ضغطت السيدة أوليفر على زرِّ المصعد، وانفتح البابان كفمٍ يتثاءب مُحدثَين ارتطاماً يُنذر بالخطر، وأسرعت السيدة أوليفر فيّ دخول الفتحة المتثائبة. لقد كانت تخاف دوماً من المصاعد الحديثة.

بانغ. انغلق البابان ثانية، وتحرك المصعد، ثم ما لبث أن توقف فوراً تقريباً (وكان ذلك مخيفاً أيضاً!). خرجت السيدة أوليفر كأرنب مذعور. رفعت بصرها إلى الجدار ثم مشت في الممر الأيمن حتى وصلت إلى بابٍ كُتب عليه بأحرف معدنية في وسطه ٦٧، وعندما وصلت نزع الرقم ٧ نفسه من الباب وسقط على قدمها.

قالت لنفسها: "هذا المكان لا يحبني". وتقبضت ألماً وانحنت فالتقطت الحرف بحذر وثبّتته مكانه ثانية.

ضغطت على الجرس... ربما كان الجميع في الخارج، ولكن الباب فُتح على الفور تقريباً ووقفت فيه فتاة طويلة وسيمة الشكل. كانت ترتدي بذلة سوداء جيدة التفصيل وقميصاً حريرياً أبيض وحذاء جميلاً جداً، وكانت ذات شعر أسود تُسرِّحه للخلف، وقد وضعت على وجهها زينة خفيفة لا تكاد تلاحَظ. ولسبب ما أثارت في السيدة أوليفر شيئاً بسيطاً من القلق.

قالت السيدة أوليفر وهي تُحفِّز نفسها لقول الكلام المناسب:

آه، هل الآنسة ريستاريك هنا يا ترى؟

- لا. أنا آسفة، فهي خارجة. هل أستطيع إيصال أية رسالة لها؟

قالت السيدة أوليفر من جديد: "آه"... وقبل أن تُكمل قامت -بحركة تمثيلية- بإخراج طرد تم لفُّه على نحو غير مُرتب بورق بني، ثم أكملت تقول: لقد وعدتُها بكتاب... أحد كتبي التي لم تقرأها. أرجو أن أكون قد تذكرت بشكل صحيح أيّ واحد هو. ألن تعود قريباً؟

- لا أستطيع الجزم حقاً. لا أدري ماذا ستفعل الليلة.

- آه. هل أنت الآنسة ريسلاند؟

بدت الفتاة مدهوشة قليلاً وقالت: نعم، أنا.

- لقد قابلتُ والدك. أنا السيدة أوليفر.

ثم أضافت بأسلوبها المعتاد الذي يوحي بالشعور بالذنب، والذي تستعمله دوماً لمثل هذا الإعلان: إنني أكتب قصصاً.

- هلاّ تفضلتِ بالدخول؟

قبلت السيدة أوليفر الدعوة، وقادتها كلوديا ريسلاند إلى غرفة جلوس. كان ورق الجدران في كل الشقق بنفس التصميم الذي يأخذ شكل الخشب الخام، وكان بوسع المستأجرين بعد ذلك أن يضعوا على تلك الجدران لوحاتهم الحديثة أو أي نوع من الزينة يختارونه. وكان في الشقق تأسيسات لبعض الأثاث المُركّب في الجدران نفسها: خزائن ورفوف للكتب وغير ذلك، بالإضافة إلى

أريكة ضخمة وطاولة مما يمكن نشره وطيه ليدخل في الجدار، أما الأثاث والمتاع الشخصي فيمكن للمستأجرين أنفسهم أن يضيفوه. وكانت توجد أيضاً علامات على التفرد ظاهرةٌ هنا على شكل صورة مُهرج ضخم أُلصقت على الجدار، وعلى جدار آخر هناك صورة مطبوعة لقرد يتأرجح بين سعف النخيل.

قالت الفتاة: أنا واثقة من أن نورما ستُسر كثيراً بالحصول على كتابك يا سيدة أوليفر. ألا تشربين شيئاً؟ لدينا قهوة وعصير.

كان لهذه الفتاة السمت الرشيق السريع الذي تتحلى به السكرتيرات الجيدات. اعتذرت السيدة أوليفر عن شرب أي شيء، وقالت وهي تنظر عبر النافذة: "لديكم منظر رائع من هنا"، ثم رمشت بعينيها إذ دخل مباشرة إليهما ضوء الشمس المائلة للغروب.

- نعم، ولكن الأمر لا يسر كثيراً عندما يتعطل المصعد.

- ما كنتُ لأظن أن ذلك المصعد يجرؤ على أن يتعطل؛ فهو أشبه... أشبه بإنسان آلي.

- لقد رُكِّب مؤخراً، ولكن هذا لا يجعله أفضل من غيره. فهو يحتاج إلى صيانة دائمة وغير ذلك.

دخلت فتاة أخرى وهي تتحدث: كلوديا، هل لديك أية فكرة أين وضعتُ الـ...

توقفت وراحت تنظر إلى السيدة أوليفر. وأجرت كلوديا تعارفاً سريعاً: فرانسيس كاري... السيدة أوليفر. السيدة أريادني أوليفر.

قالت فرانسيس: آه، يا له من أمر ممتع.

كانت فتاة طويلة نحيلة، ذات شعر طويل أسود ووجه شاحب جداً مُغطى بالمساحيق الكثيرة وحواجب ورموش مائلة قليلاً إلى الأعلى، وكانت ترتدي بنطالاً مخملياً وسترة ثقيلة. كانت النقيض الكامل لكلوديا الرشيقة.

قالت السيدة أوليفر: أحضرتُ لنورما ريستاريك كتاباً كنتُ قد وعدتها به.

- آه! مؤسف جداً أنها ما زالت في الريف.

- ألم تعد بعد؟

حصل -بالتأكيد- توقف بسيط، وظنت السيدة أوليفر أن الفتاتين تبادلتا نظرة. ثم قالت وهي تسعى لإظهار دهشة بريئة: لقد ظننتُ أن لديها وظيفة في لندن.

قالت كلوديا: نعم، إنها تعمل في مكان مختص بالديكور الداخلي، وهي ترسَلُ أحياناً حاملةً بعض المخططات إلى أماكن في الريف.

ابتسمت ثم أكملت تشرح: إننا نعيش هنا حياة منفصلة لكل منا. نأتي ونذهب كما نشاء، ولا تتجشم إحدانا -عادةً- عناء ترك رسائل للأخريات في الشقة، ولكن لن أنسى أن أعطيها كتابك عندما تعود.

لا شيء أسهل من تقديم تفسير عرضي.

نهضت السيدة أوليفر قائلة: حسناً، شكراً جزيلاً لكما.

رافقتها كلوديا إلى الباب وقالت: سأخبر أبي بأنني قابلتك؛ إنه قارئ مُدمن للقصص البوليسية.

وبعد أن أغلقت الباب عادت إلى غرفة الجلوس. كانت فرانسيس متكئة على النافذة، وقالت: أنا آسفة. هل ارتكبتُ خطأً مُحرجاً؟

- لقد قلتُ لها لتوي أن نورما خارجة.

رفعت فرانسيس كتفيها بلامبالاة وقالت: وكيف لي أن أعرف؟ كلوديا، أين هي تلك الفتاة؟ لماذا لم تعد يوم الإثنين؟ أين ذهبت؟

- لا أدري.

- هل بقيت هناك مع أهلها؟ لقد ذهبت إليهم لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

- لا. لقد اتصلتُ بهم للسؤال.

- أحسب أن هذا لا يهمُّ حقاً. ومع ذلك فهي... أعني أن فيها شيئاً غريباً.

- إنها ليست -في الواقع- أغرب من أي فتاة أخرى.

ولكن بدا أن هذا الرأي لم يكن مؤكداً. قالت فرانسيس: آه، بل هي غريبة. إنها تخيفني أحياناً؛ فهي ليست طبيعية.

ثم ضحكت قليلاً وقالت: ليست طبيعية، وأنت تعرفين ذلك يا كلوديا، مع أنك ترفضين الاعتراف به. أحسب ذلك بسبب ولائك لربِّ عملك.

* * *

الفصل الرابع

مشى هيركيول بوارو في الشارع العام لقرية لونغ بيسنغ (هذا إن استطاع المرء أن يستخدم عبارة الشارع العام لوصف شارع هو -عملياً- الشارع الوحيد، كما هو الحال في قرية لونغ بيسنغ). كانت واحدة من تلك القرى التي تُظهر ميلاً للتوسع طولياً دون أن يكون لها عرض. وكانت لها حصتها الكاملة من المحلات الريفية التي تعرض مختلف البضائع؛ ففيها محلان للتحف القديمة، أحدهما لا يكاد يحتوي إلاّ على إطارات الزينة المصنوعة من خشب الصنوبر والتي تُستخدم حول المواقد، أما الآخر فقد كان يعرض أعداداً كبيرة من الخرائط القديمة، وكثيراً من أواني البورسلان (وأغلبها مما تصدعت جوانبه)، وبعض صناديق الملابس من خشب السنديان الذي أكلته الديدان، ورفوفاً من الأواني الزجاجية، وبعض الفضيات التي تعود إلى العصر الفكتوري، وقد تراكم كل ذلك بعضه فوق بعض لضيق المكان. وكان في الشارع مقهيان، كلاهما قذر إلى حدٍ ما، ومحل لطيف تماماً لبيع السلال، فيه الكثير من المصنوعات البيتية، كما كان هناك مكتب بريد مُشتَركٌ مع محل بيع الخضار، ومحل خياط لا يكاد يتعامل إلاّ بالقبعات، وقسم لأحذية الأطفال، ومجموعة

منوعة هائلة من لوازم الخياطة من كل جنس ونوع. وكان هناك محل للقرطاسية والصحف، يتعامل أيضاً بالتبغ والحلوى. كما كان هناك محل للصوف بدا واضحاً أنه أرستقراطي المنطقة، قامت فيه امرأتان قاسيتان ذواتا شعر أشيب بتولي مسؤولية رفوفٍ ورفوفٍ من خيوط الحياكة من كل جنس ولون، وضم المحل أيضاً كميات هائلة من نماذج الخياطة والحياكة، وتفرعت عنه طاولة خاصة بأشغال الإبرة والتطريز الفني. وما كان -حتى عهد قريب- دكان القرية تطور الآن بحيث أطلق على نفسه اسم «سوبرماركت»، مُجهز تماماً بطبقات من السلال المعدنية والمواد المُعبأة بأكياس من كل أصناف الحبوب ومواد التنظيف في عُلبها التي تبهر ألوانُها العين.

لاحظ بوارو كل ذلك باهتمام محايد. وقد كانت هناك -ضمن حدود القرية أيضاً- عدة بيوت صغيرة مواجهة للشارع، قديمة الطراز، تحافظ أحياناً على نقاء معمارها الجورجي، ولكن أغلبها يُظهر علامات على بعض التحسينات الفكتورية، كوجود شرفة، أو نافذة مقوّسة نافرة عن الجدار، أو بيت زجاجي صغير للنباتات. وقد خضع بيت أو بيتان منها لعمليات تجميل كاملة في الوجه أظهرت مؤشرات على ادعاء ذينك البيتين الجدة وفخرهما بها. كما كان هناك أيضاً بعض البيوت الريفية الصغيرة المنتمية للعالم القديم ذات المنظر البهيج رغم تهدمها، بعضها يزعم أنه أكبر من عمره الحقيقي بمئة سنة أو نحوها، وبعضها الآخر صادق تماماً فيما يوحي به، وقد تم فيها إخفاء أية مرافق صحية بعناية عن أية نظرة عرضية.

مشى بوارو بهدوء في الشارع وهو يهضم كل ما يراه. ولو أن صديقته قليلة الصبر، السيدة أوليفر، كانت معه، لكان من شأنها أن

تسأله فوراً عن سبب تضييعه للوقت؛ إذ أن البيت الذي كان يسعى إليه يبعد ربع ميل خارج حدود القرية. وكان من شأن بوارو أن يخبرها بأنه يستوعب الجو المحلي، وأن هذه الأشياء تكون مهمة أحياناً. وعند نهاية القرية جاء تحول مفاجئ، فإلى الجانب بعيداً عن الطريق كان يقوم صفٌّ من البيوت المبنية حديثاً من قبل المجلس البلدي، وأمام تلك البيوت شريط من الأرض الخضراء، وقرب كل منها نُصبت علامة بهيجة اللون بعد أن طُلي كل باب أمامي بلون مختلف. وبعد بيوت المجلس البلدي تابعت الحقول والأسيجة امتدادها الذي لم يقطعه سوى قليل متناثر من المساكن المرغوبة المُدرجة على قوائم المكاتب العقارية، بالإضافة إلى أشجارها وحدائقها الخاصة وانطباع عام يوحي بالتحفظ وبانغلاق تلك البيوت على نفسها. وأمامه -في منطقة أبعد على الطريق- رأى بوارو بيتاً أظهر طابقه العلوي أثراً غير اعتيادي لبناء مكور الشكل أشبه بالبصلة. من الواضح أن قِسماً ما قد أُلحق بذلك الطابق هناك قبل سنوات عديدة، وكان هذا البيت -دون شك- هو الذي يقصده بوارو. وصل إلى بوابة وُضعت عليها لوحة باسم البيت «كروسهيدجيز». استعرض البيت بنظره فرأى فيه بيتاً تقليدياً ربما يعود تاريخ بنائه إلى أوائل هذا القرن. لم يكن جميلاً كما لم يكن قبيحاً، وأفضل ما يمكن أن يوصف به هو أنه عادي. أما الحديقة فكانت أكثر جمالاً من البيت، ومن الواضح أنها كانت موضع قدر كبير من الرعاية والعناية في زمانها، رغم أنها تُركت بحيث ساء وضعها وتنظيمها، ولكن لم تزل فيها مروج عشبية خضراء مستوية، وكثير من مساكب الورد، ومناطق زُرعت بعناية بالشجيرات لتعطي انطباعاً بمنظر طبيعي معين. كانت -إجمالاً- مُرتبة، ورأى بوارو

أن بُستانياً قد استُخدم بالتأكيد للإشراف عليها. وربما كان في الأمر اهتمام شخصي بها أيضاً، إذ أنه لاحظ -في زاوية قرب البيت- امرأة تنكبّ على إحدى مساكب الأزهار وتشتغل بربط شتلات الأضاليا، وقد ظهر رأسها على شكل دائرة فاتحة من اللون الذهبي الصافي، وكانت نحيلة طويلة القامة، ولكنها ذات كتفين عريضين. فتح مزلاج البوابة ودخل ماشياً باتجاه البيت. التفتت المرأة ثم اعتدلت واقفة واستدارت إليه متسائلة.

بقيت واقفة تنتظر منه الكلام وقد تدلت من يدها بعض خيوط القنب، ولاحظ أنها تبدو في حيرة من أمرها. قالت: نعم؟

نزع بوارو قبعته -بإشارة أجنبية تماماً- وانحنى وهو يبتسم. استقرت عيناها على شاربه بشيء من الإعجاب.

- السيدة ريستاريك؟

- نعم. أنا...

- أرجو أنني لا أشغلك يا سيدتي.

ارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة وقالت: أبداً. هل أنت...

- لقد سمحتُ لنفسي بزيارتكم. إن صديقة لي هي السيدة أريادني أوليفر...

- آه، طبعاً. أعلم من تكون... أنت السيد بويريت.

صحح لها مُركزاً على المقطع الأخير من اسمه: بل بوارو... هيركيول بوارو، في خدمتك. لقد كنتُ أمرّ في هذه المنطقة وجازفتُ

بزيارتكم هنا على أمل أن يُسمح لي بالتعبير عن إعجابي واحترامي للسير روديريك هورسفيلد.

- نعم. لقد أخبرتنا نعومي لوريمر بإمكانية قدومك.

- أرجو أن لا يكون في هذا أي إزعاج؟

- آه، لا يوجد أي إزعاج إطلاقاً. لقد كانت أريادني أوليفر هنا في عطلة نهاية الأسبوع الماضي حيث جاءتنا مع عائلة لوريمر. إن قصصها ممتعة جداً، ولكن ربما لا ترى أنت في القصص البوليسية ما يُمتع. فأنت نفسك رجل تحرٍّ، أليس كذلك؟... أعني رجل تحرٍّ حقيقياً.

- إن لي كل ما لرجل التحري الحقيقي تماماً.

لاحظ أنها قد كتمت ابتسامة. وتفحصها بتركيز أكبر: كانت جميلة بأسلوب لا يخلو من التصنع، وكان شعرها الذهبي مُصففاً بشكل صارم. تساءل إن كانت في سرها وفي قرارة نفسها غير واثقة من نفسها، ما إذا كانت تمثل بعناية دور السيدة الإنكليزية المنشغلة بحديقتها. تساءل قليلاً عن حقيقة خلفيتها الاجتماعية السابقة.

- لديكِ حديقة لطيفة جداً هنا.

- أتحب الحدائق؟

- ليس كما يحبها الإنكليز. إن لديكم موهبة خاصة تجاه الحدائق في إنكلترا، وهي تعني لكم شيئاً لا تعنيه لنا.

- أتعني للشعب الفرنسي؟

- نعم.

- أظن أن السيدة أوليفر ذكرت أنك كنتَ مرة في سلك الشرطة البلجيكية، أليس كذلك؟

- هذا صحيح... أنا عجوز من مُخلّفات الشرطة البلجيكية.

ضحك ضحكة صغيرة مؤدبة ولوح بيده قائلاً: ولكن تعجبني حدائقكم معشر الإنكليز. إن الشعوب اللاتينية تحب الحدائق الرسمية، حدائق القلاع والقصور الفرنسية التي هي نموذج مُصغّر عن حدائق قصر فرساي، كما أنهم ابتكروا طبعاً حديقة البقوليات، وهي قسم مهم جداً من الحديقة. إن لديكم هنا في إنكلترا حدائق بقوليات، ولكنكم أخذتموها عن الفرنسيين، كما أنكم لا تحبونها كما تحبون أزهاركم، أليس كذلك؟

قالت ماري ريستاريك: بلى، أظنك مُصيباً في ذلك. تفضّل إلى البيت؛ فقد جئتَ لرؤية خالي.

- لقد جئتُ -كما تقولين- لأقدم تحياتي للسير روديريك، ولكني أقدم تحياتي لك أيضاً يا سيدتي؛ فأنا أُقدِّر دوماً الجمال حين أراه.

ثم انحنى لها. فضحكت بقليل من الحرج وقالت: "عليك أن لا تطريني كثيراً". ثم تقدمته ودخلت باباً زجاجياً مفتوحاً وهو يتبعها قائلاً: لقد عرفتُ خالكِ قليلاً عام ١٩٤٤.

- المسكين، لقد أصبح شيخاً هرماً تماماً الآن، وأخشى أن تجده أصمّ تماماً.

- كان لقائي به قبل فترة طويلة جداً، ولعله نسي ذلك الآن. كان ذلك في قضية تجسس تتعلق ببعض التطورات العلمية لاختراع معين، وكنا ندين -في ذلك الاختراع- لعبقرية السير روديريك. أرجو أن يكون مستعداً لاستقبالي.

- آه، أنا واثقة أن ذلك سيسرُّه. إن حياته مملة بعض الشيء في هذه الأيام، وأنا مضطرة للذهاب كثيراً إلى لندن... فنحن نبحث عن بيت مناسب هناك... يكون العجائز أحياناً في غاية الصعوبة.

- أعرف، وغالباً ما أكون أنا الآخر صعباً.

ضحكت السيدة ريستاريك وقالت: آه، كلا يا سيد بوارو، لا تقل ذلك. لا يجب أن تتظاهر بأنك كبير في السن.

قال: "أحياناً يُقال لي ذلك". ثم تنهد وأكمل باكتئاب: ... من قِبل الفتيات.

- هذه قلة أدب فظيعة منهن. ربما كان هذا من الأشياء التي يمكن لابنتنا أن تقولها.

- آه، ألديكم ابنة؟

- نعم. أو لأقل إنها ابنة زوجي.

قال بوارو بأدب: سيسرني كثيراً أن ألتقي بها.

- أخشى أنها ليست هنا. إنها في لندن؛ فهي تعمل هناك.

- إن الفتيات الشابات يعملن دوماً في وظائف هذه الأيام.

قالت السيدة ريستاريك بإبهام: يُفترض أن يقوم كل شخص

بعمل. وحتى عندما يتزوجن عادة ما يتم إقناعهن بالعودة إلى المصانع أو العودة إلى التدريس.

- وهل تم إقناعك أنت يا سيدتي بالعودة إلى عمل ما؟

- كلا. لقد نشأت في جنوب أفريقيا ولم آتِ إلى هنا مع زوجي إلاّ منذ وقت قصير... الأمر كله... ما يزال غريباً بعض الشيء بالنسبة إليّ.

تلفتت حولها بشكل رأى بوارو أنه يوحي بقلة الحماسة. كانت الغرفة مؤثثة بشكل أنيق من الطراز التقليدي دون وجود لمسة شخصية فيها، وعلى الجدار عُلِّقت صورتان كبيرتان كانتا المؤشر الوحيد على اللمسة الشخصية. كانت واحدة منهما لسيدة رقيقة الشفتين ترتدي ثوب سهرة مخملياً رمادي اللون تواجهها على الجدار المقابل صورة رجل تجاوز الثلاثين من عمره يوحي شكله بالحيوية المكبوتة.

قال لها بوارو: أظن أن ابنتكم تجد الحياة مملة في الريف، أليس كذلك؟

قالت: "بلى، من الأفضل لها بكثير أن تكون في لندن. إنها لا تحب البقاء هنا". توقفت فجأة، ثم قالت وكأن الكلمات الأخيرة تكاد تُجرُّ منها جراً: ... ولا تحبني.

قال بوارو بأدب فرنسي: مستحيل.

- ليس مستحيلاً أبداً! آه، أحسب أن ذلك يحدث كثيراً... أظن أن من الصعب على الفتيات أن يقبلن زوجات آبائهن.

- أكانت ابنتكم مولعة جداً بأمها؟

- أحسبها كذلك. إنها فتاة صعبة المراس، وأظن أن معظم الفتيات كذلك.

تنهد بوارو وقال: إن سيطرة الآباء والأمهات على الفتيات أقلُّ بكثير هذه الأيام. لم تعد الأمور كما كانت في الأيام الجميلة الخالية.

- نعم، هذا صحيح.

- لا يكاد المرء يجرؤ على قول ذلك يا سيدتي، ولكن يجب أن أعترف بأنني أشعر بالأسف على ما يُظهرنه من افتقار شديد للتمييز في اختيارهن لـ... كيف أقولها؟ في اختيارهن لأصدقائهن من الشباب.

- لقد كانت نورما مصدر قلق عظيم لأبيها في هذه النقطة. ومع ذلك لا أحسب أن هناك فائدة من الشكوى، فعلى الناس أن يخوضوا تجاربهم الخاصة. حسناً، يجب أن آخذك إلى الخال روديريك... إن لديه جناحه الخاص في الطابق العلوي.

مشت خارج الغرفة. والتفت بوارو ليرى الغرفة مرة أخيرة فلم يرَ فيها سوى غرفة مملة لا روح ولا شخصية لها... ربما باستثناء وجود الصورتين. وقد قدّر بوارو -من طراز ثوب المرأة في الصورة- أنهما تعودان لسنوات طويلة خلت. ولئن كانت تلك المرأة في الصورة هي السيدة ريستاريك الأولى فقد رأى بوارو أنه ما كان ليحبها لو كانت موجودة الآن. قال لمضيفته: هاتان الصورتان جميلتان يا سيدتي.

- نعم، لقد رسمهما لانزبيرغر.

كان ذلك اسم رسام شديد الشهرة باهظ التكاليف تخصص

برسم الصور الشخصية قبل نحو عشرين عاماً، ولم يعد سائداً الآن أسلوبه المتميز بالطبيعية الملتزمة بالتفصيلات الدقيقة، ولم يعد يُشار إليه كثيراً بعد موته. وقد كان يُشار أحياناً بسخرية إلى الشخصيات التي يرسمها بوصفها «علاّقات ملابس»، ولكن بوارو رأى أن في رسوماته أكثر من ذلك بكثير، وكان يشكّ بأن في تلك اللوحات سخرية تم إخفاؤها بعناية خلف البساطة الظاهرية للأنماط الشخصية التي كان لانزبيرغر ينفذها بكل سهولة.

قالت ماري ريستاريك وهي تصعد الدرج أمامه: لقد أخرجناها من المخزن مؤخراً فقط... ونظّفناها و...

سكتت فجأة... وتوقفت دون حراك ويدها على درابزين الدرج؛ ففوقها كان شخص قد التفت لتوه عند استراحة الدرج في طريقه نزولاً. وقد بدا الشخص مُفتقراً للانسجام على نحو غريب. ولعله كان شخصاً ذا ملابس غريبة، شخصاً لا ينسجم بالتأكيد مع هذا البيت.

كان هذا النمط من الناس مألوفاً لدى بوارو بأكثر من شكل، نمط غالباً ما يراه المرء في شوارع لندن أو حتى في الحفلات، فهو مثال لشباب اليوم. كان يرتدي معطفاً أسود وصدرية مخملية مُعقدة الشكل وبنطالاً ضيقاً جداً، وقد تدلت خصلات شعره الكستنائي على رقبته. بدا غريب الشكل لا يخلو من الجمال، وكان على المرء أن يقضي بضع دقائق قبل التأكد إن كان ما يراه شاباً أم فتاة.

صاحت ماري ريستاريك بحدة: ديفيد! ما الذي تفعله هنا بالله عليك؟

لم يُفاجَأ الشاب بأي شكل، بل سألها: هل أفزعتك؟ أنا آسف.

- ما الذي تفعله هنا... في هذا البيت؟ هل... هل جئتَ إلى هنا مع نورما؟

- نورما؟ لا، بل كنتُ أرجو أن أعثر عليها هنا.

- تعثر عليها هنا... ماذا تعني؟ إنها في لندن.

-آه، ولكنها ليست هناك يا عزيزتي!

- ماذا تعني بأنها ليست هناك؟

- بما أنها لم تعد بعد عطلة نهاية الأسبوع فقد رأيتُ أنها ربما كانت هنا معكم، وجئتُ لأرى ما الذي تنوينه.

قالت: "لقد غادرت هذا البيت ليلة الأحد كالعادة". ثم أضافت بصوت غاضب: لماذا لم تقرع الجرس بحيث نعرف أنك هنا؟ وما الذي تفعله بتجولك في البيت؟

- غريب يا عزيزتي، يبدو وكأنك تظنين أنني سأسرق الملاعق. من الطبيعي -بالتأكيد- أن يمشي المرء في البيت في وضح النهار. ولماذا لا يمشي؟

- نحن من الطراز القديم، ولا نحب ذلك.

تنهد ديفيد وقال: آه، يا إلهي، يا إلهي، يا للتعقيدات التي يفتعلها الجميع! حسناً يا عزيزتي، إن كنتُ لن ألقى ترحيباً، ولا يبدو أنك تعرفين أين هي ابنة زوجك، فإنني أجد من الأفضل لي أن

أذهب. هل أقلب لك جيوبي قبل أن أذهب؟

- لا تكن سخيفاً يا ديفيد.

قال: "وداعاً إذن"، ثم تجاوزهما ولوح بيد لاهية وهو ينزل الدرج ويخرج من خلال الباب الأمامي المفتوح.

قالت ماري ريستاريك بغضب حاد فوجئ به بوارو: مخلوق فظيع، لا أستطيع تحمله، لا أستطيع تحمله أبداً! لماذا تمتلئ إنكلترا بهؤلاء الناس في هذه الأيام؟

- آه، لا تزعجي نفسك يا سيدتي. الأمر كله مسألة «موضة»، وقد وُجدت دوماً صرعات موضة. أنتم لا ترونها كثيراً في الريف، ولكن المرء يرى كثيراً منهم في لندن.

- فظيعون... فظيعون جداً! مُخنثون وغريبو الشكل.

- ومع ذلك فإنهم لا يختلفون كثيراً عن الشخصيات التي رسمها فان دايك، ألا تظنين ذلك يا سيدتي؟ ولو رأيت الواحد منهم في إطار ذهبي وهو يرتدي ثوباً ذا ياقة مزركشة فلن تصفيه وقتها بالتخنث أو الغرابة.

- كيف يجرؤ على القدوم إلى هنا بهذا الشكل؟ كان من شأن أندرو أن يستشيط غضباً؛ فهذا الأمر يقلقه كثيراً. إن البنات مُقلقات جداً، كما أن أندرو لا يعرف نورما معرفة جيدة؛ فقد كان في الخارج منذ أن كانت طفلة، وقد ترك أمر تربيتها كلياً لأمها، وهو يجدها الآن لغزاً كاملاً بالنسبة له... وهكذا أجدها أنا أيضاً! لا أملك إلاّ أن أشعر بأنها فتاة من نوع غريب جداً. ليس لدى المرء نوع من السلطة

عليهن في هذه الأيام، ويبدو أنهن يُعجبن بأسوأ أنواع الشباب. إنها مولهة تماماً بهذا الشاب ديفيد بيكر، ولا يستطيع المرء فعل شيء. لقد منعه أندرو من دخول البيت، وانظر الآن كيف ظهر هنا، يمشي ببرود ما بعده برود. أظن... أكاد أظن أن من الأفضل أن لا أخبر أندرو بذلك؛ فلا أريد أن يقلق دون ضرورة. أظن أنها تخرج مع هذا الشاب في لندن، وليس معه فقط، فهناك بعضٌ ممن هم أسوأ حتى من ديفيد، من أولئك الذين لا يستحمّون ويطلقون شعرهم ولحاهم التي تنمو بشكل غريب ويلبسون ملابس قذرة.

قال بوارو بمرح: يجب أن لا تأسي كثيراً يا سيدتي؛ فطيش الشباب يمرّ وينقضي.

- آمل ذلك بالتأكيد. إن نورما فتاة صعبة جداً. أحياناً يُخيل إليّ أن في عقلها شيئاً، فهي غريبة الأطوار كثيراً، وتبدو أحياناً وكأنها غائبة عن العالم حقاً. ومواقف الكراهية تلك التي تتبناها...

- الكراهية؟

- إنها تكرهني، تكرهني حقاً... ولا أرى ضرورة لذلك. أحسب أنها كانت شديدة التعلق بأمها، ولكن من الطبيعي تماماً -في نهاية المطاف- أن يتزوج أبوها ثانية، أليس كذلك؟

- هل تظنين أنها تكرهك حقاً؟

- آه، بل أعرف أنها تكرهني. لديّ الكثير مما يثبت ذلك. لا تعلم كم ارتحتُ عندما ذهبَتْ إلى لندن. لم أشأ إثارة المشكلات...

ثم توقفت فجأة. بدا وكأنها أدركت لأول مرة أنها تتحدث مع غريب.

كانت لبوارو القدرة على إشاعة الثقة، وعندما يتحدث الناس إليه يبدو الأمر وكأنهم لا يكادون يدركون مع من يتحدثون. أطلقت ضحكة صغيرة الآن وقالت: يا إلهي، لا أدري حقاً لماذا أقول لك كل ذلك. أحسب أن لدى كل عائلة مثل هذه المشكلات. مسكينات نحن زوجات الأب، فنحن نعاني من ذلك كثيراً. حسناً، ها قد وصلنا.

دقت على أحد الأبواب فجاء من الداخل صوت جهوري عميق: تفضل، تفضل.

قالت ماري ريستاريك وهي تدخل الغرفة وبوارو وراءها: ها قد أتى زائر لرؤيتك يا خالي.

كان هناك عجوز عريض الكتفين مربع الوجه أحمر الوجنتين تبدو عليه حدة المزاج يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، وعلى الطاولة خلفه جلست فتاة ترتب الأوراق والرسائل. كان رأسها مُنكباً على تلك الأوراق، وكان رأساً أسود ممشد الشعر لامعه.

تقدم العجوز منهما متثاقلاً، وقالت ماري ريستاريك: هذا هو السيد هيركيول بوارو يا خال روديريك.

تقدم بوارو إلى الأمام برشاقة ليباشر عمله وكلامه: آه، السير ريستاريك، لقد مرت سنوات طويلة... طويلة جداً، منذ أن تشرفتُ بلقائك. علينا أن نعود بعيداً إلى أيام الحرب الأخيرة، وأحسب أن ذلك كان في نورماندي آخر مرة. لشدّما أذكر ذلك بوضوح. وكان

معنا أيضاً الكولونيل رايس والجنرال أبركرومبي، وأيضاً مارشال الجو السير إدموند كولينغزبي. ويا للقرارات التي اضطررنا لاتخاذها، وللصعوبات التي واجهتنا في مسألة الأمن! آه، لم تعد حاجة للسرية في هذه الأيام. أذكر كشف ذلك العميل السري الذي نجح في التخفي لفترة طويلة... إنك تذكر الكابتن هندرسن دون شك.

- آه، الكابتن هندرسن... بالفعل. يا إلهي، كم كان محتالاً وغداً! ولكن كشفناه!

- ربما لا تذكرني، أنا هيركيول بوارو.

- نعم، نعم، أذكرك بالطبع. آه، لقد كانت تلك نجاة بأعجوبة، بأعجوبة حقاً. كنتَ أنت ممثلاً للفرنسيين، أليس كذلك؟ وكان معنا واحد آخر أو اثنان، أحدهما لم أستطع الانسجام معه... لا أذكر اسمه. آه، حسناً، اجلس، اجلس. ليس أروع من الحديث عن الأيام الخوالي.

- لقد خشيتُ كثيراً أن لا تتذكرني أو تتذكر زميلي المسيو جيرو.

- نعم، نعم، أذكركما كليكما بالطبع. آه، كانت تلك هي الأيام... تلك هي الأيام حقاً.

نهضت الفتاة الجالسة خلف الطاولة، ثم حرّكت كرسياً باتجاه بوارو بأدب.

- جيد يا سونيا، جيد. دعني أُعرِّفكَ بسكرتيرتي الصغيرة الفاتنة هذه. إنها أعظم عون لي، فهي تساعدني كثيراً وتحفظ كل

عملي وملفاتي. لا أدري كيف كنتُ أعمل سابقاً دون وجودها.

انحنى لها بوارو بأدب قائلاً: تشرفنا.

تمتمت الفتاة بشيء جواباً له. كانت مخلوقة ضئيلة الجسم ذات شعر أسود قصير. بدت خجِلة، وكانت عيناها الزرقاوان الغامقتان تنظران عادة إلى الأسفل بتواضع، ولكنها ابتسمت بعذوبة وحياء لمخدومها. ربت الرجل على كتفها وقال: لا أدري ماذا كنتُ سأفعل دونها... لا أدري حقاً.

احتجت الفتاة قائلة: آه، كلا، إنني لستُ بارعة حقاً؛ فأنا لا أتقن الطباعة بسرعة كبيرة.

- بل تطبعين بسرعة كافية يا عزيزتي. وأنت ذاكرتي أيضاً، وعيناي وأذناي وأشياء كثيرة أخرى بالنسبة لي.

ابتسمت له ثانية، وبدأ بوارو حديثه: "يتذكر المرء بعضاً من القصص الممتازة التي كانت تدور. لا أدري إن كانت مُبالغاً بها أم دقيقة فعلاً، فمثلاً قصة ذلك اليوم الذي سرق فيه أحدهم سيارتك و..."، ومضى يتابع القصة.

وقد سُرّ السير روديريك بذلك وقال: ها، ها، بالطبع. نعم، بالتأكيد. حسناً، أظن أنه توجد بعض المبالغة، ولكن القصة كانت عموماً بهذا الشكل. نعم، نعم، تخيّل تذكُّرك لكل ذلك، بعد كل هذه السنين. ولكنني أستطيع أن أقصّ عليك واحدة أفضل من هذه القصة...

ثم شرع في رواية قصة أخرى. وقد أصغى بوارو له مشجعاً،

وأخيراً نظر إلى ساعته ونهض قائلاً: لا يجب أن أشغلك أكثر من ذلك. يمكنني أن أرى أنك مشغول بعمل مهم، ولكنني -إذ كنتُ هنا في المنطقة- لم أستطع إلاّ أن آتي لإلقاء التحية والتعبير عن الاحترام. إن السنين تمر، ولكني أرى أنك لم تفقد شيئاً من حيويتك واستمتاعك بالحياة.

- حسناً، يمكنك قول ذلك، ولكن لا ينبغي لك أن تُطريني كثيراً. يجب أن تبقى لتشرب بعض الشاي... أنا واثق أن ماري ستقدم لك بعض الشاي.

ثم نظر حوله وقال: آه، لقد ذهبت. إنها فتاة لطيفة.

- نعم، بالفعل، وجذابة جداً. أحسبها كانت مصدر ارتياح عظيم لك لعدة سنوات.

- آه! إنهما لم يتزوجا إلاّ مؤخراً، وهي الزوجة الثانية لابن أختي. وسأكون صريحاً معك: إنني لم آبه كثيراً لابن أختي هذا، أندرو... ليس بالرجل الجدي الملتزم وهو متقلب دوماً. لقد كان أخوه سايمون هو المفضل لديّ، رغم أنني لا أعرفه معرفة جيدة أيضاً. أما أندرو فقد تصرف بشكل سيء جداً مع زوجته الأولى، فقد سافر وتركها دون معين. وقد سافر مع امرأة سيئة جداً، وكان الجميع يعلمون بأمرها، ولكنه فُتن بها. وقد انهارت العلاقة كلها بعد عام أو عامين... رجل سخيف! الفتاة التي تزوجها لا بأس بها كما يبدو ولا عيب فيها بقدر معلوماتي. أما سايمون فقد كان رجلاً جدياً موثوقاً، رغم أنه ممل جداً. لا يمكنني القول أنني كنتُ مُشجعاً عندما تزوجت أختي من تلك العائلة. فقد كان زواجاً بأهل المهن كما تعلم.

أغنياء بالطبع، ولكن المال ليس كل شيء... لقد اعتدنا أن نتزوج ونزوّج لطبقة العاملين في الجيش. وأنا لم أرَ عائلة ريستاريك كثيراً.

- أحسب أن لديهم ابنة؟

- آه، نورما. فتاة سخيفة! تخرج بملابس فظيعة، ومع شاب فظيع أيضاً، من أولئك الشباب ذوي الشعر الطويل من دعاة هذه الحركة الجديدة الذين يطلقون على أنفسهم ما لا يُحصى من الأسماء. لا أستطيع تحملهم؛ فنحن نتكلم -عملياً- لغتين مختلفتين تماماً. ومع ذلك فلا أحد يريد الإصغاء لانتقادات رجل عجوز، وهكذا غدت حالنا. وحتى ماري... لقد رأيت فيها دوماً امرأة جيدة عاقلة، ولكنها -حسبما أرى- يمكن أن تصبح هستيرية تماماً في بعض الأمور... خاصة فيما يتعلق بصحتها؛ فقد دار كثير من اللغط حول ذهابها إلى المستشفى لمراقبة حالتها أو غير ذلك. لماذا لا تشرب شيئاً؟ ألا تشرب قهوة؟ كلا؟ هل أنت متأكد أنك لن تبقى قليلاً لتناول الشاي؟

- شكراً لك، ولكني مقيم مع بعض الأصدقاء.

- حسناً، لا بد لي من القول إنني استمتعتُ كثيراً بهذا الحديث معك. من الجميل أن يتذكر المرء بعض الأمور التي حدثت في غابر الأيام. عزيزتي سونيا، هل لك أن تصطحبي السيد... عفواً ما هو اسمك، لقد نسيته مرة أخرى... آه، نعم، بوارو. هل لك أن تصحبيه إلى ماري؟

سارع بوارو لاستبعاد ذلك بإشارة من يده قائلاً: "كلا، كلا. لا أريد أبداً إزعاج السيدة أكثر من ذلك. سأكون على ما يرام... على

ما يرام. أستطيع العثور على طريقي جيداً. لقد كانت سعادة عظيمة أن ألتقيك ثانية". ثم غادر الغرفة.

قال السير روديريك عندما غادر بوارو الغرفة: ليست لدي أدنى فكرة عن هوية هذا الرجل!

سألته سونيا وهي تنظر إليه بدهشة: ألا تعرف من هو؟

- إنني لا أعرف نصف أولئك الناس الذين يأتونني ويتحدثون إليّ في هذه الأيام، وأضطر -طبعاً- لأن أخمن هوياتهم تخميناً... ويتعلم المرء كيف ينجح في تفادي الحرج في هذا الأمر. نفس الشيء يحدث في الحفلات؛ يأتيني رجل ويقول: "ربما لا تذكرني. لقد رأيتك آخر مرة عام ١٩٣٩". وأضطر للقول: "بل أتذكر بالطبع"، ولكني لا أتذكر. إنه لأمر فظيع أن يكون المرء على شفا العمى والصمم. لقد عقدنا صداقات مع العديد من الفرنسيين أمثال هذا عند نهاية الحرب، ولكني لا أذكر نصفهم. آه، ولكنه كان هناك بالتأكيد. إنه يعرفني، وأنا أعرف العديد ممن تحدث عنهم. تلك القصة عن سرقة سيارتي كانت صحيحة تماماً. تمت المبالغة بها قليلاً بالطبع، فقد جعلوا منها قصة مثيرة تماماً في حينها. حسناً، لا أظنه عرف أنني لم أتذكره. أظنه رجلاً ذكياً، ولكنه فرنسي حتى العظم، أليس كذلك؟ بكل هذه الرقة المفتعلة والتراقص والانحناء ورجله إلى الخلف. حسناً، والآن، أين كنا؟

أخذت سونيا رسالة وسلمتها له، ثم قدمت له -بحذر- النظارة التي رفضها فوراً قائلاً: لا أريد هذه النظارة التعِسة... بوسعي أن أرى جيداً.

ضيّق عينيه وحدق إلى الرسالة التي كان يمسك بها، ثم استسلم ورماها ثانية إليها قائلاً: ربما كان من الأفضل أن تقرئيها عليّ.

بدأت بقراءتها بصوتها الواضح الرقيق.

* * *

الفصل الخامس

وقف هيركيول بوارو على استراحة الدرج للحظة. كان رأسه مائلاً قليلاً إلى الجانب كمن يُصغي لشيء. لم يستطع سماع شيء من الطابق السفلي، ومشى إلى نافذة الدرج ونظر منها إلى الخارج. كانت ماري ريستاريك في الأسفل على المصطبة الخارجية تعاود عملها في الحديقة. أومأ بوارو برأسه علامة الرضا، ثم مشى بهدوء في الممر، وفتح أبواب الغرف واحداً بعد الآخر. غرفة حمام، وخزانة لحفظ البياضات، وغرفة احتياطية ذات سريرين، وغرفة نوم مشغولة ذات سرير واحد، وغرفة امرأة ذات سريرين (أتراها غرفة ماري ريستاريك؟). أما الغرفة التالية فقد كانت متصلة بالغرفة التي قبلها بباب، ورأى أنها ربما كانت غرفة أندرو ريستاريك. عاد ليتفقد الجانب الآخر من استراحة الدرج، وكان أول باب فتحه باباً لغرفة مفردة، ورأى أنها لم تكن مشغولة حالياً، ولكن ربما كانت غرفة يتم استخدامها في عطلات نهاية الأسبوع. وكان على طاولة الزينة فيها أكثر من فرشاة لأغراض التجميل. أصغى بانتباه، ثم دخل على رؤوس أصابعه، وفتح خزانة الملابس. نعم، كانت توجد بعض الملابس المُعلّقة هناك... ملابس ريفية.

كانت توجد أيضاً طاولة كتابة، ولكن لا يوجد عليها شيء. فتح أدراجها بكل هدوء فوجد أغراضاً منوعة، ورسالة أو اثنتين، ولكن الرسالتين كانتا تدوران حول أمور تافهة ويعود تاريخهما إلى زمن بعيد نسبياً. أغلق الأدراج، ثم نزل إلى الطابق الأرضي وخرج من البيت مودِّعاً مضيفته. وقد رفض دعوتها لتناول الشاي قائلاً إنه وعد بالعودة لأنه مضطر للحاق بقطار إلى المدينة ينطلق بعد وقت قصير.

قالت له السيدة ريستاريك: ألا تريد سيارة أجرة؟ يمكننا أن نطلب لك واحدة منها، أو يمكنني أن أوصلك بسيارتنا.

- لا، لا يا سيدتي. إنك في غاية اللطف.

مشى بوارو عائداً باتجاه القرية، ثم انعطف وسار في طريق محاذٍ للكنيسة، ثم عبَرَ جسراً صغيراً مُقاماً فوق جدول، وما لبث أن وجد نفسه حيث كانت سيارةٌ ضخمة مع سائقها تنتظره بتكتُّم تحت إحدى أشجار الزان. فتح السائق باب السيارة فدخلها بوارو وجلس ونزع حذاءه الجلدي وهو يتنهد بارتياح قائلاً: والآن نعود إلى لندن.

أغلق السائق الباب وعاد إلى مقعده، وانطلقت السيارة بهدوء. لم يكن مرأى شاب -يقف على طرف الطريق رافعاً إبهامه بغضب طَلباً لسيارة تُقلُّه- غريباً مُستهجناً، وقد استقرت عين بوارو بشيء من عدم الاهتمام على شاب كهذا يرتدي ملابس زاهية الألوان وقد طال شعره وبدا غريب الشكل. لقد كان يوجد الكثير من أمثال هذا الشاب، ولكن ما أن تجاوزته السيارة حتى اعتدل بوارو فجأة في

جلسته وقال للسائق: توقف من فضلك. نعم، وإذا أمكن أن تعود قليلاً إلى الخلف... هناك من يطلب منا أن نُقلّه معنا.

أدار السائق عيناً غير مُصدقة لبوارو، فقد كانت تلك آخر ملاحظة من شأنه أن يتوقعها، ولكنه لزم الطاعة إذ رأى بوارو يومئ برأسه مؤكداً.

تقدم الشاب المدعو ديفيد إلى الباب وقال بمرح: ظننتُ أنكم لن تقفوا لي... أنا ممتنٌّ كثيراً.

ثم صعد إلى السيارة، فنزع حقيبة صغيرة كان يعلقها على كتفه وتركها تنزلق إلى الأرض، ثم مسّد خصلات شعره البنية بلون النحاس وقال: لقد ميّزتَني إذن.

قال له بوارو: ربما كان ذلك لأنك ترتدي ملابس ملفتة للنظر إلى حدٍّ ما.

- آه، أوتظن ذلك؟ ليس كثيراً. إنني مجرد واحد من مجموعة من الإخوة.

- أتباع مدرسة فان دايك التي تُعنى كثيراً بتزويق الملابس.

- آه، أنا لم أفكر في الأمر على هذا النحو. ولكن نعم، قد يكون فيما تقوله شيء من الصحة.

- ينبغي لك أن ترتدي قبعة الفرسان مع ياقة مزركشة، إن كان لي أن أنصح بذلك.

- آه، لا أحسب أننا نذهب بعيداً إلى هذا الحد.

ثم ضحك الشاب ومضى قائلاً: هل رأيت كيف تكره السيدة ريستاريك مجرد رؤيتي؟ وأنا أبادلها الكراهية عملياً، كما لا أهتم كثيراً بزوجها أيضاً. إن في حيتان المال الناجحين شيئاً شديد القبح، ألا ترى ذلك؟

- هذا يعتمد على الزاوية التي ينظر المرء منها. لقد فهمتُ أنك كنتَ تصرف اهتمامك للابنة.

- هذه عبارة لطيفة... صرف الانتباه للابنة، وأحسب أن بوسعك أن تسمي الأمر هكذا. ولكن يوجد الكثير من التبادل في هذا الأمر، فهي تصرف انتباهها لي أيضاً.

- أين هي الآنسة الآن؟

التفت ديفيد إليه بشيء من الحدة وقال: ولماذا تسأل عن ذلك؟

رفع بوارو كتفيه بعدم اكتراث وقال: أود مقابلتها.

- لا أظنها ستكون من النوعية التي تروق لك، كما هو حالي أنا أيضاً. إن نورما في لندن.

- ولكنك قلتَ لزوجة أبيها...

- آه! إننا لا نقول كل الأشياء لزوجات الآباء.

- وأين هي في لندن؟

- إنها تعمل في مكتب للديكور الداخلي في شارع كنغز رود، في مكان ما من تشيلسي. لا أستطيع تذكر اسم الشركة الآن. أظنها تُدعى سوزان فيلبس.

- ولكني أظن أن هذا ليس هو المكان الذي تعيش فيه. هل لديك عنوانها؟

- آه، نعم، إنه مجمع كبير للشقق. ولكني لا أفهم حقاً سبب اهتمامك.

- إن المرء مهتم بالكثير من الأمور.

- ماذا تعني؟

- ما الذي جاء بك اليوم إلى ذلك البيت (ما هو اسمه، أهو كروسهيدجيز؟). ما الذي جاء بك سراً لتدخل البيت وتصعد إلى الطابق العلوي؟

- أعترف أنني دخلتُ من الباب الخلفي.

- ما الذي كنتَ تبحث عنه في الطابق العلوي؟

- هذا شأني أنا. لا أريد أن أكون وقحاً... ولكن ألا ترى أنك تدس أنفك أكثر من اللازم؟

- بلى، إنني أُظهر فضولاً. أود أن أعرف بالضبط أين هي تلك الفتاة.

- فهمت. إن العزيز أندرو والعزيزة ماري -قبحهما الله- يستخدمانك لهذا الغرض، أليس كذلك؟ هل يحاولان العثور عليها؟

- لا أظنهما يعرفان -حتى الآن- أنها مفقودة.

- لا بد أن أحداً يستخدمك.

قال بوارو وهو يتكئ في مقعده: أنت شديد النباهة.

- لقد تساءلتُ عن حقيقة ما تسعى إليه؛ ولذلك لوّحت لسيارتك. رجوتُ أن تقف وتعطيني معلومة ما. إنها فتاتي، أحسب أنك تعرف ذلك؟

قال بوارو بحذر: لقد فهمتُ أن هذه هي الفكرة المُفترضة. وإن كان الأمر كذلك فيجب أن تعرف أين هي، أليس كذلك يا سيد... أنا آسف، لا أحسبني أعرف اسمك... أعني باستثناء اسمك الأول، ديفيد.

- بيكر.

- ربما كنتما قد تشاجرتما يا سيد بيكر.

- كلا، لم نتشاجر. لماذا عساك تظن أننا تشاجرنا؟

- لقد غادرت الآنسة نورما ريستاريك منزل كروسهيدجيز مساء الأحد، أم أن ذلك كان صباح الاثنين؟

- هذا يعتمد عليها. توجد حافلة مبكرة يمكن للمرء أن يستقلها، وهي توصلك إلى لندن بعد الساعة العاشرة بقليل. وهذا سيجعلها تتأخر قليلاً عن عملها، ولكن ليس ذلك بالتأخر الطويل. ولكنها تعود -عادةً- مساء الأحد.

- لقد غادرت هناك ليلة الأحد، ولكنها لم تصل إلى بورودين مانشينز.

- هذا ما يبدو. هذا ما تقوله كلوديا.

- تلك الآنسة ريسلاند... أليس هذا هو اسمها؟... ألم تُدهَش أو تقلق؟

- يا إلهي، أبداً. ولماذا عساها تُدهش أو تقلق؟ إن أولئك الفتيات لا يحصي بعضهن تحركات بعض طول الوقت.

- ولكنكَ ظننتَ أنها عائدة إلى هناك؟

- إنها لم تعد إلى العمل أيضاً، ويمكنني أن أؤكد لك أن المسؤولين عنها قد سئموا هذا الوضع.

- هل أنت قلق يا سيد بيكر؟

- كلا. من الطبيعي أني... حسناً، والله إني لا أعرف. إنني لا أرى سبباً يدعوني للقلق، إلاّ أن الأيام تمر. ما هو اليوم... أهو الخميس؟

- ألم تتشاجر معك؟

- نعم، لم نتشاجر.

- ولكنك قلق عليها يا سيد بيكر، أليس كذلك؟

- وما شأنك أنت بهذا؟

- ليس هذا من شأني، ولكني فهمتُ أن مشكلات قد حدثت في البيت. إنها لا تحب زوجة أبيها.

- إن نورما تكون غير متزنة تماماً في بعض الأحيان؛ فهي تكره بعمق. إن الفتيات يكرهن دوماً زوجات آبائهن.

- وهل يجعل هذا زوجاتِ الأب يمرضن دوماً؟ ويمرضن إلى حدٍّ يستدعي أخذهن إلى المستشفى؟

- ما الذي تريد الوصول إليه بالله عليك؟

- ربما البستنة... أو استخدام مبيدات الأعشاب الضارة.

- ما الذي تعنيه بحديثك عن مبيدات الأعشاب؟ هل تُلمِّح إلى أن نورما... إلى أنها قد فكرت... قد فكرت بذلك؟

- إن الناس يتكلمون، والكلام ينتشر في الجوار.

- أتعني أن البعض قالوا إن نورما قد حاولت تسميم زوجة أبيها؟ هذا هراء. هذا كلام سخيف جداً.

- أوافقك على أن هذا غير محتمل، ولكن الناس عملياً لم يقولوا ذلك.

- آه، أعتذر؛ لقد أسأتُ فهمك. ولكن... ما الذي عنيته بقولك؟

- يا فتاي العزيز، يجب أن تدرك أن شائعات تدور، والشائعات تكاد تحوم دوماً حول نفس الشخص... الزوج.

- ماذا، المسكين أندرو؟ أظن ذلك مستبعداً جداً.

- نعم. نعم، لا يبدو ذلك لي محتملاً كثيراً.

- حسناً، لماذا كنتَ هناك إذن؟ هل أنت رجل تحرٍّ بالفعل؟

- نعم.

- حسناً؟

- إننا نتكلم في اتجاهين مختلفين؛ فأنا لم أذهب هناك لبحث أية قضية تسمم مريبة أو محتملة. يجب أن تعذرني إن لم أستطع الإجابة على سؤالك، فالأمر كله في غاية الكتمان.

- ماذا تعني بذلك بالله عليك؟

- لقد ذهبتُ هناك لرؤية السير روديريك هورسفيلد.

- ماذا، ذلك العجوز؟ إنه خرِفٌ تماماً، أليس كذلك؟

- إنه رجل يملك أسراراً عظيمة كثيرة. وأنا لا أعني أنه يشارك في مثل هذه الأمور في الوقت الحاضر، ولكنه يعرف الكثير. لقد كان على علاقة بالكثير من الأمور الكبرى في الحرب الأخيرة. وقد عرف الكثير من الناس.

- ومع ذلك فقد انتهى كل ذلك منذ عهد بعيد.

- نعم، نعم، لقد انتهى دوره هو في الأمور منذ زمن بعيد. ولكن ألا تدرك أنه توجد أمور معينة يمكن للسير روديريك أن يميّزها ويتذكرها؟ ربما تذكّر وجهاً، أو سلوكاً معيناً، أو طريقة في الكلام، أو مشية معينة، أو إشارة. إن الناس يتذكرون، والعجائز يتذكرون، وهم لا يتذكرون الأمور التي حدثت قبل أسبوع أو شهر أو حتى سنة، ولكنهم يتذكرون شيئاً حصل قبل عشرين عاماً مثلاً. وقد يتذكرون شخصاً لا يريدُ أن يتذكره أحد. وقد يستطيعون إخبارك بأمور معينة حول رجل معين أو امرأة معينة أو حول شيء تورط به هذا الشخص أو تلك المرأة... إنني أتحدث بغموض شديد كما ترى. لقد ذهبتُ

إليه سعياً خلف معلومات.

- أصحيح أنك ذهبتَ إليه طلباً للمعلومات؟ مِن ذلك العجوز، الخرف؟ وهل أعطاك إياها؟

- لنقل إنني راضٍ تماماً.

مضى ديفيد يحدق إليه، ثم قال: إنني لأتساءل الآن، هل ذهبتَ لرؤية العجوز أم ذهبتَ لرؤية الفتاة الصغيرة؟ هل أردتَ أن تعرف ما الذي تفعله هي في البيت؟ لقد تساءلتُ أنا شخصياً عن ذلك مرة أو مرتين. أتظنها أخذت تلك الوظيفة هناك لتحصل على جزء من معلومات الماضي من العجوز؟

- لا أحسب أن مناقشتنا لمثل هذه الأمور ستخدم أي غرض مفيد. إنها تبدو شديدة الإخلاص والانتباه كـ... هل نقول كسكرتيرة؟

- يمكن أن نَصِفها بأنها مزيج من ممرضة وسكرتيرة ومرافِقة وفتاة تعمل مقابل إقامتها وطعامها وخادمة للخال العزيز؟ نعم، بوسع المرء أن يجد لها الكثير من المسمّيات، أليس كذلك؟ إنه مُتيّم بها. هل لاحظتَ ذلك؟

قال بوارو باقتضاب: ليس هذا بالغريب في مثل هذه الظروف.

- أستطيع أن أدلك على شخص لا يحبها، وهو صاحبتنا ماري.

- وربما كانت هي أيضاً لا تحب ماري ريستاريك.

- هذا إذن ما تراه، أليس كذلك؟ أن سونيا لا تحب ماري يستاريك. وربما مضيتَ أبعد من ذلك فرأيتَ أنها ربما قامت ببعض لتحريات عن مكان الاحتفاظ بقاتل الأعشاب؟

ثم أضاف قائلاً: ياه! الأمر كله سخيف. حسناً. شكراً لك على إيصالي. أظنني سأنزل هنا.

- آه، أهنا تريد أن تكون؟ إننا ما نزال على بعد سبعة أميال خارج لندن.

- سأنزل هنا... وداعاً يا سيد بوارو.

- وداعاً.

عاد بوارو فاتّكأ إلى ظهر كرسيه فيما صفق ديفيد باب السيارة.

* * *

ذرعت السيدة أوليفر غرفة جلوسها. كانت شديدة التململ والقلق. كانت قد حزمت -قبل ساعة- مخطوطة مطبوعة لرواية انتهت لتوها من تصحيحها، وكانت على وشك إرسالها إلى ناشرها الذي كان ينتظرها بفارغ الصبر ويُلحُّ عليها بشأنها كل بضعة أيام.

قالت وهي تخاطب الفراغ حولها وتشير إلى ناشرٍ وهميٍّ ابتدعته: خذها، ها هي، وأرجو أن تُعجبك! أما أنا فلا تعجبني. وأرى أنه مقرفة! لا أصدق أنك تعرف ما إذا كان أي شيءٍ أكتبه جيداً أم سيئاً. لقد حذرتُك على أية حال. لقد قلتُ لك إنها قصة فظيعة. وقد قلتَ: "آه! لا، لا. لا أصدق ذلك للحظة واحدة".

ثم قالت بشيء من التشفّي: انتظر، انتظر فقط وسترى.

فتحت الباب ونادت خادمتها إديث، فأعطتها الرزمة وأوصتها بأن تأخذها فوراً إلى مكتب البريد. ثم قالت لنفسها: والآن، ماذا أفعل بنفسي؟

بدأت تذرع الغرفة من جديد وهي تفكر قائلة لنفسها: نعم، ليتني أستعيد صور تلك الطيور الاستوائية وغيرها لتكون على الجدران بدلاً من هذه الكرزات السخيفة. لقد كنتُ أشعر وقتها وكأنني في غابة استوائية... وكأنني أسد أو نمر أو فهد! فما الذي يمكنني أن أشعر به وأنا في أيكةٍ من الكرز سوى أنني فزّاعة طيور؟

نظرت حولها ثانية وقالت بتجهم: "كان علي أن أسقسق الآن سقسقة العصافير وآكل الكرز... ليت الموسم كان موسم الكرز... إنني أشتهي بعض الكرز. إنني لأتساءل...". ثم مضت نحو الهاتف، وما لبث أن أتاها صوت جورج من الطرف الآخر قائلاً: نعم؟ سأتأكد من ذلك يا سيدتي.

ثم جاءها صوت آخر: هيركيول بوارو، في خدمتك يا سيدتي.

- أين كنت؟ لقد غبتَ طوال النهار. أظن أنك ذهبت لترى عائلة ريستاريك، أليس كذلك؟ هل رأيت السير روديريك؟ ما الذي كشفته؟

قال هيركيول بوارو: لا شيء.

- يا له من أمر مُضجر جداً!

- كلا، لا أظنه مُضجراً إلى هذا الحد. إنه لمن المدهش -إلى حدٍ ما- أنني لم أجد شيئاً.

- ولماذا هو مدهش؟ أنا لا أفهمك.

- لأنه يعني أحد أمرين: إما أنه لم يكن في الأمر ما يمكن اكتشافه (ودعيني أخبرك بأن ذلك لا ينسجم مع الحقائق)، أو أن شيئاً قد تم إخفاؤه بشكل ذكي جداً... ومن شأن ذلك أن يكون مثيراً. إن السيدة ريستاريك -بالمناسبة- لا تعرف أن الفتاة مفقودة.

- أتعني... أن لا علاقة لها باختفاء الفتاة؟

- هذا ما يبدو... وقد التقيتُ هناك بالشاب.

- أتعني الشاب الطائش الذي لا يحبه أحد؟

- نعم... الشاب الطائش.

- أتظنه كان طائشاً بالفعل؟

- من وجهة نظر مَنْ تسألين؟

- ليس من وجهة نظر الفتاة على أية حال.

- أنا واثق أن من شأن الفتاة التي أتت لرؤيتي أن تكون سعيدة جداً معه.

- هل بدا فظيعاً جداً؟

- بل بدا جميلاً جداً.

- جميلاً؟ لا أحسبني سأحب شاباً جميلاً.

- ولكن الفتيات يحببنه.

- نعم، أنت محقٌّ تماماً في ذلك... إنهن يحببن الشاب الجميل. وأنا لا أعني هنا ما يبدو عليه الشباب من وسامة أو سحر شخصية أو أناقة أو حتى نظافة. أعني أنهن يحببن أحد نوعين من الشباب: شباباً يبدون وكأنهم في طريقهم الآن لتمثيل مسرحية كوميدية من العصر الفكتوري، أو شباباً قذرين جداً وكأنهم مشردون.

- لقد بدا أنه لا يعرف أيضاً أين هي الفتاة الآن...

- أو أنه لا يعترف بمعرفته.

- ربما. لقد ذهب هو أيضاً إلى هناك. لماذا؟ وقد تجشم عناء الدخول دون أن يراه أحد. وأيضاً لماذا؟ ولأي سبب؟ هل كان يبحث عن الفتاة؟ أم كان يبحث عن شيء آخر؟

- أتظن أنه كان يبحث فعلاً عن شيء؟

- لقد كان يبحث عن شيء في غرفة الفتاة.

- كيف عرفت ذلك؟ هل رأيتَه هناك؟

- كلا، رأيته فقط وهو ينزل الدرج، ولكنني وجدت قطعة صغيرة من الطين الرطب في غرفة نورما مما يمكن أن يكون من حذائه. من الممكن أن تكون (هي شخصياً) قد طلبت منه أن يحضر لها شيئاً من غرفتها... توجد الكثير من الاحتمالات. وفي ذلك البيت فتاة أخرى... وهي فتاة جميلة. ربما ذهب هناك ليلتقي بها. نعم،

توجد احتمالات عديدة.

سألته السيدة أوليفر: ما هي خطوتك التالية؟

- لا شيء.

قالت السيدة أوليفر بشيء من التأنيب: هذا مُضجر جداً.

- ربما تلقيت بعض المعلومات من أولئك الذين استخدمتهم للحصول عليها، مع أن من الممكن أن لا أحصل على شيء أبداً.

- ولكن، ألن تفعل شيئاً؟

- لن أفعل شيئاً حتى تحين اللحظة المناسبة.

- حسناً، سأفعل أنا.

حذرها قائلاً: أرجوك، أرجوك كوني حذرة جداً.

- يا لهذا الهراء! ما الذي يمكن أن يحصل لي؟

- عندما تكون جريمة قتل يصبح كل شيء وارد الحدوث. إنني أقول لك ذلك، أنا هيركيول بوارو.

* * *

الفصل السادس

جلس السيد غوبي على كرسي. كان رجلاً ضئيل الجسم صغيراً أعجف، ليس فيه ما يميزه إلى الحد الذي لا يكاد المرء يلاحظ وجوده.

نظر بإمعان إلى رِجل طاولة قديمة أمامه ووجه كلامه إليها (فهو لا يوجه كلامه لأحد بشكل مباشر): يسعدني أنك حصلتَ لي على الأسماء يا سيد بوارو، وإلاّ لاستغرق الأمر منّا وقتاً طويلاً. أما الآن فلديّ الحقائق الرئيسة... وإلى جانبها بعض الأقاويل... وتلك مفيدة دائماً. سأبدأ بمجمع بورودين مانشينز، ما رأيك؟

أومأ بوارو برأسه بلطف.

قال السيد غوبي مخاطباً الساعة الموضوعة على رف الموقد: في المجمع الكثير من حراس المباني، وقد بدأتُ هناك، فاستخدمتُ شاباً أو اثنين مختلفين. كان ذلك مُكلفاً، ولكن الأمر يستحق ذلك. لم أشأ أن يُحس أحدٌ بأن أحداً يقوم بتحريات خاصة! هل أستخدم الأحرف الأولى أم أصرِّح بالأسماء؟

قال بوارو: ضمن هذه الجدران تستطيع التصريح بالأسماء.

- الآنسة كلوديا ريسلاند: يقال عنها إنها فتاة لطيفة جداً. أبوها عضو برلمان، وهو رجل طموح، وقد جعل اسمَه يظهر كثيراً في الأخبار. وهي ابنته الوحيدة، وتقوم بعمل السكرتارية. فتاة جدية، لا تشترك في حفلات ماجنة، ولا تشرب، وليست من أولئك الهيبيين المتشرين، وهي تتقاسم الشقة مع فتاتين أخريين. الفتاة الثانية تعمل في معرض ويديربيرن في شارع بوند... ممن يهتمون بالفنون. تشارك مجموعة تشيلسي حفلاتهم إلى حدٍ ما، وهي تتنقل من مكان إلى مكان لإقامة معارض فنية. الفتاة الثالثة هي فتاتك. لم تسكن هناك منذ فترة طويلة، والرأي العام عنها هو أنها ناقصة... ليست على ما يرام في عقلها... ولكن هذا الزعم مُبهمٌ قليلاً. إن أحد حراس البنايات من النوع الثرثار، ما أن تَدسّ في يده جنيهاً حتى تُدهَش لما سيخبرك به من أمور!.من الذي يشرب، ومن الذي يتعاطى المخدرات، ومن له مشكلات مع ضريبة الدخل، ومن الذي يخبئ ماله خلف خزان الماء. ولا يمكنك -طبعاً- أن تصدق كل ما يقول. ولكن رُويت قصة عن مسدس تم إطلاقه في إحدى الليالي.

- إطلاق مسدس؟ وهل أُصيب أحد؟

- يبدو أن في ذلك بعض الشكوك. يقول في قصته إنه سمع صوت عيار ناري في إحدى الليالي، فخرج ليجد الفتاة هناك، فتاتك أنت، واقفة هناك والمسدس بيدها، وبدا أنها ذاهلة تقريباً. وبعد ذلك جاءت إحدى الفتاتين الأخريتين... أو كلاهما في الواقع... جاءتا تركضان. وقالت الآنسة كاري (وهي العاملة في مجال الفن): "نورما، ما الذي فعلتِه بربك؟". فيما قالت الآنسة ريسلاند بحدة: "هل لك أن تصمتي يا فرانسيس. لا تكوني حمقاء!"، ثم أخذت المسدس من

الفتاة الأخرى قائلة: "أعطِني هذا" ودسّته في حقيبتها، ثم لاحظت وجود هذا الحارس، فذهبت إليه وقالت له -وكأنها تمازحه-: "لا بد أن ذلك أفزعك، أليس كذلك؟"، فقال لها إنه قد خاف بالفعل، فقالت له: "لا داعي لأن تقلق؛ فالحقيقة أننا لم نكن نعلم أن هذا المسدس محشو. كنا نتمازح فقط". ثم قالت: "وعلى أية حال فإذا ما سألك أحد أخبره أن الأمر على ما يرام". ثم قالت: "هيا يا نورما"، وأخذتها من ذراعها وقادتها إلى المصعد حيث مضت الفتيات الثلاث معاً. ولكن الحارس قال إنه بقي مرتاباً قليلاً في الأمر؛ ولذلك ذهب وبحث بعناية في الباحة.

خفّض السيد غوبي صوته واقتطف كلامه من دفتر ملاحظاته: وسأخبركم بأنني وجدتُ شيئاً بالفعل! وجدتُ بعض البقع الرطبة، وهذا مؤكد تماماً... وكانت نقاط دم. وقد لمستها بإصبعي، وأقول لكم ما أراه أنا: لقد تم إطلاق النار على أحدهم... على رجلٍ ما بينما كان يركض مبتعداً. صعدتُ إلى الطابق السادس وسألتُ إن كان بوسعي الحديث مع الآنسة ريسلاند. قلتُ لها: "أظن أنه ربما تم إطلاق النار على أحدهم يا آنسة". قلتُ لها: "في الباحة بعض نقاط الدم ". فقالت: "يا إلهي، ما أسخف ذلك! لقد توقعتُ أنك تعرف... لا بد أنها إحدى الحمائم". ثم قالت: "أنا آسفة إن كان ذلك قد أفزعك، ولكن انسَ الموضوع". ثم دسّت في يدي خمسة جنيهات... خمسة جنيهات كاملة! ومن الطبيعي أنني لم أفتح فمي بشيء بعد ذلك.

وبعد ذلك خرج بالمزيد من التفصيلات فقال: ورأيي هو أنها أطلقت طلقة عمياء على ذلك الشاب البائس الذي يأتي لرؤيتها. وأظن

أنهما تشاجرا وحاولت جهدها أن تُطلق النار عليه. هذا ما أعتقده. ولكن من قلّ كلامه قلّ خطؤه كما يقال، ولذلك فإنني لا أكرر القصة. وإن سألني أحدٌ أي سؤال فسأقول إنني لا أعرف شيئاً عما يسأله.

توقف السيد غوبي، وقال بوارو: هذا مثير.

- نعم، ولكن من المحتمل كثيراً أن تكون القصة كلها جملة أكاذيب؛ إذ لا يبدو أن أحداً آخر يعرف شيئاً عن هذا الأمر. توجد قصة عن عصابة من المجرمين الشباب الذين اندفعوا إلى باحة المباني في إحدى الليالي وجرت بينهم مشاجرة صغيرة... وسحبوا سكاكينهم وغير ذلك.

قال بوارو: فهمت، وهذا مصدر محتمل آخر للدماء في الباحة.

- ربما كانت الفتاة قد تشاجرت مع صديقها، وربما هددته بإطلاق النار عليه، فسمع الحارس ذلك وخلط القصة كلها بعضها ببعض... خاصة إذا ما كانت هناك سيارة اختنق محركها فأصبحت تُطلق أصواتاً كأصوات الطلقات.

قال بوارو وهو يتنهد: نعم، من شأن ذلك أن يفسِّر الأمور بشكل جيد.

قلب السيد غوبي ورقة أخرى من دفتر ملاحظاته وبحث عمّن يبوح له بهذه الصفحة من أسراره، وقد وقع اختياره على مدفأة كهربائية هذه المرة: شركة جوشوا ريستاريك المحدودة... شركة تمتلكها العائلة، وقد بدأت عملها قبل أكثر من مئة عام. سمعتُها

جيدة في لندن وتعاملاتها نزيهة دوماً، ولكنها ليست مشهورة جداً. أسسها جوشوا ريستاريك عام ١٨٠٥، وقد انطلقت بعد الحرب الأولى مع ازدياد هائل في استثماراتها في الخارج، وخصوصاً في جنوب وغرب أفريقيا وأستراليا.

سايمون وأندرو ريستاريك... آخر أبناء العائلة، وقد توفي سايمون -وهو الابن الأكبر- منذ نحو عام، وكانت زوجته قد توفيت قبل أعوام من ذلك. أما أندرو ريستاريك فيبدو أنه كان رجلاً قلقاً متقلباً، ولم يكن قلبه مُعلقاً حقاً بالشركة، رغم أن الجميع يقولون إن لديه الكثير من المقدرة. وقد هرب مع امرأة ما، تاركاً زوجته وابنةً له في الخامسة من عمرها. ذهب إلى جنوب أفريقيا وكينيا وأماكن أخرى متفرقة. ولم يُطلق امرأته، ولكنها ماتت قبل عامين بعد أن قضت فترة من الزمن مقعدة. يسافر كثيراً، ويبدو أنه يربح أموالاً في كل مكان يسافر إليه. وكان جلُّ عمله في امتيازات التنقيب عن المعادن، وقد ازدهر كل مشروع استلمه. وبعد وفاة أخيه بدا وكأنه قد قرر الاستقرار. كان قد تزوج ثانية ورأى أن أفضل ما يمكن أن يفعله هو أن يعود ويرعى ابنته. وهم يعيشون حالياً مع خالهم السير روديريك هورسفيلد. ولكن هذا مؤقت فقط، فالزوجة تبحث عن بيت في كل أنحاء لندن، ولا يهمهم ثمن البيت، فهم يتقلبون في الأموال.

تنهد بوارو وقال: أعرف. إن ما تلخصه لي الآن إنما هو قصة نجاح! الجميع يربحون المال... الجميع من أسرة جيدة ويحظون باحترام عالٍ. أقاربهم متميزون، وهم جميعاً ذوو سمعة طيبة في الدوائر التجارية. غير أن في السماء غيمة واحدة؛ فتاة يقال عنها إنها ناقصة قليلاً، فتاة تختلط مع شاب مريب أطلق سراحه ووضع قيد

المراقبة لأكثر من مرة. فتاة يمكن تماماً أن تكون قد حاولت تسميم زوجة أبيها، وهي إما أنها تعاني من هلوسات عقلية أو أنها ارتكبت جريمة! دعني أقُل لك إن أياً من هذا لا ينسجم مع قصة النجاح التي أحضرتَها لي.

هز السيد غوبي رأسه بحزن وقال بشيء من الغموض: في كل عائلة شخص...

- إن هذه السيدة ريستاريك امرأة صغيرة تماماً. لا أحسب أنها المرأة التي هرب الرجل معها أصلاً؟

- آه، كلا، فقد انفسخت تلك العلاقة بسرعة. كانت امرأة سيئة جداً بكل المقاييس، وعنيفة المزاج أيضاً. وقد كان مغفلاً إذ انخدع بها.

أغلق السيد غوبي دفتر ملاحظاته ونظر متسائلاً إلى بوارو وقال: هل تريد مني فعل شيء آخر؟

- نعم. أريد أن أعرف معلومات أكثر قليلاً عن زوجة أندرو ريستاريك الراحلة. لقد كانت مقعدة، وكانت غالباً في المصحات. في أي نوع من المصحات كانت؟ أكانت مصحات عقلية؟

- فهمتُ قصدك يا سيد بوارو.

- وأي تاريخ عن عِرق جنون في العائلة... في أي من جانبيها.

- سأتولى تنفيذ ذلك يا سيد بوارو.

نهض السيد غوبي واقفاً وقال: سأذهب إذن يا سيدي. طابت ليلتك.

بقي بوارو يتأمل بعد أن غادر السيد غوبي، وقد رفع حاجبيه وأنزلهما وهو يفكر. وتساءل وتعجب... تعجب كثيراً.

ثم اتصل بالسيدة أوليفر وقال لها: لقد أوصيتك من قبل أن تكوني حذرة. وأكرر ذلك... كوني حذرة جداً.

- حذرة من ماذا؟

- من نفسك. أظن أنه قد يوجد خطر... خطر على أي شخص يذهب ليدس أنفه حيث لا يريد أحد له ذلك. في الجو جريمة قتل... ولا أريدك أن تكوني أنت الضحية!

- هل تلقيت المعلومات التي قلتَ إنك قد تتلقاها؟

- نعم، لقد حصلتُ على بعض المعلومات. معظمها شائعات وأقاويل، ولكن يبدو أن شيئاً قد حدث في بورودين مانشينز.

- شيء مثل ماذا؟

- دم في باحة المباني.

- يا لبرودك! هذا يشبه تماماً عنوان قصة بوليسية من الطراز القديم. «بقعة على الدرج». أعني أنك في هذه الأيام ينبغي أن تقول شيئاً أقرب إلى: «فتاة سعت إلى موتها».

- ربما لم تكن في الباحة دماء، وربما لم يكن ذلك سوى

ما رآه خيال حارس أيرلندي.

- ربما كانت زجاجة حليب اندلق بعض ما فيها... لا يمكنه أن يميِّز ذلك في الليل. ما الذي حدث؟

لم يجبها بوارو بشكل مباشر بل قال: لقد ظنت الفتاة أنها "ربما ارتكبت جريمة قتل". أكانت تلك هي الجريمة التي قصدتها؟

- أتعني أنها أطلقت النار فعلاً على أحد؟

- يمكن للمرء أن يفترض أنها أطلقت النار على أحد، ولكنها لم تصبه بأي شكل. بضع نقاط من الدم... كان ذلك كل ما هو موجود، ولم توجد جثة.

- آه يا عزيزي، الأمر مُربك جداً! من المؤكد أنه إذا كان باستطاعة أي امرئ أن يخرج من الباحة راكضاً فليس من شأنك أن تظن أنك قد قتلته، أليس كذلك؟

قال بوارو: يصعب ذلك.

ثم أغلق السماعة.

* * *

قالت كلوديا ريسلاند: إنني قلقة.

ثم أعادت ملء كوبها من إبريق القهوة، وتثاءبت فرانسيس كاري ثُؤَباء عظيمة. كانت الفتاتان تتناولان طعام إفطارهما في المطبخ الصغير للشقة، وكانت كلوديا قد ارتدت ملابسها واستعدت للانطلاق

إلى عملها. أما فرانسيس فكانت ما زالت في ملابس نومها التي لبست فوقها رداء، وقد سقط شعرها الأسود فوق إحدى عينيها.

مضت كلوديا قائلة: إنني قلقة على نورما.

تثاءبت فرانسيس ثم قالت: ما كنتُ لأقلق لو كنتُ مكانك. أظنها ستخابرنا أو تظهر عاجلاً أو آجلاً.

- هل ستظهر حقاً؟ لا أستطيع منع نفسي من التساؤل...

- لا أرى سبباً لذلك.

قالت فرانسيس ذلك وصبت لنفسها مزيداً من القهوة التي ارتشفت منها بارتياب ومضت قائلة: أعني... أن نورما ليست من شأننا حقاً، أليس كذلك؟ أعني أننا لا نُشرف عليها أو نُطعمها بالملعقة... إنها مجرد شريكة في الشقة. فلماذا كل هذا الحدب وهذه الأمومة؟ ما كنتُ لأقلق بالتأكيد.

- بلى، ما كنتِ لتقلقي أنت؛ فأنت لا تقلقين أبداً على أي شيء. ولكن الأمر بالنسبة لك ليس كحاله بالنسبة لي أنا.

- ولماذا لا يكون كحاله؟ أتعنين أن ذلك ناتج عن كونك المستأجرة الأساسية للشقة مثلاً؟

- يمكنك القول إنني في موقف خاص بعض الشيء.

أطلقت فرانسيس تؤباء عظيمة أخرى وقالت: لقد تأخرتُ كثيراً في السهر ليلة أمس، في حفلة بيسل. أشعر بحالة فظيعة. ولكن لا بأس، أظن أن القهوة الثقيلة ستكون مفيدة. ألا تصبين لنفسك

المزيد منها قبل أن آتي عليها كلها؟ سيجعلنا بيسل نجرب بعض الحبوب الجديدة... يسمونها أحلام الزمرد. لا أظن حقاً أن الأمر يستحق تجربة كل هذه الأمور السخيفة.

قالت لها كلوديا: ستتأخرين عن معرضك.

- لا بأس، لا أظن أن ذلك يهم كثيراً؛ فلا أحد ينتبه أو يهتم. لقد رأيتُ ديفيد ليلة أمس. كان متأنقاً، وبدا حقاً رائعاً جداً.

- إياك أن تقولي إنك أنت أيضاً واقعة في حبه يا فرانسيس. إنه فظيع جداً بالفعل.

- أعرف أن هذا هو رأيك. أنت من النوع التقليدي جداً يا كلوديا.

- أبداً. ولكن لا أستطيع القول إنني أهتم بكل مجموعتك الفنية تلك، ممّن يتعاطون تلك المخدرات حتى يغمى عليهم أو يتقاتلوا كالمجانين.

بدت فرانسيس مستمتعة وقالت: أنا لست مدمنة مخدرات يا عزيزتي... ولكني أحب فقط أن أرى كيف هي تلك الأشياء. وبعض أفراد المجموعة لا بأس بهم. إن بوسع ديفيد -مثلاً- أن يرسم لو أراد ذلك.

- مع أن ديفيد لا يرغب بذلك غالباً، أليس كذلك؟

- أنت دوماً متحاملة عليه يا كلوديا... إنك تكرهين قدومه إلى هنا لرؤية نورما وتشحذين سكينك لطرده! وبمناسبة الحديث عن السكاكين...

- نعم؟ ماذا بشأن السكاكين؟

قالت فرانسيس ببطء: لقد كنتُ أفكر بقلق فيما إذا كان عليّ أن أُخبرك بأمر ما أم لا.

نظرت كلوديا إلى ساعتها وقالت: لا وقت لديّ الآن. يمكنك أن تخبريني بذلك مساء اليوم إن كنتِ تريدين إخباري بشيء. وعلى أية حال فلستُ في مزاج يسمح بذلك. آه، يا إلهي، ليتني أعرف ماذا ينبغي أن أفعل.

- بشأن نورما؟

- نعم. إنني أتساءل فيما إذا كان من الواجب أن يعلم والداها بأننا لا نعرف أين هي...

- من شأن ذلك أن يكون غير لائق إطلاقاً. مسكينة نورما، لماذا لا تستطيع أن تسافر وتخرج بمفردها إن كانت تريد ذلك؟

- إن نورما ليست بالضبط...

- نعم، إنها ليست كذلك بالفعل، أليس كذلك؟ غير متزنة عقلياً. هذا ما قصدتِهِ. هل اتصلتِ بذلك المكان الفظيع الذي تعمل فيه؟ آه، نعم، لقد اتصلتِ بالطبع. تذكرت.

سألت كلوديا: أين هي إذن؟ هل قال ديفيد شيئاً ليلة أمس؟

- لم يبدُ أن ديفيد يعرف. ولكن ما بك يا كلوديا؟ لا أرى أن ذلك يهم.

- إنه مهم بالنسبة لي؛ لأن صاحب الشركة التي أعمل فيها صدف وأن كان والدها، وإذا ما حدث لها أمر غريب فإنهم سيسألونني عاجلاً أو آجلاً لماذا لم أذكر حقيقة أنها لم تأتِ إلى البيت.

- نعم، أحسب أن من الممكن أن يختاروا مساءلتك أنت. ولكن ليس من سبب حقيقي يجعل نورما مضطرة لأن توافينا بتقرير في كل مرة تنوي فيها السفر ليوم أو يومين... أو حتى لبضع ليالٍ. أعني أنها لا تسكن مع عائلة. أنت لستِ مسؤولة عن الفتاة.

- نعم، ولكن السيد ريستاريك قد أشار فعلاً إلى أنه شعر بالسعادة لمعرفته بأنها حصلت على غرفة هنا معنا.

- وهل يعطي هذا لك أنت الحق في الذهاب والثرثرة بشأنها في كل مرة تغيب فيها دون إذن؟ ربما تعلقت فجأة برجل جديد.

- إنها متعلقة بديفيد. أأنت واثقة أنها ليست مختبئة في بيته؟

- آه، لا أظن ذلك. فالحقيقة أنه لا يحبها حقاً.

- أنت تحبين الاعتقاد بأن ديفيد لا يحبها لأنك -شخصياً- مُعجبة به.

قالت فرانسيس بحدة: كلا بالتأكيد. لا يوجد شيء من ذلك.

- ديفيد متعلق بها حقاً. ولولا ذلك، لماذا جاء هنا ليبحث عنها قبل أيام؟

- ولكنك سرعان ما أخرجتِه من جديد.

ثم أضافت فرانسيس وهي تنهض وتنظر إلى وجهها في مرآة صغيرة موضوعة في المطبخ: أظن، أظن أنني ربما كنتُ أنا من جاء حقاً لرؤيتها.

- أنت سخيفة جداً! لقد جاء هنا بحثاً عن نورما.

- تلك الفتاة مجنونة.

- أحياناً أظن حقاً أنها كذلك!

- ولكني أعرف أنها مجنونة. اسمعي يا كلوديا، سأخبرك عن ذلك الأمر الآن؛ إذ يجب أن تعرفي. لقد انقطع مطاط تنورتي قبل أيام، وكنت مُستعجلة. وأعرف أنك لا تحبين أن يعبث أحد بأغراضك...

- لا أحب ذلك بالتأكيد.

- ... ولكن نورما لا تهتم لذلك، أو لا تلاحظه. على أية حال، ذهبتُ إلى غرفتها وبحثتُ في دُرجها فوجدتُ... فوجدتُ شيئاً... سكيناً.

قالت كلوديا بدهشة: سكين! أي نوع من السكاكين؟

- أتذكرين تلك الضجة التي حدثت عندنا في الباحة؟ تلك المجموعة من الهيبيين المراهقين الذين أتوا هنا وتشاجروا بالسكاكين التي يُفتحُ نصلها بكبسة زر، وقد دخلت نورما بعد ذلك مباشرة.

- نعم، نعم. أذكر ذلك.

- أحد الفتيان كان قد طُعن واستطاع الهروب... هذا ما قاله لي أحد الصحفيين. وقد كانت السكين في دُرج نورما من تلك السكاكين نفسها. وعليها بقعة... وتبدو وكأنها دمٌ جاف.

- فرانسيس! إنك تبالغين مبالغة سخيفة.

- ربما. ولكنني واثقة أن تلك كانت بقعة دم. وماذا تفعل سكين كهذه في دُرج نورما بالله عليك؟ هذا ما أود معرفته.

- أظن... أنها ربما أخذتها عن الأرض.

- ماذا؟ تذكاراً؟ وخبأتها في درجها دون أن تخبرنا بالأمر؟

- ماذا فعلتِ بها؟

قالت فرانسيس ببطء: أعدتُها إلى مكانها. لم... لم أعرف ما الذي يمكن أن أفعله غير ذلك. لم أستطع أن أقرر هل أخبرك بذلك أم لا. وبعد ذلك عدتُ لأنظر إليها بالأمس فوجدتها قد اختفت يا كلوديا. لا أثر لها.

- أتظنين أنها أرسلت ديفيد إلى هنا ليأخذها؟

- ربما فعلت ذلك... اسمعي يا كلوديا، في المستقبل سوف أُبقي باب غرفتي مُقفلاً في الليل.

* * *

الفصل السابع

استيقظت السيدة أوليفر وهي تشعر بعدم الرضا. رأت أمامها يوماً ممتداً لا عمل لها فيه. فبعد أن رزمت وأرسلت مخطوطتها الكاملة بشعور عال من الاستقامة انتهى عملها. لم يكن أمامها الآن -كما في مرات عديدة سابقة- إلاّ أن ترتاح وتسترخي وتمتع نفسها... أن تستلقي بكسل حتى يصبح الحافز الإبداعي فاعلاً نشيطاً من جديد. مشت في أنحاء شقتها على غير هدىً، تلمس الأغراض، وتأخذها، ثم تعيدها إلى مكانها، وتنظر في أدراج مكتبها مُدرِكةً أن فيها الكثير من الرسائل التي ينبغي الرد عليها، ولكنها كانت تشعر أيضاً بأنها -في حالة الإنجاز العظيم الذي تُحس به الآن- لن تتعامل بالتأكيد مع أية مهمة مملة كهذه. لقد أرادت القيام بشيء مثير. أرادت... ما الذي أرادته؟

فكرت بالحديث الذي تبادلته مع هيركيول بوارو والإنذار الذي وجهه لها. إنذار سخيف! فلماذا لا تشارك في حل هذه المشكلة التي تشترك فيها مع بوارو؟ ربما اختار بوارو أن يجلس على كرسي ويضع رؤوس أصابعه بعضها مقابل بعض ويترك العنان لخلايا دماغه الرمادية لتعمل بينما يتمدد جسمه مستريحاً بين أربعة جدران. لم يكن

هذا بالأسلوب الذي يروق لأريادني أوليفر. كانت قد قالت بكل قوة إنها ستفعل شيئاً على الأقل. كانت تريد كشف المزيد عن هذه الفتاة الغامضة. أين هي نورما ريستاريك؟ ما الذي تفعله؟ وما هي الأشياء الأخرى التي تستطيع هي، أريادني أوليفر، أن تكشفها عنها؟

مضت السيدة أوليفر تذرع البيت وجزعها في ازدياد. ما الذي يمكن للمرء أن يفعله؟ لم يكن من السهل تقرير ذلك. أتذهب إلى مكان ما وتطرح أسئلة؟ هل تذهب إلى لونغ بيسنغ؟ ولكن بوارو قد ذهب إلى هناك، ويُفترض أنه قد كشف كل ما يمكن كشفه. وما هو العذر الذي يمكن أن تطرحه لمجيئها إلى بيت السير روديريك هورسفيلد؟

فكرت بزيارة أخرى إلى بورودين مانشينز. هل يكون هناك شيء يمكن اكتشافه؟ سيتعين عليها أن تفكر بعذر آخر للذهاب إلى هناك. لم تكن واثقة تماماً من طبيعة العذر الذي يمكن أن تبسطه، ولكن ذلك بدا -على أية حال- المكان الوحيد الذي يمكن العثور فيه على معلومات إضافية. كم هي الساعة؟ العاشرة صباحاً. كانت أمامها احتمالات معينة...

في طريقها إلى المكان لفّقت عذراً، رغم أنه لم يكن عذراً وجيهاً جداً. ولقد كان من شأن السيدة أوليفر -في الحقيقة- أن تحب العثور على عُذر أكثر سحراً وإثارة، ولكنها فكرت بتعقل بأنه ربما كان من الأفضل أن تُبقي عذرها عادياً ومقبولاً. وصلت إلى مجمع بورودين مانشينز العالي المهيب رغم تجهمه، ومشت ببطء حول الباحة وهي تنظر إلى المجمع.

كان هناك حارس يتحدث مع شاحنة لنقل الأثاث... وجاء

موزِّع الحليب وهو يدفع عربته فانضم إلى السيدة أوليفر قرب مصعد الخدمات. طقطق بزجاجاته وهو يصفر بمرح بينما استمرت السيدة أوليفر تحدق بشرود إلى شاحنة الأثاث.

قال موزِّع الحليب وقد أخطأ تفسير اهتمام السيدة أوليفر: "الشقة ٧٦ تنتقل". ثم نقل مجموعة من زجاجاته من العربة إلى المصعد وقال وهو يخرج ثانية: وهذا لا يعني أنها لم تنتقل أصلاً، بمعنى من المعاني.

بدا موزِّع حليب مرحاً. أشار بإبهامه إلى الأعلى وقال: ألقت بنفسها من النافذة... من الطابق السابع... قبل أسبوع فقط. في الساعة الخامسة صباحاً. اختيار مُضحك للوقت!

ولكن السيدة أوليفر لم تجد ذلك مضحكاً. قالت: لماذا؟

- لماذا فعلت ذلك؟ لا أحد يعرف. يقال إن توازنها العقلي قد اختل.

- هل كانت... شابة؟

- آه، كلا! بل امرأة عجوز لا يقل عمرها عن الخمسين.

عالج رجلان في الشاحنة بجهد كبير طاولة أدراج ثقيلة، وقد وجدا عنتاً فيها، وانزلق دُرجان من خشب المهاغوني إلى الأرض... طارت منهما ورقة باتجاه السيدة أوليفر التي التقطتها.

صاح موزع الحليب المرح مؤنباً: "لا تحطم كل شيء يا تشارلي". ثم صعد بالمصعد مع حمولته من الحليب.

اندلع نقاش حاد بين الرجلين اللذين ينقلان الأثاث، وقدمت لهما السيدة أوليفر الورقة، ولكنهما نحّياها بإشارة من أيديهما.

دخلت السيدة أوليفر المبنى وقد حزمت أمرها، وصعدت إلى الشقة ٦٧، وهناك خرجت من الشقة أصوات قرقعة. وما لبثت أن فتحت الباب امرأة في أواسط عمرها ومعها ممسحة، وبدا واضحاً أنها تعمل في تنظيف الشقق.

قالت السيدة أوليفر مفتتحة حديثها بالهتاف القصير المحبب إلى قلبها: آه... صباح الخير. هل... هل في الداخل أحد؟

- لا، لا يوجد أحد يا سيدتي. جميعهن خارجات؛ لقد ذهبن إلى العمل.

- نعم، بالطبع... الحقيقة أنني نسيتُ مفكرتي الصغيرة هنا عندما جئتُ آخر مرة. أمر مزعج جداً. لا بد أنها في مكان ما في غرفة الجلوس.

- أنا لم أعثر على شيء من هذا النوع يا سيدتي، بقدرما أعرف. ربما لم أعرف أنها لك بالطبع. هل تودين الدخول؟

ثم فتحت الباب بكثير من السخاء، ووضعت جانباً مكنستها التي كانت تعالج بها أرضية المطبخ، ورافقت السيدة أوليفر إلى غرفة الجلوس.

قالت السيدة أوليفر وقد صممت على بناء علاقة صداقة معها: نعم، نعم، هنا... هذا هو الكتاب الذي تركتُه للآنسة ريستاريك، الآنسة نورما. هل عادت من الريف بعد؟

- لا أظن أنها تعيش هنا في الوقت الحاضر؛ فسريرها لم يُستعمل. ربما كانت ما تزال مع أهلها في الريف. أعرف أنها كانت ذاهبة إلى هناك في نهاية عطلة الأسبوع الأخير.

- نعم، أحسب أن هذا هو الأمر. كان هذا كتاباً أحضرته لها، وهو أحد كتبي أنا.

ويبدو أن أحد كتب السيدة أوليفر لم يضرب أي وتر اهتمام لدى عاملة التنظيف. مضت السيدة أوليفر قائلة وهي تربت على أريكة: كنتُ جالسة هنا، هذا ما أظنه على الأقل. ثم تحركتُ إلى النافذة، وربما إلى الجهة الأخرى.

بحثت بحماسة خلف فرش الأريكة بينما ساهمت عاملة التنظيف بلطف بالقيام بنفس الإجراء في الجهة الأخرى.

مضت السيدة أوليفر تقول وهي تريد التوسع في الحديث: لا تتصورين مقدار الإزعاج الذي يسببه فقدان مثل هذه المفكرة؛ فكل مواعيد المرء وارتباطاته مُسجلة فيها. إنني واثقة تماماً من أن لديّ موعداً لتناول الغداء مع شخص مهم جداً اليوم، ولا أستطيع أن أتذكر من هو أو أين سيكون مكان الغداء. إلاّ أن ذلك قد يكون غداً بالطبع. وإن كان الأمر كذلك فإنني مدعوة للغداء مع شخص مختلف تماماً اليوم. آه، يا إلهي.

قالت عاملة التنظيف بتعاطف: أنا واثقة أن ذلك مزعج جداً بالنسبة لك.

قالت السيدة أوليفر وهي تنظر حولها: هذه الشقق جميلة جداً.

- ولكنها مرتفعة.

- إن هذا يمنحك إطلالةً ممتازة، أليس كذلك؟

- بلى، ولكن إذا كانت الشقة مواجهة للشرق فهي تتعرض للكثير من الرياح الباردة في الشتاء. تدخل الريح من خلال إطارات النوافذ الحديدية تلك. لقد ركب بعض الناس نوافذ مزدوجة. نعم، ما كنتُ لأفضل شقة تواجه الشرق في الشتاء. إنني أُفضِّل -كثيراً- شقة أرضية جيدة، فهي مريحة أكثر بكثير، وخاصة إذا كان لدى المرء أطفال... من أجل عربات الأطفال وغير ذلك. نعم، إنني أُفضِّل كثيراً الشقق الأرضية. فكّري بما يحدث إذا وقع حريق.

- نعم، بالطبع... سيكون ذلك مُفزعاً. أحسب أنها توجد مخارج للحريق، أليس كذلك؟

- لا تستطيعين الوصول دوماً إلى باب الحريق. إن الحرائق ترعبني كثيراً، منذ زمن طويل. كما أن هذه الشقق غالية جداً. لن تصدقي الإيجارات التي يطلبونها! ولذلك عمدت الآنسة ريسلاند لإحضار فتاتين تسكنان معها.

- آه، نعم، أظن أنني التقيتهما معاً. الآنسة كاري فنانة، أليس كذلك؟

- تعمل في معرض فني، ولكنها لا تعمل فيه بجدٍ بالغ. إنها ترسم قليلاً... ترسم أبقاراً وأشجاراً لا تشبه -بأي شيء- الأبقار والأشجار. وهي شابة قليلة الترتيب.. لا يمكنك تخيل حال غرفتها! أما الآنسة ريسلاند فكل ما في غرفتها مرتب جداً. كانت سكرتيرة

في مجلس الفحم في وقتٍ من الأوقات، ولكنها سكرتيرة خاصة في لندن الآن. تقول إنها تفضل عملها الحالي. فهي سكرتيرة لرجل غني جداً جاء لتوه من أمريكا الجنوبية أو من مكان كهذا. وهو والد الآنسة نورما، وقد كان هو الذي طلب من الآنسة ريسلاند أن تُسكن نورما معها عندما خرجت شابة أخرى كانت تسكن معها بغية الزواج... وأشارت هي إلى أنها تبحث عن فتاة أخرى مكانها. لم يكن بوسعها أن ترفض، أليس كذلك؟ لا يمكنها ذلك والرجل ربُّ عملها.

- هل كانت تريد الرفض؟

- أظنها كانت سترفض... لو عرفت.

- لو عرفت ماذا؟

كان السؤال مباشراً جداً. وقالت عاملة التنظيف: ليس من شأني أن أقول شيئاً؛ فهذا أمر لا يعنيني...

ظلت السيدة أوليفر تُظهر تساؤلها، فانطلقت عاملة التنظيف قائلة: هذا لا يعني أنها ليست فتاة لطيفة. إنها شاردة الذهن سخيفة الأفكار، ولكن كل الفتيات هكذا تقريباً. ولكنني أظن أنها يجب أن تُعرَض على طبيب. في بعض الأوقات تبدو وكأنها لا تعرف تماماً ما الذي تفعله، أو أين هي. إن ذلك يُخيف المرء أحياناً... تبدو تماماً مثل ابن أخي زوجي بعد تعرضه لنوبة (وكان يتعرض لنوبات فظيعة لا تُصدّق!). إلاّ أنني لم أعرف عنها تعرضها لنوبات. ربما كانت تتعاطى أشياء معينة... فالكثيرون يتعاطون ذلك.

- أظن أنه يوجد شاب لا تحبه عائلتها.

- نعم، هذا ما سمعتُه. وقد جاء هنا لزيارتها مرة أو مرتين... مع أنني لم أرَهُ أبداً. لا شك أنه أحد أبناء هذه الموجة الجديدة من الشباب الذين يتبعون الموضة. الآنسة ريسلاند لا تحب ذلك... ولكن ما الذي يمكن للمرء عمله في هذه الأيام؟ إن الفتيات يفعلن ما يُردن.

قالت السيدة أوليفر وهي تحاول الظهور بمظهر الجدية والمسؤولية: يشعر المرء أحياناً بالانزعاج الشديد تجاه الفتيات في هذه الأيام.

- لم يُربّيْنَ التربية الصحيحة، هذا رأيي أنا.

- أخشى أنهن كذلك فعلاً. نعم، أخشى أنهن لم يُربّين بالفعل. إن المرء يشعر بأن من الأفضل لفتاة مثل نورما ريستاريك أن تبقى في بيتها من أن تأتي إلى لندن لتكسب عيشها كمصممة ديكور داخلي.

- إنها لا تحب العيش في بيتها هناك.

- حقاً؟

- لديها زوجة أب، والفتيات لا يحببنَ زوجات الآباء. وقد سمعتُ أن زوجة أبيها قد فعلت كل ما بوسعها، وحاولت أن تأخذ بيدها، وأن تُبعد الشباب المائعين عن البيت، وغير ذلك. إنها تعرف أن اختيار الفتيات يقع على الشاب السيء غالباً، وأن ذلك قد يسبب الكثير من الضرر.

ثم أكملت عاملة التنظيف بشكل مؤثر: أحياناً أحمد الله على عدم وجود بنات لديّ.

- هل لديك صِبية؟

- لدينا صبيان. أحدهما ناجح تماماً في مدرسته، والآخر يعمل في مطبعة، وهو ناجح في عمله أيضاً. إنهما شابان رائعان جداً. تذكري أن الصبيان قد يسببون المتاعب أيضاً، ولكني أظن أن الفتيات أكثر إثارة للقلق. تشعرين أن عليك أن تكوني قادرة على فعل شيء بشأنهن.

قالت السيدة أوليفر وهي تتأمل: نعم، يشعر المرء بذلك فعلاً.

رأت علامات على أن عاملة التنظيف تود العودة إلى عملها فقالت: مؤسفٌ جداً أمر مفكرتي تلك. ولكن شكراً جزيلاً لك، وآمل أن لا أكون قد أضعتُ عليكِ وقتك.

قالت المرأة الأخرى بلطف: أرجو أن تجديها يا سيدتي.

خرجت السيدة أوليفر من الشقة وفكرت فيما ستفعله بعد ذلك. لم تجد ما يمكن أن تفعله اليوم، إلاّ أن خطةً بدأت تتشكل في ذهنها حول ما ستفعله غداً.

وعندما وصلت إلى البيت عمدت السيدة أوليفر -بشيء من الأهمية- إلى إخراج دفتر ملاحظات وتسجيل أشياء عديدة تحت عنوان «حقائق عرفتها». لم تكن الحقائق -عموماً- عالية القيمة، ولكن السيدة أوليفر، المخلصة للنداء الذي يُلحّ عليها، استطاعت أن تُظهر تلك الحقائق بأفضل ما يمكن إظهاره. وربما كانت حقيقة عمل كلوديا ريسلاند لدى والد نورما هي أبرز تلك الحقائق، فلم تكن تعرف ذلك من قبل، كما شكّت قليلاً في إمكانية معرفة هيركيول

بوارو تلك الحقيقة أيضاً. فكرت في مكالمته هاتفياً وإطلاعه عليها، ولكنها قررت الاحتفاظ بها لنفسها في الوقت الحاضر بسبب خطتها ليوم غد. والحقيقة أن السيدة أوليفر شعرت -في تلك اللحظة- بأنها أقرب إلى كلب صيد شرس منها إلى كاتبة قصص بوليسية؛ فقد كانت تتبع الأثر وأنفها يتشممه، وغداً صباحاً... غداً صباحاً سنرى.

وكما اقتضت خطتها، نهضت السيدة أوليفر باكراً، فتناولت كوبين من الشاي وبيضة مسلوقة وانطلقت في مسعاها. ومرة أخرى وصلت إلى موقع بورودين مانشينز. وتساءلت إن كانت قد أصبحت معروفة قليلاً هناك، ولذلك فإنها لم تدخل الباحة هذه المرة، بل دارت متسللة بحيث تصل إلى أحد مدخلَيْ المجمع، وأخذت تستعرض الناس الذين كانوا يخرجون إلى المطر الصباحي الخفيف ليهرعوا إلى أعمالهم. كانوا -في الغالب- من الفتيات اللاتي ظهرنَ مُتشابهاتٍ على نحو خادع. يا لغرابة البشر عندما ينظر إليهم المرء بهذه الطريقة وهم يخرجون بدأب من هذه الأبنية الضخمة العالية! رأتها السيدة أوليفر أشبه بأكوام ممالك النمل، وحدثتها نفسُها بأن المرء لم يدقق في ممالك النمل بصورة صحيحة. لقد بدت تلك الممالك دوماً وكأنها تخلو من أي هدف عندما يُفسد المرء بناءها برأس حذائه. كل تلك المخلوقات الصغيرة تهرع مسرعة وفي أفواهها قطع من العشب، يتبع بعضها بعضاً بلا كلل، قلقة، متلهفة، وكأنها تركض من هنا وهناك دون هدف تقصده، ولكن المفترض أنها في غاية لتنظيم، تماماً كهؤلاء الناس هنا. هذا الرجل -مثلاً- الذي مر أمامها لتوه مُسرعاً متمتماً مع نفسه. خاطبته السيدة أوليفر في عقلها قائلة: "إني لأعجب ما الذي يزعجك". استمرت تذهب وتجيء لبعض

الوقت، ثم أخفت نفسها فجأة. فقد خرجت كلوديا ريسلاند من باب المجمع وهي تمشي بخطوات عملية سريعة. وكما في السابق، بدت أنيقة جداً. دارت السيدة أوليفر بحيث لا يتم التعرف إليها، وبعد أن سمحت لكلوديا بأن تبتعد لمسافة كافية أمامها دارت ثانيةً وتبعتها. وصلت كلوديا ريسلاند إلى نهاية الشارع وانعطفت يميناً إلى شارع عام حتى وصلت إلى موقف حافلة فانضمت إلى صف المنتظرين. شعرت السيدة أوليفر -وهي تتبعها- بشيء من عدم الارتياح، فماذا لو التفتت كلوديا ونظرت إليها وعرفتها؟ كل ما استطاعت السيدة أوليفر أن تفكر به هو أن تتظاهر بتنظيف أنفها تنظيفاً مطولاً بمنديل يخفي وجهها دون أن تُصدر أصواتاً بذلك. ولكن كلوديا ريسلاند بدت غارقة تماماً بأفكارها الخاصة ولم تنظر إلى أحد من زملائها مُنتظري الحافلات. كانت السيدة أوليفر تقف على بعد ثلاثة أشخاص تقريباً خلفَها في الصف. وأخيراً وصلت الحافلة المطلوبة وتحرك الصف إلى الأمام. دخلت كلوديا إلى الحافلة، ثم صعدت فوراً إلى طابقها الثاني. دخلت السيدة أوليفر واستطاعت الحصول على مكان قرب الباب كراكبة ثالثة تثير عدم الارتياح، وعندما جاء جابي الحافلة ليجمع الأجرة دست في يده قطعة نقدية كبيرة، فلم تكن تعرف طريق الحافلة أو طول المسافة إلى ذلك المكان الذي وصفته عاملة التنظيف -بغموض- بأنه «واحد من تلك الأبنية الجديدة قرب كاتدرائية سينت بول». وقد كانت مُتيقظة وجاهزة عندما بدت قبة الكاتدرائية الضخمة أخيراً، وفكرت في نفسها قائلة: "ستنزل في أي وقت الآن". ثم ركّزت عيناً ثابتة على أولئك الذين ينزلون من الطابق الثاني للحافلة. آه، نعم، ها قد جاءت كلوديا، أنيقة مرتبة في بذلتها الجميلة. نزلت من الحافلة، وتبعتها السيدة أوليفر تاركة بينها وبين طريدتها مسافة محسوبة بشكل جيد.

فكرت السيدة أوليفر قائلة لنفسها: "أمر مثير جداً، ها أنا ذا هنا أطارد شخصاً حقيقة! تماماً كما في رواياتي. وفوق ذلك فلا بد أنني أقوم بذلك بشكل جيد، ذلك أنها لم تنتبه لي إطلاقاً".

وقد بدت كلوديا ريسلاند بالفعل غارقة جداً في أفكارها الخاصة. وقالت السيدة أوليفر لنفسها كما سبق لها أن قالت من قبل: "تلك فتاة تبدو شديدة القدرة، ولو كنتُ أفكر في تخمين هوية قاتل كفء لاخترت قاتلاً يشبهها كثيراً". ولكن أحداً لم يُقتل بعد لسوء الحظ، هذا ما لم تكن الفتاة نورما صادقة تماماً في زعمها أنها ارتكبت جريمة قتل!

بدا وكأن هذا الجزء من لندن قد عانى (أو استفاد..) من الكثير من عمليات البناء في السنوات الأخيرة؛ فقد كانت فيه ناطحات سحاب هائلة (رأت السيدة أوليفر أن أغلبها كريه وهي تتسلق نحو السماء كأنها عُلب ثقاب ضخمة).

دخلت كلوديا أحد المباني فقالت السيدة أوليفر لنفسها: "الآن سأعرف ما أريد بالضبط"، ثم دخلت المبنى وراءها. وقد بدا أن في المبنى أربعة مصاعد ضخمة تصعد وتنزل بسرعة جنونية، ورأت السيدة أوليفر أن الأمر سيكون أكثر صعوبة الآن. ولكن المصاعد كانت ذات حجم كبير جداً، وبدخول السيدة أوليفر في آخر لحظة إلى المصعد الذي استقلته كلوديا استطاعت أن تجعل بينها وبينها عدداً كبيراً من الرجال الطوال. وقد ظهر أن وجهة كلوديا كانت الطابق الرابع. مشت في ممر هناك، وتبعتها السيدة أوليفر متلكئة خلف رجلين طويلين، ولاحظت الباب الذي دخلت منه، وكان الباب الثالث قبل نهاية الممر. وصلت السيدة أوليفر بدورها أمام

ذلك الباب واستطاعت قراءة ما هو مكتوب على لوحته. كانت اللوحة تقول: «جوشوا ريستاريك المحدودة».

وبعد أن وصلت السيدة أوليفر إلى هذا الحد من ملاحقتها شعرت وكأنها لا تعرف تماماً ماذا تفعل بعد ذلك. لقد عثرت على مكان عمل والد نورما والمكان الذي تعمل فيه كلوديا، ولكنها شعرت الآن -وهي تلاقي أثراً من تبدد الأوهام- أن هذا لم يكن كشفاً كبيراً كما ينبغي. وبصراحة، هل يساعد ذلك في شيء؟ ربما كان الجواب بالنفي.

انتظرت هناك بضع دقائق وهي تمشي من هذا الطرف في الممر إلى ذاك وتنتظر عسى أن يأتي أحد آخر ذو أهمية فيدخل باب شركة ريستاريك. وقد دخلت فتاتان أو ثلاث، ولكن لم تبدُ عليهن أية أهمية أو شأن.

نزلت السيدة أوليفر بالمصعد ثانية وخرجت من المبنى بشيء من الجزع. لم يكن بوسعها أن تفكر بما يمكن أن تفعله بعد ذلك. أخذت تمشي قليلاً في الشوارع المجاورة، ثم عادت فمشت باتجاه تلك المباني الحديثة التي جاءت منها. وشعرت بجوع بسبب الإفطار الخفيف الذي تناولته فدخلت مقهى محلياً هناك. كان المقهى مأهولاً -إلى حدٍ ما- بالزبائن فبحثت السيدة أوليفر حولها بحِيرةٍ عن طاولة مناسبة، ثم أطلقت شهقة. فعلى طاولة قرب الجدار كانت تجلس الفتاة نورما، ومقابلها جلس شاب ذو شعر كستنائي طويل يلتف وصولاً إلى كتفيه ويرتدي صدرية مخملية حمراء وسترة مزينة.

قالت السيدة أوليفر هامسة مع نفسها: إنه ديفيد... لا بد أنه ديفيد.

كان هو والفتاة يتحدثان معاً بانفعال. وفكرت السيدة أوليفر في خطة لتحركها، ثم عزمت أمرها وأومأت برأسها قناعة ورضا، وعبرت صالة المقهى إلى باب جانبي كُتب عليه «للسيدات».

لم تكن السيدة أوليفر واثقة تماماً مما إذا كان محتملاً أن تعرفها نورما؛ ذلك أن من يبدون شديدي الشرود لا يكونون كذلك دوماً في الحقيقة. ولكن بدا من غير المرجح -في هذه اللحظة- أن تنظر نورما إلى أحدٍ غير ديفيد، ولكن من يدري؟

فكرت السيدة أوليفر قائلة لنفسها: "أحسب أن بوسعي أن أفعل شيئاً بنفسي على أية حال". نظرت إلى نفسها في مرآة صغيرة رديئة نصبتها إدارة المقهى، متفحصةً -بشكل خاص- ما تعتبره النقطة المركزية في شكل أي امرأة، ألا وهي شعرها. ما كان أحد ليعرف ذلك بقدر ما تعرفه السيدة أوليفر، بسبب مرّاتٍ لا تُحصى غيّرت فيها أسلوب تسريحتها بحيث لم يتعرف عليها أصدقاؤها وصديقاتها. نظرت إلى رأسها نظرة تقويم ثم بدأت عملها. فقد أخرجت الدبابيس، وفكّت العديد من خصلات الشعر الاصطناعي فلفّتها في منديلها ودستها في حقيبة يدها، ثم فرقت شعرها من الوسط ومشطته بقوة إلى الخلف وكورته في كُتلة صغيرة في مؤخرة عنقها. ثم أخرجت نظارة ووضعتها على أنفها. لقد اكتسبت الآن مظهراً جدياً حقاً! وفكرت قائلة لنفسها باستحسان: "يكاد يكون مظهر المثقفات المُفكرات". ثم غيرت شكل فمها بوضع أحمر الشفاه بطريقة معينة، وخرجت مرة أخرى إلى المقهى، وهي تمشي بحذر لأن النظارة التي تضعها كانت لأغراض القراءة فقط، ولذلك فإن المنظر أمامها لم يكن واضحاً. عبرت المقهى وشقت طريقها إلى

طاولة فارغة بجانب تلك التي تشغلها نورما وديفيد. جلست بحيث تكون مواجهة لديفيد. أما نورما القريبة منها فقد جلست وظهرها للسيدة أوليفر، ولذلك لم يكن باستطاعتها أن تراها دون أن تلتفت التفاتة كاملة. جاءت النادلة، وطلبت السيدة أوليفر كوباً من القهوة وفطيرة مُحلاّة، ثم استقرت وتهيأت للتخفي.

أما نورما وديفيد فلم يلاحظا وجودها مجرد ملاحظة؛ فقد كانا منهمكين بشدة في نقاش حماسي منفعل، وقد استغرق الأمر من السيدة أوليفر مجرد دقيقة أو اثنتين لتكيف سمعها بحيث يلتقط موجة حديثهما. كان ديفيد يقول: ... ولكنك تتخيلين هذه الأمور تخيلاً فقط. إنها خيال... إنها جميعاً هراء تماماً يا فتاتي العزيزة.

قالت نورما بصوت يفتقر تماماً إلى أية رنة فيه: لا أدري. لا أستطيع الجزم.

لم تكن السيدة أوليفر تسمعها كما كانت تسمع ديفيد، إذ كانت نورما تُعطيها ظهرها، ولكن خلو نبرة الفتاة من أية حيوية أو رنة لفت نظر السيدة أوليفر وأثار خشيتها. ورأت في ذلك شيئاً غير طبيعي... غير طبيعي أبداً. تذكرت القصة التي أخبرها بها بوارو بداية. "**إنها تظن أنها ربما ارتكبت جريمة قتل**". ما خطب الفتاة؟ أهي هلوسات؟ أكان عقلها -حقاً- مصاباً إلى حدٍّ ما، أم أن زعمها كان حقيقة لا تشوبها شائبة، وبالتالي تكون الفتاة قد عانت من صدمة شديدة؟

قال ديفيد: إن أردتِ رأيي فإن الأمر كله مجرد ضجة لا داعي لها من قبل ماري! إنها امرأة غبية جداً على أية حال، وهي تتخيل أن لديها أمراضاً وما شابه ذلك.

قالت نورما: ولكنها كانت مريضة بالفعل.

- حسناً إذن، كانت مريضة. من شأن أية امرأة عاقلة أن تجعل الطبيب يعطيها بعض المضادات الحيوية دون أن تنفعل إلى هذا الحد.

- لقد ظنّتْ أنني أنا التي فعلتُ ذلك بها. ووالدي يظن ذلك أيضاً.

- أقول لك يا نورما: إنك تتخيلين كل هذه الأمور.

- هذا مجرد كلام منك يا ديفيد... تقوله لكي تُسرِّي عني. ماذا لو أنني كنتُ قد دسستُ لها المادة فعلاً؟

- ماذا تعنين بقولك ماذا لو؟ يجب أن تعرفي ما إذا كنتِ قد فعلتِ ذلك أم لا. لا يمكن أن تكوني بهذا الغباء يا نورما.

- إنني لا أعرف.

- أنت لا تتوقفين عن قول ذلك، وتعودين إلى هذه العبارة لتقوليها مرة بعد مرة. "لا أعرف... لا أعرف".

- أنت لا تفهمني... أنت لا تفهم أبداً ما هي الكراهية. لقد كرهتها منذ أن وقعت عيني عليها أول مرة.

- أعرف، لقد أخبرتِني بذلك.

- وهذا هو الغريب في الأمر. لقد أخبرتك بذلك، ومع ذلك فإنني لا أتذكر حتى إنني أخبرتك به. هل تفهمني؟ بين الحين والحين أُخبر... أُخبر الناس بأشياء. أخبر الناس بأشياء أريد فعلها، أو أشياء فعلتُها، أو سأفعلها. ولكنني لا أتذكر -من بعد- أنني أخبرتهم بتلك

الأشياء. يبدو الأمر وكأنني كنتُ أفكر بكل تلك الأمور في عقلي، وأحياناً تظهر إلى العلن وأقولها للناس. لقد قلتُها لك، أليس كذلك؟

- حسناً... اسمعيني، دعينا لا نعود لنبش هذا الموضوع.

- ولكنني قلتها لك، أليس كذلك؟

- حسناً، حسناً! إن المرء يقول أشياء كهذه. يقول أحياناً: "إنني أكرهها، وإنني أود لو أقتلها، وأظن أنني سأسمِّمها!"، ولكن هذا مجرد لغو أطفال، وكأنك لم تنضجي تماماً بعد. إنه أمر طبيعي تماماً. والأطفال يقولونه كثيراً... "أكره كذا وكذا... وسأقطع رأس فلان!". يقول الأطفال ذلك في المدرسة عن مُعلِّم معين يكرهونه.

- أتظن أن الأمر كان على ذلك النحو فقط؟ ولكن... يبدو من ذلك وكأنني لم أنضج بعد.

- إن هذا صحيح في بعض جوانبه. لو أنك فقط تتمالكين نفسك وتدركين مدى سخافة الأمر كله. وما أهمية كرهك لها؟ لقد ابتعدتِ عن البيت ولستِ مضطرة للعيش معها.

- ولماذا لا أعيش في بيتي الخاص... مع أبي نفسه؟ هذا ليس عدلاً... ليس عدلاً. في البداية هَرَبَ وتركَنا أنا وأمي، والآن عندما عاد إليّ -أخيراً- ذهب وتزوج ماري. إنني أكرهها بالطبع، وهي تكرهني أيضاً. لقد اعتدتُ أن أفكر بقتلها... أن أفكر بطرق للقيام بذلك. ولكن بعد ذلك... عندما مرضت بالفعل...

قال ديفيد بشيء من عدم الارتياح: لا أحسبك تظنين أنك ساحرة، أليس كذلك؟ أنت لا تصنعين نماذج بشرية من الشمع ثم

تخزينها بالدبابيس أو غير ذلك مما تفعله الساحرات؟

- آه، نعم؛ من شأن ذلك أن يكون سخيفاً. إن ما فعلتُه كان حقيقياً... حقيقياً تماماً.

- اسمعيني يا نورما، ماذا تقصدين بقولك إنه كان حقيقياً؟

- لقد كانت الزجاجة هناك، في دُرجي. نعم، فقد فتحتُ الدرج فوجدتها هناك.

- أية زجاجة؟

- «القاتل الأسطوري. قاتل الأعشاب المُختار». هذا ما كان مكتوباً على الزجاجة. مادة في زجاجة خضراء غامقة، ويُفترض بالمرء أن يرش محتوياتها على الأعشاب الضارة. وقد كُتب على الزجاجة «يرجى الحذر» و «مادة سامة» أيضاً.

- هل اشتريتِها؟ أم أنك وجدتها فقط؟

- لا أدري من أين حصلتُ عليها، ولكنها كانت هناك، في درجي، وكانت نصف فارغة.

- وعندها... وعندها تذكرتِ...

قالت نورما بصوت غامض يكاد يكون حالماً: نعم، نعم... أظن أنه في ذلك الوقت بدأ الأمر كله يعود إلى ذاكرتي. أنت أيضاً ترى نفس الشيء، أليس كذلك يا ديفيد؟

- أنا لا أدري ماذا أفهم منك يا نورما... لا أفهمك حقاً. أحسب -بشكلٍ ما- أنك تخترعين هذا الأمر كله، إنك تقولين ذلك لنفسك.

- ولكنها أَخذت إلى المستشفى لمراقبة حالتها، وقالوا إنهم محتارون بوضعها، ثم قالوا إنهم لم يستطيعوا العثور على أي شيء غير طبيعي، ولذلك عادت إلى البيت... ثم مرضت ثانية، وبدأتُ أشعرُ بالرعب. بدأ والدي ينظر إليّ بطريقة غريبة، ثم جاء الطبيب وتحدثا معاً بعد أن أغلقا عليهما الباب في مكتب والدي. وقد التففتُ إلى الخارج وتسللتُ إلى النافذة وحاولت الإصغاء إلى حديثهما. كانا يخططان معاً... لإرسالي إلى مكان أُحتجز فيه! مكان يمكن أن أتلقى فيه «دورة علاجية»... أو شيئاً من هذا القبيل. لقد ظنا أنني مجنونة، وقد شعرتُ بخوف شديد لأنني... لأنني لم أكن واثقة مما فعلتُه وما لم أفعله.

- هل كان ذلك عندما هربتِ؟

- كلا، كان ذلك فيما بعد...

- أخبريني بالأمر.

- لا أريد الحديث في الأمر بعد.

- سوف تضطرين إلى إعلامهم عاجلاً أم آجلاً بمكان وجودك...

- لن أخبرهم! إنني أكرههم. أكره أبي بقدر ما أكره ماري. وأتمنى لهما الموت، أتمنى لكليهما الموت. وعندها... وعندها أظن أنني سأعود سعيدة من جديد.

- لا تنفعلي كثيراً! اسمعيني يا نورما...

سكت كالمُحرج ثم قال: أنا لستُ عازماً تماماً على الزواج

وتبعاته كلها. أعني أنني لم أفكر بأنني سأقدم أبداً على أمر كهذا... لسنوات على الأقل. فالمرء لا يريد أن يربط نفسه... ولكني أظن أن ذلك هو أفضل ما يمكننا عمله... أن نتزوج. سيكون عليك أن تقولي إنك تجاوزت الحادية والعشرين. اجمعي شعرك إلى الأعلى وضعي نظارة أو غيرها؛ فهذا يجعلك تظهرين أكبر من عمرك. وبمجرد أن نتزوج لن يستطيع والدك عمل شيء! لا يمكنه أن يرسلك إلى ما تسمينه «مكاناً»... سيكون عاجزاً عن أي شيء.

- إنني أكرهه.

- يبدو أنك تكرهين الجميع.

- أكره أبي وماري فقط.

- من الطبيعي للرجل -في نهاية الأمر- أن يتزوج ثانية.

- انظر لما فعله بأمي.

- ولكن ذلك كان منذ وقت طويل، أليس كذلك؟

- بلى. كنت مجرد طفلة، ولكنني أتذكر. غادر وتركنا. كان يرسل لي هدايا في الأعياد... ولكنه لم يأتِ شخصياً أبداً. بل إنني ما كنتُ لأعرفه لو رأيتُه في الشارع قبل أن يعود أخيراً. لم يكن يعني لي شيئاً في ذلك الحين، وأظنه قد احتجز أمي أيضاً. لقد كانت تخرج عندما كانت مريضة، لا أدري إلى أين. ولا أدري ماذا كانت مشكلتها. إنني أتعجب أحياناً... أتعجب يا ديفيد. أحسب أن في عقلي شيئاً غير طبيعي، وسيجعلني ذلك أقوم -في يوم ما- بشيء سيء حقاً... كأمر السكين.

- أي سكين؟

- لا أهمية لذلك... مجرد سكين.

- ألا يمكنك أن تخبريني بما تتحدثين عنه؟

- أظن أن لطخة دمٍ كانت عليها... وكانت مُخبأة هناك، تحت جوربي.

- هل تذكرين أنك خبأت سكيناً هناك؟

- أظن ذلك، ولكني لا أتذكر ماذا صنعتُ بها قبل ذلك. لا أستطيع أن أتذكر أين كنت... أحسّ بساعة كاملة مفقودة أو غائبة من تلك الليلة؛ ساعة كاملة لا أعرف أين كنتُ فيها. لقد كنتُ في مكانٍ ما، وقمتُ بشيء ما.

- هششش!

سارع إلى إسكاتها فيما تقدمت النادلة إلى طاولتهما وقال: ستكونين على ما يرام... سأعتني بك. دعينا نأكل شيئاً آخر.

ثم قال للنادلة بصوت عالٍ وهو يأخذ قائمة الطعام: طبقين من الفاصولياء مع الخبز المحمّص.

* * *

الفصل الثامن

كان هيركيول بوارو يُملي على سكرتيرته، الآنسة ليمون: وفي الوقت الذي أُقدِّر فيه عالياً ما أوليتني إياه من شرف، فإنني آسف لإبلاغك بأن...

رن جرس الهاتف، ومدت الآنسة ليمون يداً لتجيب عليه: نعم؟ من تقولين؟

ثم وضعت يدها على السماعة وقالت لبوارو: السيدة أوليفر.

- آه... السيدة أوليفر.

لم يكن يرغب تماماً بأن تتم مقاطعته في هذه اللحظة، ولكنه أخذ السماعة من الآنسة ليمون وقال: نعم، هيركيول بوارو يتكلم.

- آه يا سيد بوارو، إنني سعيدة جداً إذ عثرتُ عليك! لقد وجدتُها لك!

- عفواً، ماذا قلتِ؟

- لقد وجدتها لك. فتاتك! تلك التي ارتكبت جريمة قتل أو تظن أنها ارتكبتها. وهي تتحدث عن ذلك أيضاً، وتتحدث كثيراً.

أحسب أنها مختلة العقل، ولكن لا تلتفت إلى ذلك الآن. هل تريد المجيء وأخذها.

- أين أنتِ يا سيدتي العزيزة؟

قالت السيدة أوليفر وهي تنظر فجأة خارج كشك الهاتف الذي تقف فيه: في مكان ما بين كاتدرائية سينت بول ومسرح ميرميد... في شارع كالثورب. هل تظن أن بوسعك الوصول سريعاً إلى هنا؟ إنهما في مطعم.

- هل تقولين "إنهما"؟

- آه، إنها مع من أحسبه صديقها الطائش. ولكنه لطيف في الواقع، ويبدو مغرماً جداً بها. لا أعرف لماذا... غريب أمر الناس. ولكن لا أريد إطالة الحديث لأنني أريد العودة ثانية. لقد تبعتهما، دخلتُ إلى المطعم فرأيتهما هناك.

- آها؟ لقد كنتِ شديدة الذكاء يا سيدتي.

- لا، لم أكن كذلك حقاً. كانت تلك مجرد مصادفة. أعني أنني دخلتُ مقهى صغيراً فوجدت الفتاة تجلس هناك.

- آه، حظك جيد إذن، وهذا لا يقل أهمية عن الذكاء.

- وقد كنتُ أجلس إلى الطاولة المجاورة لطاولتهما، إلاّ أن ظهرها كان باتجاهي. ومع ذلك فلا أحسب أنها كانت ستميزني؛ فقد بدلتُ مظهر شعري. على أية حال، لقد كانا يتحدثان وكأنهما وحدهما في هذا العالم، ثم طلبا وجبة جديدة من الفاصولياء (وأنا لا أطيق الفاصولياء ولا أدري كيف يحبها الناس)...

- لا عليك من الفاصولياء، استمري. لقد تركتِهما وجئتِ إلى الهاتف، أليس كذلك؟

- بلى؛ لأن وجبة الفاصولياء أعطتني وقتاً. وسوف أعود الآن... أو قد أبقى متسكعة خارج المقهى. على كلٍ، حاول الوصول إلى هنا بسرعة.

- ما هو اسم المقهى؟

- شامروك السعيد... ولكنه لا يبدو سعيداً جداً، بل إنه يبدو في الحقيقة مقهى قذراً، ولكن القهوة جيدة تماماً.

- هذا يكفي. عودي الآن، وسأصلك بعد قليل.

- رائع.

ثم أعادت السماعة.

* * *

كانت الآنسة ليمون -وهي القديرة دوماً- قد سبقته إلى الشارع وأخذت تنتظر سيارة أجرة. لم تطرح أية أسئلة، ولم تُظهر أي فضول، ولم تُخبر بوارو بالكيفية التي ستشغل بها وقتها في غيابه. ولم تكن بحاجة لإبلاغه، فقد كانت تعرف دوماً ما ستفعله، وكانت مُصيبة دوماً فيما تفعله.

وصل بوارو إلى زاوية شارع كالثورب، فنزل ودفع أجرة السيارة ونظر حوله. رأى مقهى شامروك السعيد ولكنه لم يرَ فيه من الخارج امرأة تشبه السيدة أوليفر أبداً بالغاً ما بلغ تخفيها. مشى

إلى نهاية الشارع ثم عاد، فلم يجد للسيدة أوليفر أثراً. ولذلك فإما أن يكون الشابان اللذان تراقبهما قد غادرا المقهى وتبعتهما السيدة أوليفر في مهمةٍ ملاحقة، وإما... وحتى يتأكد من هذه الـ«إما» ذهب إلى باب المقهى. فلا يمكن للمرء أن يرى داخل المقهى بشكل جيد من الخارج بسبب البخار، ولذلك فتح الباب بهدوء ودخل. جالت عيناه في المقهى.

رأى فوراً الفتاة التي جاءت لزيارته على مائدة الإفطار. كانت تجلس وحدها إلى طاولة مقابل الجدار تشرب القهوة وتحدق أمامها. بدت غارقة في أفكارها، ولكن بوارو رأى أن الأمر لا يكاد يكون كذلك. إذ لم يبدُ وجود أية أفكار هناك، بل كانت تائهة في حالة أشبه بالضياع والنسيان. كانت في مكان آخر غير هذا المكان.

عبر قاعة المقهى بهدوء وجلس على الكرسي المقابل لها. رفعت نظرها عندها، وقد سرّه -على الأقل- أن يرى أنها عرفته.

قال بسرور: إذن فقد التقينا ثانية يا آنسة. أرى أنك تتذكرينني.

- نعم، نعم، أتذكرك.

- إنه لمن السار دوماً أن يُتذكر المرء من قبل فتاة لم يقابلها إلاّ مرة واحدة ولوقت قصير جداً.

استمرت في النظر إليه دون أن تتكلم، فقال لها: وهل لي أن أسأل كيف عرفتِني؟ ما الذي جعلك تميِّزينني؟

قالت نورما فوراً: شاربك. لا يمكن أن يكون لأحدٍ غيرك.

سرّته تلك الملاحظة، وفتل شاربه بكل الفخر والخيلاء اللذين كن يميل لإظهارهما في مثل هذه المناسبات، ثم قال: آه، نعم، صحيح تماماً. لا يوجد الكثير من الشوارب كشاربي. إنه شارب رائع، أليس كذلك؟

- إنه... بلى، أحسب أنه كذلك.

- آه، ربما لا تكونين من أنصار الشوارب، ولكني أؤكد لك يا آنسة ريستاريك... الآنسة نورما ريستاريك، أليس هذا هو اسمك؟... أؤكد لك أنه شارب رائع جداً.

كان قد توقف للتركيز على اسمها عن قصد. كانت في البداية قد بدت تائهة شاردة عن كل ما حولها، مبتعدة كثيراً إلى الحد الذي تساءل معه بوارو إن كانت ستلاحظ استعماله لاسمها. ولكنها لاحظت، وقد أجفلها ذلك فقالت: كيف عرفت اسمي؟

- صحيح، أنت لم تُعطي اسمك لخادمي عندما جئتِ لرؤيتي في ذلك الصباح.

- كيف عرفتَه؟ كيف تمكنت من معرفته؟ من الذي أخبرك به؟

رأى الذعر والخوف في عينيها. قال: أخبرتني إحدى صديقاتي. إن الأصدقاء يمكن أن يكونوا شديدي الفائدة.

- من هي هذه الصديقة؟

- يا آنستي، أنت تحبين حجب أسرارك الصغيرة عني، وأنا أيضاً أفضل حجب أسراري الصغيرة عنك.

- لا أستطيع أن أعرف كيف أمكنك معرفة من أنا.

قال بوارو بخيلائه المعهودة: إنني هيركيول بوارو.

ثم ترك المبادرة لها، مكتفياً بالجلوس هناك وهو يبتسم لها بلطف.

بدأت تقول: "إنني..."، ثم توقفت، ثم قالت: كنتُ...

ثم توقفت ثانية، فقال لها بوارو: أعرف أننا لم نمضِ بعيداً في حديثنا في ذلك الصباح. لم نصل في ذلك الحديث إلاّ للنقطة التي أخبرتِني فيها بأنك ارتكبتِ جريمة قتل.

- آه، ذاك!

- نعم يا آنسة، ذاك.

- ولكن... لم أقصد ذلك بالطبع. لم أقصد شيئاً من ذلك. أعني أنها كانت مزحة.

- أحقاً؟ جئتِ لرؤيتي في ذلك الوقت المبكر من الصباح، وقت الإفطار. وقلتِ إن الأمر طارئ، وإنه طارئ لأنك ربما كنتِ قد ارتكبتِ جريمة قتل. أهذه فكرتك عن المزاح؟

كانت نادلة تحوم على مقربة منهما وتنظر إلى بوارو بانتباه مركز، وفجأة تقدمت إليه وقدمت له ما بدا أنه قارب ورقي كذلك الذي يلعب به الصغار وقالت: أهذه لك؟ أأنت السيد بوارو؟ لقد تركتها لك سيدة.

- آه، نعم. وكيف عرفتِ من أنا؟

- لقد قالت السيدة إنني سأعرفك من شاربك. قالت إنني سأرى شارباً لم أرَ مثله من قبل.

ثم أضافت وهي تحدق إلى شاربه: وهذا صحيح تماماً.

- حسناً، شكراً جزيلاً لك.

أخذ بوارو القارب الورقي منها ففكّهُ ومسّد الورقة وقرأ بعض الكلمات المكتوبة على عجل: "إنه ذاهب الآن، وستبقى هي هنا، ولذلك فسأتركها لك وأتبعه". وكانت موقّعة باسم أريادني. قال بوارو وهو يطوي الورقة ويدسها في جيبه: حسناً، ما الذي كنا نتحدث عنه؟ أحسب أننا كنا نتكلم عن روح الفكاهة لديك يا آنسة ريستاريك.

- هل تعرف اسمي فقط أم... أم أنك تعرف كل شيء عني؟

- أعرف بعض الأشياء عنك. فأنت الآنسة نورما ريستاريك، وعنوانك هو لندن ٦٧ بورودين مانشينز. وعنوان عائلتك هو كروسهيدجيز، لونغ بيسنغ. وتعيشين هناك مع أبٍ وامرأة أبٍ وخال عجوز... بالإضافة إلى فتاة تعيش هناك مقابل عملها. ها أنت ترين أني مُطلع جيداً.

- لقد جعلتَ أحداً يتعقبني.

- كلا، كلا، أبداً. بالنسبة لهذا الأمر أؤكد لك بشرفي أنه لم يحصل.

- ولكنك لستَ من الشرطة، أليس كذلك؟ لم تقل إنك من الشرطة.

- نعم، لستُ من الشرطة.

انهار ارتيابها وتحديها وقالت: لا أعرف ماذا أفعل.

- أنا لا أحثك على استخدامي، فقد قلتِ إنني أكبر سناً مما يجب... وربما كنتِ على حق. ولكن -بما أنني أعزف من أنت وأعرف بعض الأشياء عنك- فلا يوجد سببٌ يمنعنا من أن نناقش معاً المتاعب التي تؤذيك وبأسلوب ودّيٍّ كأصدقاء. وعليك أن تتذكري أن الكبار -رغم اعتبارهم غير قادرين على الفعل- لديهم ذخيرة كبيرة من التجارب التي يعتمدون عليها.

استمرت نورما في النظر إليه بارتياب، وفي التحديق به بنفس تلك العينين الواسعتين، وبنفس الطريقة التي أقلقت بوارو من قبل. ولكنها كانت مُحاصرة بمعنى من المعاني، وكانت لها -في تلك اللحظة بالذات- رغبة في الحديث عن أمورها، أو هذا ما رآه بوارو. وقد كان بوارو دوماً رجلاً يُغري الآخرين بالحديث معه لسبب أو لآخر.

قالت دون مقدمات: إنهم يظنونني مجنونة. و... وأكاد أنا أيضاً أظن نفسي مجنونة... معتوهة.

قال هيركيول بوارو بابتهاج: هذا مثير جداً. توجد أسماء عديدة جداً لمثل هذه الأمور... أسماء فخمة جداً... أسماء يُطلقها بسعادة علماءُ النفس والأطباء النفسيون وغيرهم. ولكن عندما تقولين «مجنونة» فإن ذلك يصف -بشكل جيد- المظهر العام كما يفهمه الناس العاديون البسطاء. حسناً، أنت مجنونة، أو تبدين مجنونة، أو تظنين أنك مجنونة، ومن المحتمل أن تكوني مجنونة. ولكن مع ذلك كله فإن هذا لا يعني أن الحالة خطيرة. فهذا أمر يعاني الناس منه

كثيراً، وعادة ما يُشفى بسهولة مع العلاج المناسب. وهذا يحدث لأن الناس يتعرضون لضغوطات ذهنية كبيرة، أو قلق عظيم، أو يدرسون كثيراً استعداداً لامتحاناتهم، أو يبالغون في العيش اعتماداً على عواطفهم، أو تكون لديهم أسباب وجيهة لكره آبائهم أو أمهاتهم! وقد يكون السبب -بالطبع- بسيطاً كوجود علاقة حب فاشلة.

- إن لديّ زوجة أب. وأنا أكرهها، وأكاد أظن أنني أكره أبي أيضاً. هذا يبدو كثيراً بعض الشيء، أليس كذلك؟

- من الشائع أكثر أن يكره المرء واحداً من الاثنين. أحسب أنك كنتِ متعلقة كثيراً بأمك. أهي مُطلّقة أم ميتة؟

- بل ميتة... ماتت منذ سنتين أو ثلاث.

- وهل كنتِ تحبينها كثيراً؟

- نعم، أحسبني كنتُ أحبها. أعني أنني كنتُ أحبها بالطبع. كانت مُقعدة، وقد اضطُرّتُ للذهاب إلى المصحات كثيراً.

- ووالدك؟

- كان والدي قد سافر إلى الخارج قبل ذلك بوقتٍ طويل. ذهب إلى جنوب أفريقيا عندما كنتُ في الخامسة أو السادسة من العمر، وأظن أنه أراد أن يحصل على الطلاق من والدتي، ولكنها لم تقبل بذلك. ذهب إلى جنوب أفريقيا وعمل هناك بالمناجم أو ما شابه ذلك. على أية حال، فقد كان يكتب إليّ في الأعياد ويرسل لي هدايا. كان ذلك هو كل شيء، ولذلك فإنه لم يبدُ -بالفعل- حقيقياً بالنسبة لي. عاد إلى الوطن منذ نحو عام لأنه كان مضطراً لتصفية أمور عمي

وغير ذلك من الأمور المالية، وعندما عاد فإنه... فإنه أحضر معه هذه الزوجة الجديدة.

- وقد غاظك ذلك؟

- نعم، غاظني.

- ولكن والدتك كانت متوفاة وقتها، وليس من المستهجن على الرجل أن يتزوج ثانية. خاصة عندما تكون مشاعر الزوجين قد تلاشت من سنوات طويلة. أكانت هذه الزوجة الجديدة هي نفس المرأة التي رغب في الزواج بها سابقاً حين طلب من أمك الطلاق؟

- آه، كلا، هذه صغيرة تماماً، وهي جميلة جداً وتتصرف وكأنها تتملك أبي تملكاً!

وبعد صمتٍ قصير مضت قائلة بصوت مختلف طفولي بعض الشيء: لقد ظننتُ أنه -عندما عاد إلى الوطن هذه المرة- سيحبني و... ولكنها لا تدعه يفعل ذلك. إنها ضدي، وقد أزاحتني وأخذت مكاني.

- ولكن ذلك لا يهم أبداً وأنت في مثل هذا السن... بل هو أمر جيد؛ فأنت لا تحتاجين رعاية من أحد. يمكنك الوقوف على قدميك، والتمتع بالحياة، واختيار ما تريدينه من صداقات...

- لو رأيت كيف يعاملونني في البيت لما قلتَ ذلك! أعني فيما يتعلق باختيار صداقاتي.

- معظم فتيات اليوم يتعين عليهن سماع انتقادات بشأن أصدقائهن.

- لقد كان كل شيء مختلفاً. ليس أبي أبداً كما أذكره عندما كنتُ في الخامسة من عمري؛ فقد اعتاد أن يلعب معي طوال الوقت وأن يكون مرحاً. إنه ليس مرحاً الآن. إنه قلق وقاسٍ بعض الشيء... آه، مختلف تماماً.

- أحسب أن ذلك كان قبل خمسة عشر عاماً، والناس يتبدلون.

- ولكن هل يجب على الناس أن يتبدلوا إلى هذا الحد؟

- هل تبدل والدك من حيث المظهر؟

- آه، لا، لا، ليس من حيث الشكل. وإذا ما نظرتَ إلى صورته المعلقة فوق كرسيه تماماً لوجدته نفسه لم يتغير، رغم أن الصورة قديمة أُخذت له وهو شاب. ولكنه ليس كما أتذكره أبداً.

قال بوارو بلطف: ولكنك تعلمين -يا عزيزتي- أن الناس لا يكونون أبداً كما تتذكرينهم؛ فمع مرور السنين تصنعينهم أنت شيئاً فشيئاً بالطريقة التي تتمنين أنت أن يكونوا، وكما تظنين أنك تتذكرينهم. فإذا ما أردتِ أن تتذكريهم طيبين مرحين وسيمين فإنك تجعلين فيهم من هذه الصفات أكثر بكثير مما هم عليه فعلاً.

- هل تظن ذلك؟ هل تظن ذلك حقاً؟

سكتت ثم قالت فجأة: ولكن لماذا تظنني أريد قتل الناس؟

جاء السؤال بشكل طبيعي تماماً، وشعر بوارو أنهما قد وصلا أخيراً إلى لحظة حرجة. قال: ربما كان هذا سؤالاً مثيراً تماماً، وربما كان لذلك سبب مثير. الشخص الذي ربما كان بمقدوره أن يُعطيك جواباً على ذلك هو الطبيب. طبيب ممن يعرفون هذه الأمور.

جاء ردها سريعاً: لن أذهب إلى طبيب. لن أقترب من طبيب! إنهم يريدون إرسالي إلى طبيب، وعندها سأُحتجز في إحدى تلك المصحات العقلية ولن يدعوني أخرج ثانية. لن أفعل شيئاً من ذلك.

كانت تجاهد الآن للوقوف على قدميها.

- ليس أنا من يستطيع إرسالك إلى طبيب! لا حاجة لأن تقلقي. يمكنك أن تذهبي إلى طبيب بمحض إرادتك إن شئتِ. يمكنك أن تذهبي إليه وتقولي له الأشياء التي كنتِ تقولينها لي، ويمكنك أن تسأليه عن السبب، وربما أخبرك هو بسبب ذلك.

- هذا ما يقوله ديفيد. هذا ما يقول إن عليّ أن أفعله، ولكني لا أظن... لا أظنه يفهم. سيكون عليّ أن أخبر الطبيب بأنني... بأنني ربما حاولت فعل أشياء معينة...

- ما الذي يجعلك تظنين أنك فعلتِ تلك الأشياء؟

- لأنني لا أتذكر دوماً ماذا فعلت... أو أين كنت. لقد أضعتُ ساعة من الزمن... بل ساعتين... ولا أستطيع التذكر. كنتُ في أحد الممرات مرة... ممر خارج أحد الأبواب، خارج بابها. وجاءت تمشي باتجاهي... ولكن عندما اقتربت مني تغير وجهها. لم تكن هي على الإطلاق. كانت قد تغيرت إلى شخص آخر.

- ربما كنتِ تتذكرين كابوساً؛ ففي الكوابيس يتغير الناس ليصبحوا أشخاصاً آخرين.

- لم يكن ذلك كابوساً. لقد أخذت المسدس... كان ملقىً هناك عند قدمي...

- في ممر؟

- كلا، بل في الباحة. جاءت وأخذته مني.

- من التي جاءت وأخذته؟

- كلوديا. وأخذتني إلى الشقة وأعطتني مشروباً مراً لأشربه.

- أين كانت زوجة أبيك وقتها؟

- كانت هناك أيضاً... لا، لم تكن هناك. كانت في كروسهيدجيز. أو في المستشفى. فهناك اكتشفوا أنها قد سُممت... وأنني أنا التي سمّمتُها.

- قد لا تكونين أنتِ بالضرورة... فربما كان الفاعل شخصاً آخر.

- من عساه يكون غيري؟

- ربما كان... زوجها.

- أبي؟ ولماذا عساه يريد تسميم ماري بالله عليك؟ إنه متيم بها إلى درجة السخف!

- في البيت آخرون، أليس كذلك؟

- الخال العجوز روديريك؟ هراء!

- لا يدري المرء، فربما كان مصاباً في عقله. ربما ظن أن من واجبه أن يسمم امرأة ظنّ أنها ربما تكون جاسوسة جميلة... شيء من هذا القبيل.

قالت نورما وقد ابتعد ذهنها مؤقتاً عن الموضوع وتكلمت بأسلوب طبيعي تماماً: من شأن ذلك أن يكون مثيراً جداً. لقد كان الخال روديريك بالفعل معنياً كثيراً بالجواسيس وغير ذلك في الحرب الأخيرة. من هناك غيره؟ سونيا؟ أحسب أن سونيا قد تكون جاسوسة جميلة، ولكني لا أرى الجاسوسات على هذا الشكل.

- نعم، كما لا يبدو سبب وجيه يجعلها تتمنى تسميم زوجة أبيك. أحسب أنه ربما كان هناك خدم، أو بستانيون؟

- كلا، إنهم يعملون بشكل غير مقيم في البيت. لا أظن... أعني أنهم لن يكونوا على أية حال من ذلك النوع الذي قد يتوفر له سبب لذلك.

- ربما كانت قد فعلت ذلك بنفسها.

- أتعني أنها حاولت الانتحار؟ كتلك الأخرى؟

- إنه احتمال.

- لا أستطيع تخيل ماري تنتحر. إنها أعقل بكثير من ذلك. ولماذا تريد الانتحار؟

- نعم، إنك تشعرين بأنها إذا ما أرادت الانتحار لوضعت رأسها في فرن غاز، أو لتمددت بكل ترتيب في سرير وأخذت جرعة كبيرة من الحبوب المنومة. هل هذا صحيح؟

قالت نورما: "لنقل إن من شأن ذلك أن يكون أكثر طبيعية في حالتها". ثم قالت بجد: وهكذا فإنك ترى، لا بد أن الفاعل كان أنا.

- آها، هذا يثير اهتمامي. يبدو الأمر وكأنك تكادين تفضلين

أن يكون الفاعل أنت. إنك منجذبة إلى الفكرة القائلة إن اليد التي دست تلك الجرعة القاتلة من هذه المادة أو تلك إنما كانت يدك أنت. نعم، إنك تحبين هذه الفكرة.

- كيف تجرؤ على قول شيء كهذا! كيف سولت لك نفسك؟

- لأنني أظن أن هذا صحيح. لماذا يثيرك ويُفرحك أنك ربما ارتكبتِ جريمة قتل؟

- هذا ليس صحيحاً.

- ليتني أقتنع بذلك.

أخذت حقيبتها وبدأت تتلمس داخلها بأصابع مرتجفة وهي تقول: لن أبقى هنا وأدعك تقول لي مثل هذه الأشياء الرهيبة.

ثم أشارت إلى النادلة التي أتت فكتبت على عجل شيئاً على دفتر الفواتير، ثم نزعت الورقة ووضعتها على طبق نورما. قال هيركيول بوارو: اسمحي لي.

ثم أخذ الفاتورة ببراعة واستعد لإخراج محفظته من جيبه، ولكن الفتاة خطفت منه الورقة ثانية وقالت: كلا، لن أدعك تدفع عني.

- كما تحبين.

كان قد رأى ما أراد رؤيته، فقد كانت الفاتورة لشخصين؛ ولذلك يبدو أن ديفيد ذا الروح المعنوية العالية لا يمانع أن تدفع له فواتيره فتاة متيّمة به. قال لها: أرى -إذن- أنك أنت التي تستضيفين صديقاً لك لوجبات الصباح.

- كيف عرفت أنني كنتُ مع أحد؟

- لقد قلتُ لك... إنني أعرف الكثير.

وضعت نقوداً على المائدة ونهضت قائلة: إنني ذاهبة الآن، وأنا أمنعك من ملاحقتي.

- أشك في قدرتي على ملاحقتك. عليك أن تتذكري تقدمي بالسن، وإذا ما ركضتِ في الشارع فلن أستطيع اللحاق بك بالتأكيد.

نهضت واتجهت نحو الباب قائلة: هل تسمعني؟ إنك لن تتبعني.

قال لها وهو يفتح الباب: اسمحي لي على الأقل أن أفتح لك الباب. إلى اللقاء يا آنسة.

رمته بنظرة ارتياب ومشت مبتعدة في الشارع بخطوات عجلى وهي تدير رأسها إليه من حين لآخر. بقي بوارو واقفاً قرب الباب يراقبها، ولكنه لم يحاول اللحاق بها. وعندما غابت عن ناظريه دار وعاد إلى المقهى قائلاً لنفسه: "وماذا يعني ذلك كله؟".

كانت النادلة تقترب منه وعلى وجهها علامات الانزعاج. عاد بوارو إلى كرسيه وهدّأ النادلة بطلب كوب من القهوة، ثم تمتم مع نفسه: يوجد هنا شيء غريب جداً. نعم، شيء غريب جداً في الحقيقة.

وُضع أمامه كوب من سائل طيني اللون، فأخذ رشفة منه وكشّرَ وجهه.

وتساءل: أين يمكن أن تكون السيدة أوليفر الآن؟

* * *

الفصل التاسع

كانت السيدة أوليفر جالسة في حافلة، وكانت تلهث قليلاً رغم أنها ممتلئة حماسةً للمطاردة. كان من أسمته في عقلها طاووساً قد مشى بخطوات سريعة، ولم تكن السيدة أوليفر امرأة سريعة المشي. وعندما مشى بمحاذاة خط القطار تبعته على بعد نحو من عشرين متراً، وفي تشيرنغ كروس نزل فاستقل قطار الأنفاق، واستقلته السيدة أوليفر أيضاً. وقد خرج في سلوان سكوير وخرجت هي وراءه. ثم انتظر حافلة فانتظرت وراءه في الصف تاركة بينها وبينه بضعة أشخاص. وعندما صعد الحافلة صعدت هي الأخرى. وقد نزل من الحافلة في ورلدز إند، ونزلت هي كذلك. وقد دخل في شوارع متشابكة أشبه بالأحجية بين منطقة كنغز كروس والنهر، ثم دخل في ما بدا أنه ساحة لمواد البناء. ووقفت السيدة أوليفر في ظل باب وراقبت الوضع. ثم دخل في زقاق، فأمهلته السيدة أوليفر دقيقتين ثم انطلقت خلفه... فلم تجد له أثراً. راقبت المحيط العام حولها. وبدت لها المنطقة كلها قديمة تكاد تكون مهدمة. مشت أبعد من ذلك في الزقاق فوجدت أزقة أخرى تتفرع عنه، وكان بعضها مغلقاً. كانت قد فقدت كلياً إحساسها بالاتجاه، ولكنها ما لبثت أن وجدت نفسها -من جديد- عند ساحة

مواد البناء وتكلم صوت وراءها مما أفزعها كثيراً. قال الصوت بأدب: أرجو أن لا أكون قد مشيتُ سريعاً بالنسبة لك.

التفتت بحدّة، وإذا بالذي كان قبل قليل متعة ومطاردة تقوم بها باستخفاف وبأعلى المعنويات يصبح الآن شيئاً مختلفاً تماماً. فما شعرت به الآن كان وخزة خوف مفاجئة غير متوقعة. نعم، كانت خائفة. وقد أصبح الجو فجأة مشحوناً بالخطر. ومع ذلك فقد كان الصوت لطيفاً سعيداً مؤدباً، ولكنها عرفت أن خلفه غضباً... ذلك النوع المفاجئ من الغضب الذي ذكّرها -على نحو مُضطرب- بكل ما يقرؤه المرء في الصحف عن عجائز تهاجمهن عصابات من الشباب، من الشباب القساة الأجلاف الذين تقودهم الكراهية والرغبة في الإيذاء. ها هو الشاب الذي كانت تلاحقه. لقد عرف أنها كانت خلفه، فخدعها ثم تبعها إلى هذا الزقاق، وها هو يقف هناك الآن سادّاً عليها طريق الخروج. هذا هو شأن لندن... يرى المرء نفسه في لحظة محاطاً بالناس من كل جانب، وفي لحظة أخرى لا يرى حوله أحداً. لا بد من وجود أناس في الشارع التالي، أو أحدٍ في البيوت القريبة، ولكن الأقرب من ذلك كله إليها كان ذلك الجسم القوي أمامها، ذلك الجسم ذو اليدين القويتين القاسيتين. شعرت أنه -في تلك اللحظة- يفكر باستخدام تلك اليدين...الطاووس، الطاووس المتكبر، بما يلبسه من مخمل وبنطال أسود ضيق أنيق، متحدثاً بذلك الصوت الهادئ الساحر السعيد الذي يخفي وراءه الغضب... شهقت السيدة أوليفر ثلاث شهقات عميقة، ثم خرجت -في لحظة قرار خاطفة- بدفاعٍ ابتكره خيالها. جلست فوراً وبثبات على صندوق مهملات كان قربها عند الجدار وقالت: يا إلهي، كم أفزعتني! لم أكن أعرف أنك هناك. أرجو أن لا تكون منزعجاً.

- إذن فقد كنتِ تلاحقينني فعلاً؟

- نعم، أخشى أن ذلك صحيح، وأحسب أن ذلك كان مزعجاً لك دون ريب. الحقيقة أنني رأيت أن هذه ستكون فرصة ممتازة. إنني واثقة من أنك غاضب جداً، ولكن لا ضرورة لغضبك في الواقع. وسأشرح لك...

استقرت السيدة أوليفر على صندوق المهملات بشكل أكثر ثباتاً ومضت تقول: الحقيقة أنني أكتب قصصاً. أكتب قصصاً بوليسية، وقد كنتُ قلقة جداً بالفعل هذا الصباح. والحقيقة أنني ذهبتُ إلى مقهى لأتناول كوباً من القهوة لمجرد أن أحاول التفكير في مخرج لما أكتبه. كنتُ قد وصلت في روايتي إلى نقطة أقوم فيها بملاحقة شخص ما. أعني أن بطل الرواية كان يلاحق شخصاً، وقد فكرتُ قائلة لنفسي: "أنا لا أعرف -فعلاً- سوى القليل عن ملاحقة الناس". أعني أنني أستعمل هذه العبارة دوماً في رواياتي، كما قرأت الكثير من القصص التي يلاحق فيها الناس أشخاصاً آخرين، وقد تساءلتُ إن كانت هذه العملية بمثل تلك السهولة التي تبدو عليها في قصص بعض الأدباء أم أنها تكاد تكون مستحيلة كما تبدو في كتابات أدباء آخرين. ولذلك قلتُ لنفسي: "إن الأمر الوحيد الذي يجيب عن هذا السؤال هو أن أجرب ذلك بنفسي"... لأنك لا تستطيع الجزم بحقيقة أمرٍ ما لم تجربه شخصياً. أعني أنك لا تعرف كيف تشعر، ولا تعرف إن كنتَ ستقلق لغياب الشخص المطارد عن ناظريك. وفيما أنا كذلك رفعتُ ناظري فوجدتك جالساً إلى الطاولة المجاورة لطاولتي في المقهى وفكرتُ في أنك ستكون -وأرجو أن لا تنزعج مرة أخرى- ولكني فكرتُ أنك ستكون شخصاً جيداً جداً تمكن ملاحقته.

كان ما يزال يحدق إليها بتلك العينين الزرقاوين الغريبتين الباردتين، ومع ذلك فقد شعرت على نحوٍ ما بأن التوتر قد فارقهما. قال: ولماذا كنتُ شخصاً جيداً جداً للملاحقة؟

- الحقيقة أنك كنت ذا ملابس ملفتة جداً للنظر. إنها حقاً ملابس جميلة تماماً... تكاد تشبه الأزياء التي كانت سائدة في فترة الوصاية على العرش، وقد قلتُ لنفسي إن بوسعي أن أستفيد من سهولة تمييزك عن الناس الآخرين. ولذلك فقد رأيتني أخرج خلفك عندما خرجتَ من المقهى. والملاحقة ليست سهلة على الإطلاق.

ثم نظرت إليه وقالت: هل تمانع في إخباري إن كنتَ قد عرفت أنني ألاحقك منذ البداية؟

- كلا، ليس على الفور.

قالت بشيء من التأمل: فهمت. ولكنني -طبعاً- لستُ مثلك على هذا القدر من التميز. أعني أنه لم يكن بوسعك أن تميزني من بين الكثير من النساء العجائز الأخريات. إنني لا ألفت الانتباه كثيراً، أليس كذلك؟

- هل تكتبين روايات تُنشر؟ هل سبق لي أن رأيتُ شيئاً منها؟

- لا أدري، ربما تكون قد رأيتها. لقد كتبتُ ثلاثاً وأربعين رواية حتى الآن. اسمي أوليفر.

- أريادني أوليفر؟

- إذن فأنت تعرف اسمي. حسناً، هذا شيء يسرني بالطبع، مع أنني أظن أنك لا تحب رواياتي كثيراً. ربما وجدتَها قديمة الطراز

إلى حدٍّ ما... ليس فيها الكثير من العنف.

- ألم تكوني تعرفينني شخصياً من قبل؟

هزت السيدة أوليفر رأسها بالنفي وقالت: نعم، أنا واثقة أنني لا أعرفك... أعني أنني لم أكن أعرفك.

- وماذا عن الفتاة التي كنتُ معها؟

- أتعني تلك التي كنتَ تتناول معها الفاصولياء في المقهى؟ كلا، لا أظنني أعرفها... ولكنني لم أرَ إلاّ رأسها من الخلف. لقد بدت لي... أعني أن الفتيات يكنّ متشابهات بعض الشيء، أليس كذلك؟

قال الفتى فجأة: ولكنها عرفتك.

اكتسبت نبرته بلحظةٍ حدةً شديدة مفاجئة، وقال: لقد ذكرت أنها التقت بك مرة منذ وقت قريب. منذ أسبوع تقريباً فيما أظن.

- أين؟ أكان ذلك في حفلة؟ أحسب أنني ربما أكون قد قابلتها. ما هو اسمها؟ فربما عرفتها من اسمها.

رأت أنه كان متردداً بين أن يذكر الاسم أو لا يذكره، ولكنه قرر ذكره وراقب وجهها بإمعان وهو يذكره: اسمها نورما ريستاريك.

- نورما ريستاريك. آه، نعم بالطبع. كان ذلك في حفلة في الريف. في منزل اسمه... انتظر لحظة. أكان اسمه لونغ نورتن؟ لا أذكر اسم البيت. ذهبتُ هناك برفقة بعض الأصدقاء. ولكن لا أحسب أنني كنتُ سأتعرف إليها لو رأيتها جيداً، رغم أنني أظن أنها قالت بالفعل شيئاً ما عن رواياتي. بل إنني وعدتها بأن أهديها

واحدة منها. أليس غريباً جداً أن أعزم أمري وأختار ملاحقة الشخص الذي يجلس مع فتاة أعرفها بشكل أو بآخر؟ غريب جداً. لا أحسب أن بوسعي أن أضع شيئاً من هذا في رواياتي، فمن شأن ذلك أن يبدو مصادفة مبالغاً بها كثيراً، ألا تظن ذلك؟

نهضت السيدة أوليفر وقالت: يا إلهي، ما هذا الذي كنتُ أجلس عليه؟ صندوق مهملات! يا لغفلتي! وليس بصندوق مهملات جيد أيضاً. ما هذا المكان الذي وصلتُ إليه؟

كان ديفيد ينظر إليها. وشعرت فجأة بأنها كانت مخطئة تماماً في كل ما فكرت به سابقاً. قالت لنفسها: "يا له من سخف مني إذ ظننتُ أنه خطير وأنه قد يؤذيني!". كان يبتسم لها بسحر شديد. حرك رأسه قليلاً، وتحركت الخصلات الملتفة لشعره الكستنائي فوق كتفيه. ما هذه المخلوقات الغريبة الجميلة التي يشكلها شباب اليوم!

قال لها: أقل ما يمكن أن أفعله -برأيي- هو أن أُريك إلى أين أحضرتِ نفسك بملاحقتي. هيا، لنصعد هذا الدرج.

ثم أشار إلى درج خارجي مُهدّم يصعد إلى ما بدا أنه سقيفة.

- أأصعد هذا الدرج؟

لم تكن السيدة أوليفر واثقة تماماً من هذا التطور، فربما كان يحاول إغراءها للصعود ليضربها على رأسها هناك. قالت لنفسها: "لا فائدة يا أريادني، لقد أحضرتِ نفسك إلى هذا المنطقة، وعليك الآن أن تمضي قُدُماً في هذا الأمر وتعثري على ما يمكنك العثور عليه".

- أتظن أنه سيتحمل ثقلي؟ إنه يبدو درجاً خطيراً جداً.

- آه، لا بأس به. سأصعد قبلك وأريك الطريق.

صعدت السيدة أوليفر خلفه الدرج الذي يشبه السُلّم، وكانت ما تزال خائفة في قرارة نفسها. ولم تكن خائفة من الطاووس نفسه بقدر ما كانت خائفة من المكان الذي قد يقودها إليه. حسناً، ستعرف الحقيقة عمّا قريب. فتح ديفيد باباً في قمة الدرج ودخل إلى غرفة. وكانت غرفة كبيرة خالية تقريباً، تُستخدم مرسماً، مرسماً اعتُمد على عجل ودون تخطيط. كان ثمة بضع لوحات قماش مكدسة تستند إلى الجدار، ومحملان للوحات. وكانت رائحة الأصباغ منتشرة، وكان في الغرفة شخص؛ شاب ذو لحية يقف أمام محمل اللوحات ويرسم. التفت عند دخولهما وقال: مرحباً يا ديفيد. هل أحضرتَ لنا رفقة؟

رأت السيدة أوليفر أن هذا الشاب كان -بلا ريب- أقذر شاب رأته في حياتها. كان له شعر أسود تعلوه الدهون يتدلى على شكل كتل دائرية خلف رقبته وفوق عينيه من الأمام، وبدا أن ملابسه تتألف -بشكل أساسي- من الجلد الأسود الدهني والحذاء العالي. وانتقلت نظرة السيدة أوليفر منه إلى فتاة كانت جالسة أمامه على كرسي خشبي مرتفع قليلاً عن الأرض، وقد أعادت رأسها إلى الخلف وتدلى منه شعرها الأسود. وقد عرفتها السيدة أوليفر على الفور... لقد كانت الفتاة الثانية من ضمن الفتيات الثلاث في بورودين مانشيتز. لم تستطع السيدة أوليفر تذكر اسم عائلتها، ولكنها تذكرت اسمها الأول. فهي الفتاة كثيرة التزين كسولة المظهر التي تدعى فرانسيس.

قال ديفيد وهو يشير إلى الفنان الذي بدا متمرداً بعض الشيء: أعرِّفكِ على بيتر، وهو واحد من عبقرياتنا الواعدة، وعلى فرانسيس التي تجلس على هذا الكرسي كالأموات!

قالت السيدة أوليفر مخاطبة فرانسيس بمرح ودون أي مظهر يدل على يقين واعٍ: أحسبني أعرفك، أليس كذلك؟ أنا متأكدة من أنني قابلتُكِ في مكان ما... وقبل فترة قصيرة أيضاً!

قالت فرانسيس: أنت السيدة أوليفر، أليس كذلك؟

قال ديفيد: هذا ما قالته. ويبدو أنه صحيح أيضاً، أليس كذلك؟

استمرت السيدة أوليفر قائلة: والآن، أين قابلتك، أكان ذلك في حفلة ما؟ كلا، دعيني أرَ. آه، عرفت. لقد كان ذلك في بورودين مانشينز.

كانت فرانسيس قد اعتدلت في جلستها الآن وأخذت تتحدث بنبرات سئمة ولكنها لطيفة.

قالت السيدة أوليفر: "لقد كنتُ أقوم بتجارب على ملاحقة الناس. إنه أمر أصعب بكثير مما ظننته". ثم أضافت وهي تنظر حولها متهللة الأسارير: هل هذا مرسم؟

أجاب بيتر: هذه هي أشكال المراسم في أيامنا هذه، أشبه بسقيفة... وتكونين محظوظة إن لم تنخسف بك الأرض وتقعي.

قال ديفيد: فيه كل ما تحتاجه. لديك إضاءة من الشمال، وحيز كبير زائد، وفرشة تنام عليها، وحصة الربع من المرحاض في الأسفل... بالإضافة إلى ما يسمونه حاجيات الطبخ.

فتحت السيدة أوليفر حقيبتها، وعلى الفور سقطت منها على الأرض ثلاث لفات من الشعر الأشيب. أخذها ديفيد وأعادها إليها

فقالت وهي تأخذها: "آه، شكراً لك. لم يكن لديّ وقت هذا الصباح. أتساءل إن كان لديّ المزيد من دبابيس الشعر". ثم بحثت في حقيبتها وبدأت تُثبِّت الخصلات بشعرها.

هدر بيتر ضاحكاً وقال: هذا رائع والله!

قالت السيدة أوليفر لنفسها: كم هو غريب أن تخطر لي تلك الفكرة السخيفة بأنني في خطر. خطر... من هؤلاء الناس؟ إنهم حقاً في منتهى اللطف والصداقة بغض النظر عن أشكالهم. صحيح تماماً ما يقوله الناس لي دائماً من أن لي خيالاً جامحاً.

وسرعان ما قالت إن عليها أن تذهب، وقام ديفيد -بشهامة الفرسان- بمساعدتها في نزول الدرج الخطير، وأعطاها تعليمات محددة حول كيفية الوصول إلى شارع كنغز بأسرع طريقة، ثم قال: وهناك يمكنك ركوب الحافلة... أو سيارة أجرة إذا شئت.

- بل سيارة أجرة؛ إن قدميّ متعبتان جداً، وكلما أسرعت في إلقاء نفسي في سيارة أجرة كان ذلك أفضل. شكراً لك على لطفك البالغ تجاه ملاحقتي إياك بطريقة لا بد أنها بدت غريبة جداً. رغم أنني لا أحسب أن رجل التحري الخاص، أو كائناً ما كان اسمه... لا أحسب أنه يشبهني في شيء.

قال ديفيد بجدية: ربما كان هذا صحيحاً. تنعطفين شمالاً هنا... ثم يميناً، ثم شمالاً مرة أخرى حتى النهر، وتذهبين باتجاهه، ثم تنعطفين يميناً وتسيرين إلى الأمام.

الأمر الغريب أنها -وهي تمشي عبر الساحة الخَرِبة- عاودها

نفس شعور عدم الارتياح والشك، وقالت لنفسها: "يجب أن لا ألقي بالاً لخيالي مرة أخرى". التفتت إلى الدرج وإلى نافذة المرسم. كان ديفيد ما يزال واقفاً ينظر إليها، وقالت لنفسها: "ثلاثة شبان رائعون تماماً، رائعون ولطفاء جداً. هنا إلى الشمال، ثم إلى اليمين... لمجرد أنهم يبدون غريبي الشكل يذهب المرء بعيداً في أفكاره السخيفة حول خطورتهم. هل أنعطف إلى اليمين ثانية؟ أم الشمال؟ أظن أنه الشمال... آه، يا إلهي، قدمي. وفوق ذلك فإنها ستمطر أيضاً". بدا المشي بلا نهاية وبدا شارع كنغز بعيداً بشكل لا يُصدق. لا تكاد تستطيع سماع أصوات المرور الآن... وأين ذهب النهر؟! بدأت تشك بأنها قد اتبعت التعليمات بشكل خاطئ.

ثم فكرت السيدة أوليفر قائلة لنفسها: "حسناً، لا بد أن أصل إلى مكان ما قريباً... إلى النهر، أو إلى بوتني أو واندزورث أو أي مكان آخر". سألت رجلاً ماراً عن الطريق إلى شارع كنغز فقال إنه أجنبي ولا يتقن الإنكليزية.

انعطفت السيدة أوليفر عند زاوية أخرى وهي سئمة فرأت هناك التماع صفحة النهر أمامها. أسرعت باتجاهه في ممر ضيق، وسمعت صوت خطوات خلفها. وكانت قد التفتت نصف التفاتة عندما ضُربت من الخلف وانفجر العالم في عينيها على شكل شرارات.

* * *

الفصل العاشر

قال صوت: اشربي هذا.

كانت نورما ترتعد وفي عينيها نظرة غائمة. انكمشت إلى الخلف قليلاً في كرسيها. وتكرر الأمر: "اشربي هذا". وفي هذه المرة شربت طائعة، ثم غصّت قليلاً وشهقت قائلة: إنه... إنه قوي جداً.

- سوف يُحسِّن وضعك؛ ستشعرين بالتحسن خلال دقيقة واحدة. ارتاحي فقط وانتظري.

فارقها ما كانت تعاني منه من غثيان ودوخة، وعاد شيء من اللون إلى وجنتيها، وانتهت رعدتها. ولأول مرة نظرت حولها لترى ما يحيط بها. وقد كان يطغى عليها شعور بالخوف والرعب، ولكن الأمور بدتِ الآن وكأنها تعود إلى طبيعتها. كانت غرفة متوسطة الحجم مفروشة بشكل بدا مألوفاً بعض الشيء: مكتب، وأريكة، وكرسي ذو ذراعين، وآخر عادي، وسماعة طبيب على طاولة جانبية، وآلةٌ رأت نورما أن لها علاقة بالعيون. ثم انتقل انتباهها من العام إلى الخاص. إلى الرجل الذي أمرها أن تشرب.

رأت رجلاً يزيد عمره قليلاً عن الثلاثين، ذا شعر أحمر ووجه دميم لا يخلو من جاذبية، من تلك الوجوه ذات القسمات المحددة القوية رغم أنه يثير الاهتمام. أومأ لها برأسه كمن يطمئنها وقال: هل بدأت تستعيدين وعيك بما حولك؟

- إنني... أظن ذلك. إني... هل أنت... ما الذي حدث؟

- ألا تذكرين؟

- الشارع. لقد... لقد اندفعت السيارات نحوي.

نظرت إليه ثم قالت: لقد صُدمت.

قال وهو يهز رأسه: لا، لم تُصدمي؛ فقد جنّبْتُك ذلك.

- أنت؟

- نعم، لقد كنتِ هناك في منتصف الطريق وسيارة تتقدم منك بسرعة، وقد استطعت بالكاد انتشالك من طريقها. ما الذي كنتِ تفكرين به حتى ذهبت راكضة إلى وسط الشارع بهذا الشكل؟

- لا يمكنني أن أتذكر. إنني... نعم، أحسب أنني كنت أفكر بشيء آخر دون شك.

- كانت سيارة جاغوار قادمة بسرعة شديدة، ومن الاتجاه الآخر للشارع كانت حافلة قادمة بسرعة. هل كانت السيارة تحاول صدمك؟

- أنا... كلا، كلا، أنا واثقة أنها لم تحاول ذلك. أعني أنني...

- الحقيقة أنني شككتُ في ذلك.

- ماذا تعني؟

- ربما كان الأمر متعمداً.

- ماذا تعني بمتعمّد؟

- لقد تساءلتُ إن كنتِ قد حاولت قتل نفسك؟

ثم أضاف بشكل عرضي: هل كنتِ تحاولين ذلك؟

- أنا... كلا... كلا بالطبع.

قال وقد تغيرت لهجته قليلاً: وإنها لطريقة سخيفة جداً إن كان الأمر كذلك. هيا الآن، لا بد أن تتذكري شيئاً حول الموضوع.

بدأت ترتعد ثانية وقالت: لقد فكرتُ... لقد فكرتُ بأن الأمر كله سينتهي. فكرتُ...

- إذن فقد كنتِ تحاولين الانتحار بالفعل، أليس كذلك؟ ما الأمر؟ يمكنك أن تخبريني. أهو حبيب؟ يمكن أن يترك الحب مشاعر سيئة جداً، وتوجد -دوماً- الفكرة المأمولة القائلة إنك إن قتلتِ نفسك فسوف تجعلينه يندم ويأسف... ولكن على المرء أن لا يثق بذلك؛ فالناس لا يحبون الشعور بالأسف أوالندم أو بأنهم كانوا سبباً في أي مشكلة. كل ما يمكن للحبيب أن يقوله هو: "لقد رأيتُ دوماً أنها غير متزنة، وقد كان هذا أفضل حل". تذكري ذلك في المرة القادمة عندما يدفعك حافزٌ ما لرمي نفسك أمام سيارات الجاغوار، فحتى سيارات الجاغوار لها مشاعر يجب مراعاتها. أكانت تلك هي المشكلة؟ مشكلة حبيب هجرك؟

قالت: "كلا، آه، كلا. كان الأمر على العكس تماماً". ثم أضافت فجأة: لقد أراد الزواج بي.

- ولكن هذا لا يشكل سبباً يجعلك ترمين نفسك أمام سيارة جاغوار.

قالت: "بل يشكل. لقد فعلتُ ذلك لأن..."، ثم توقفت.

- منَ الأفضل أن تخبريني بالموضوع، أليس كذلك؟

- كيف وصلتُ إلى هنا؟

- أنا أحضرتك إلى هنا بسيارة أجرة. لم يبدُ عليكِ أنك مصابة... رغم بعض الرضوض فيما أظن. بدا عليك أنك في حالة صدمة قاتلة. سألتُك عن عنوانكِ فنظرتِ إليّ كما لو أنك لا تعرفين عن أي شيء أتحدث. وكان الناس قد بدؤوا يحتشدون، ولذلك أشرتُ إلى سيارة أجرة وأحضرتك إلى هنا.

- هل هذه... عيادة طبيب؟

- هذه غرفة استشارة طبية، وأنا طبيب. واسمي ستيلنغفليت.

- لا أريد أن أرى طبيباً! لا أريد التحدث مع طبيب! لا أريد...

- اهدئي، اهدئي. لقد كنتِ تتكلمين مع طبيب خلال الدقائق العشر الماضية. وما العيب في الأطباء على كل حال؟

- إنني خائفة. خائفة من أن الطبيب سيقول...

- هيا الآن يا فتاتي العزيزة، أنت لا تستشيرينني بشكل رسمي

كطبيب. اعتبريني مجرد شخص خارجي أدى به تدخله فيما لا يعنيه إلى أن ينقذك من الموت أو مما كان أكثر احتمالاً من كسرٍ في الذراع أو الساق أو جرحٍ في الرأس، أو من إصابة كريهة جداً يمكن أن تشكل إعاقة دائمة مدى الحياة. ويمكن أن تُلاحَقي قضائياً في حالة محاولتك الانتحار. هيا الآن، لا تستطيعين القول إنني لم أكن صريحاً. يمكنك أن تردي الجميل الآن بأن تكوني صريحة معي وتخبريني لماذا -بالله عليك- تخافين الأطباء. ماذا فعل لك الأطباء؟

- لا شيء. لم يفعل أحد شيئاً لي، ولكني أخاف مما قد يفعلوه...

- مثل ماذا؟

- مثل احتجازي.

رفع الدكتور ستيلنغفليت حاجبيه ونظر إليها، ثم قال: حسناً، حسناً، يبدو أن لديك بعضاً من الأفكار الغريبة جداً عن الأطباء. ولماذا عساي أريد احتجازك؟! هل ترغبين بكوب من الشاي؟ أم أنك تفضلين تلك الحبوب المُنشطة، أو مُهدئاً ما؟ فهذا ما يفضله الشباب من أبناء جيلك. وقد مشيتِ أنت شخصياً في هذا الطريق قليلاً، أليس كذلك؟

هزت رأسها وقالت: نعم، ليس تماماً.

لا أصدقك. على كل حال لماذا الذعر واليأس؟ فلا أظنك مجنونة، أليس كذلك؟ ما كنتُ لأرى ذلك. ليس الأطباء بالمتلهفين أبداً على احتجاز الناس، والمصحات العقلية مليئة جداً أصلاً، ومن الصعب حشر شخص إضافي فيها. بل الحقيقة أنهم أصبحوا مؤخراً يُطلقون كثيراً من الناس ممن ينبغي أن يكونوا مُحتجزين في تلك

المصحات بالتأكيد. لقد أصبح كل شيء مزدحماً جداً في هذه البلاد.

سكت قليلاً ثم تابع يقول: حسناً، ما هو ذوقك؟ أتحبين شيئاً من خزانة أدويتي أم كوباً من الشاي الإنكليزي الثقيل القديم؟

- أنا... أنا أفضل بعض الشاي.

- أتريدينه هندياً أم صينياً؟ هذا ما ينبغي أن يُسأل، أليس كذلك؟ ولكن تذكّري أنه قد لا يكون لديّ شاي صيني.

- أنا أفضّل الشاي الهندي أكثر.

- جيد.

ذهب إلى الباب ففتحه ونادى: "آني، أحضري إبريق شاي لشخصين". ثم عاد فجلس وقال: والآن اسمعيني جيداً أيتها الشابة. ما هو اسمك بالمناسبة؟

قالت: "نورما رســ..."، ثم توقفت.

- ماذا؟

- نورما وِست.

- حسناً يا آنسة وِست، دعينا نوضح هذا الأمر. أنا لا أعالجك، وأنت لا تستشيرينني. إنك ضحية حادث مروري... سنُعبِّر عن الأمر بهذا الشكل، وأحسب أن هذا ما أردتِ أنتِ أن يبدو عليه الأمر، الأمر الذي سيكون صعباً جداً على سائق الجاغوار.

- فكرت برمي نفسي عن أحد الجسور قبل ذلك.

- حقاً؟ ما كنتِ لتجدي ذلك سهلاً جداً؛ فالذين يبنون الجسور أصبحوا حريصين جداً في هذه الأيام. أعني أنه كان سيتعين عليك أن تتسلقي سياج الجسر العالي، وهذا ليس بتلك السهولة. فلا بد أن يوقفك أحدهم. حسناً، استكمالاً لما كنتُ أقوله، فقد أحضرتك إلى هنا لأنك كنتِ في حالة صدمة شديدة لا تسمح لك بأن تخبريني بعنوانك. ما هو عنوانك بالمناسبة؟

- ليس لي عنوان... أنا... أنا لا أعيش في أي مكان.

- هذا مثير... هذا ما يسمّيه الشرطة: "غير محدد مكان الإقامة". وما الذي تفعلينه... أتجلسين على ضفة النهر طوال الليل؟

نظرت إليه بارتياب فقال: كان بوسعي إبلاغ الشرطة بالحادث، ولكن لم أكن مُلزماً بذلك، ولذلك فضّلتُ تبني الرأي القائل بأنك كنتِ تعبرين الشارع في حالة تفكير عميق دون أن تنظري حولك.

- أنت لا تشبه أبداً فكرتي عن الأطباء.

- حقاً؟ الحقيقة أنني كنت أفقد الأمل تدريجياً بمهنتي في هذا البلد. بل إنني سأترك عملي هنا وأذهب إلى أستراليا في غضون أسبوعين؛ ولذلك فأنت آمنة تماماً من طرفي، ويمكنك إذا أردتِ أن تخبريني كيف ترين فيلة حمراء تخرج من الجدار، وكيف تظنين أن الأشجار تمد أغصانها لتلتف حولك وتخنقك، أو أي خيال غريب غير هذه الخيالات، ودون أن أفعل شيئاً إزاء ذلك! إنك تبدين عاقلة تماماً إن صحّ لي القول.

- لا أظنني كذلك.

قال الدكتور ستيلنغفليت برشاقة: حسناً، ربما كنتِ على حق. دعينا نسمع أسبابك.

- إنني أفعل أشياء لا أذكر عنها شيئاً... وأقول للناس أشياء عما فعلتُه ولكني لا أذكر أنني قلتها لهم...

- يبدو من ذلك وكأن لديك ضعفاً في الذاكرة.

- أنت لا تفهمني، فكل ما أعنيه من أشياء... إنما هي أشياء شريرة. إنه مجرد... مجرد كراهية.

قُرِع الباب ودخلت امرأةٌ حاملةً صينية الشاي. وضعتها على المكتب وخرجت ثانية. قال الدكتور ستيلنغفليت: أتريدين سكراً؟

- نعم، من فضلك.

- فتاة عاقلة؛ فالسكّر مفيد جداً للمرء عندما يتعرض لصدمة.

صب كوبين من الشاي، ووضع كوبها بجانبها ووضع بقربه آنية السكر، ثم قال وهو يجلس: حسناً، ما الذي كنا نتحدث عنه؟ آه نعم، الكراهية.

- أليس من الممكن أن تكره شخصاً إلى حدٍ تريد معه حقاً أن تقتله؟

قال ستيلنغفليت وهو ما يزال مبتهجاً: آه، بلى؛ هذا ممكن تماماً، والحقيقة أنه طبيعي جداً. ولكن حتى لو كنتِ تريدين فعلاً القيام بذلك فإنك لا تستطيعين دوماً حمل نفسك على الوصول إلى تلك النقطة. إن الإنسان مُجهّز بنظام كابح طبيعي، وهو يكبح تلك

الأفكار في اللحظة المناسبة تماماً.

- أنت تجعل الأمر يبدو عادياً تماماً.

كان في صوتها نبرة انزعاج لا تخفى.

- آه، إنه أمر طبيعي تماماً. الأطفال يكادون يشعرون بذلك كل يوم، فيفقدون أعصابهم ويقولون لأمهاتهم أو لآبائهم: "أنت شرير، أكرهك، أتمنى لو تموت". والأمهات العاقلات لا يلتفتن عادة لذلك. وعندما تكبرين فإنك تستمرين في كراهية بعض الناس، ولكنك لا يمكن أن تتجشمي كل ذلك العناء وترغبي بقتلهم في مثل هذا العمر. أو أنك إذا رغبتِ بذلك فإنك تذهبين إلى السجن. هذا إذا حملتِ نفسك حقاً على القيام بهذه العملية الصعبة الفظيعة.

ثم سألها بأسلوب عرضي: وبالمناسبة، لا أظنك تخترعين كل هذا الأمر، أليس كذلك؟

قالت وهي تعتدل في جلستها: بالطبع لا أخترعه.

التمعت عيناها غضباً وأكملت تقول: بالطبع لا أخترعه. أتظن أنني يمكن أن أقول مثل هذه الأشياء الفظيعة لو لم تكن صحيحة؟

- مرة ثانية أقول إن الناس يفعلون ذلك أحياناً. فهم يقولون عن أنفسهم كل الأمور الفظيعة ويستمتعون بقولها.

أخذ منها كوبها الفارغ وقال: والآن، من الأفضل أن تخبريني بكل شيء. من الذين تكرهينهم، ولماذا تكرهينهم، وماذا تودين أن تفعلي لهم.

- يمكن للحب أن يتحول إلى كراهية.

- يبدو هذا كأغنية ميلودرامية. ولكن تذكري أن الكراهية يمكن أيضاً أن تتحول إلى حب، فهذه قاعدة تعمل في الاتجاهين. وأنت تقولين إنه لم يكن حبيباً، أليس كذلك؟

- لا شيء من ذلك. إنها... إنها زوجة أبي.

- دافع زوجة الأب القاسية. ولكن هذا هراء. ففي مثل سنك تستطيعين النجاة من زوجة أبيك. ما الذي فعلَتْهُ لكِ بالإضافة إلى زواجها بأبيك؟ هل تكرهينه أيضاً، أم أنك تحبينه إلى الحد الذي لا تريدين معه من يشاركك فيه؟

- ليس الأمر بهذا الشكل أبداً. ليس تماماً. لقد كنتُ أحبه ذات يوم. لقد أحببته كثيراً. كان... كان... أذكر أنه كان رائعاً.

- اسمعيني إذن. سأقترح عليك شيئاً: هل ترين ذلك الباب؟

التفتت نورما ونظرت إلى الباب بشيء من الحيرة، فقال لها: باب عادي تماماً، أليس كذلك؟ ليس مقفلاً. ينفتح وينغلق بشكل عادي. هيا جرِّبيه بنفسك. لقد رأيتِ مدبرة منزلي تأتي وتخرج منه، أليس كذلك؟ لا أوهام في ذلك. هيا، انهضي. افعلي ما أقوله لك.

نهضت نورما عن كرسيها وذهبت إلى الباب بشيء من التردد ففتحته، ثم وقفت على عتبته وقد التفتت إليه برأسها متسائلة فقال: جيد. ما الذي ترينه؟ صالة عادية تماماً، تحتاج إلى شيء من الديكور، ولكن ذلك لم يعد يستحق العناء وأنا ذاهب قريباً إلى أستراليا. والآن اذهبي إلى الباب الأمامي وافتحيه، لا حِيَل في

الأمر. اخرجي منه وانزلي إلى الرصيف، وسيريك ذلك أنك حرة كلياً ولا توجد محاولات لاحتجازك بأي شكل. وبعد ذلك، بعد أن تُقنعي نفسك بأن بإمكانك الخروج من هذا المكان في أية لحظة تشائين عودي، واجلسي في ذلك الكرسي المريح هنا وأخبريني كل شيء عن نفسك. وبعد ذلك سأعطيك نصيحتي الثمينة.

ثم أضاف مواسياً: وأنت لستِ مضطرة للأخذ بها؛ فنادراً ما يأخذ الناس بالنصائح، ولكن قد يكون من الأفضل أن تسمعيها. اتفقنا؟

نهضت نورما ببطء، وخرجت من الغرفة مضطربة بعض الشيء، إلى ما وصفه الطبيب بأنه صالة عادية تماماً، ثم فتحت الباب الأمامي بقبضة باب سهلة الفتح، ونزلت أربع درجات لتقف على الرصيف في شارع ذي بيوت ظاهرة الزينة رغم أنها لا تثير الاهتمام. وقفت هناك دقيقة غير واعية بأن الدكتور ستيلنغفليت نفسه يراقبها من فتحة الستائر. وقفت هناك دقيقتين أخريين، ثم عادت بشكل أكثر تصميماً بعض الشيء، فصعدت الدرجات ثانية وأغلقت الباب الأمامي وعادت إلى الغرفة. قال الدكتور ستيلنغفليت: أكل شيء على ما يرام؟ هل اقتنعتِ أنني لا أخفي شيئاً؟ كل شيء واضح ومكشوف.

أومأت الفتاة برأسها بالإيجاب.

- حسناً. اجلسي هناك. وارتاحي في جلستك. هل تدخنين؟

- الحقيقة أنني...

- لفافات المخدر فقط... شيء من ذلك، أليس كذلك؟ لا يهم، لا حاجة لأن تخبريني.

- أنا لا أتعاطى شيئاً من ذلك بالطبع.

- ما كنتُ لأرى أن في الأمر كثيراً من هذه الـ«بالطبع»، ولكن على المرء أن يصدق ما يقوله له مرضاه. حسناً. والآن أخبريني عن نفسك.

- إنني... إنني لا أعرف. ليس لديّ حقاً ما يقال. ألا تريدني أن أتمدد على أريكة؟

- آه، أتعنين من أجل تذكر أحلامك وغير ذلك من الكلام؟ لا، أنا أريد فقط أن أعرف خلفية حياتك. من قبيل: متى وُلدت، هل عشتِ في الريف أم في المدينة، هل لديك أخوة وأخوات أم أنك وحيدة... وهكذا. عندما ماتت أمك هل حزنتِ كثيراً لموتها؟

قالت نورما بشيء من السخط: بالطبع حزنت كثيراً.

- أنت مغرمة كثيراً بقول «بالطبع» يا آنسة وِست. وبالمناسبة، فإن وِست ليس اسمك الحقيقي، أليس كذلك؟ آه، لا يهم، لا أريد معرفة أي اسم غيره. بإمكانك أن تسمي نفسك أي اسم تختارينه. ما الذي حدث بعد وفاة أمك؟

- كانت مقعدة لفترة طويلة قبل وفاتها، وكانت تقضي الكثير من الوقت في المصحات. وقد بقيت مع خالة لي كبيرة في السن، ثم عاد أبي إلى الوطن منذ نحو ستة أشهر. وكان... وكان ذلك رائعاً.

تهلل وجهها فجأة. ولم تكن واعية للنظرة الذكية السريعة التي وجهها لها الشاب الذي يتصرف بشكل عرضي. استمرت قائلة: ما كنتُ أكاد أذكره؛ فقد غادر عندما كنتُ أنا في الخامسة من عمري،

ولم أظن أبداً أنني سأراه بعد ذلك. لم تكن والدتي تتحدث عنه كثيراً، وأظنها كانت تأمل في البداية بأن يترك تلك المرأة الأخرى ويعود.

- المرأة الأخرى؟

- نعم، فقد سافر مع امرأة، وكانت امرأة سيئة جداً كما قالت أمي. كانت أمي تتحدث عنها بمرارة شديدة، وتتحدث عن أبي بمرارة شديدة أيضاً، ولكني كنتُ أفكر بأن أبي ربما... ربما لم يكن سيئاً إلى تلك الدرجة التي حسبَتْها، وأن الخطأ كله من تلك المرأة.

- وهل تزوجا؟

- كلا. قالت أمي إنها لن تقبل الطلاق من أبي أبداً. كانت من طائفة لا تؤمن بالطلاق.

- وهل استمرا في العيش معاً؟ ماذا كان اسم المرأة، أم أن هذا أيضاً من الأسرار؟

هزت نورما رأسها وقالت: لا أذكر اسمها الأخير. ولا أظن أنهما عاشا معاً لفترة طويلة، ولكني لا أعرف الكثير عن هذا الأمر. فقد ذهبا إلى جنوب أفريقيا، وأظن أنهما تشاجرا وافترقا بعد وقت قصير، لأن أمي قالت -وقتها- إنها تأمل بأن يعود أبي ثانية... ولكنه لم يعُدْ، بل إنه لم يكتب رسائل، حتى لي أنا. وإن كان يرسل لي هدايا في الأعياد دائماً.

- أكان يحبك؟

- لا أدري. كيف لي أن أعرف؟ لا أحد كان يتكلم عنه أبداً، باستثناء العم سايمون... أخيه. فقد كانت له شركة في لندن وكان

غاضباً جداً لأن أبي قد ترك كل شيء. قال إنه كان دوماً كذلك، لا يستطيع الاستقرار على شيء أبداً، ولكنه قال إنه لم يكن رجلاً سيئاً حقاً، بل كان ضعيفاً فقط. لم أكن أرى العم سايمون كثيراً. ومَن كنتُ ألتقيهن دوماً كُنّ صديقات أمي، وأغلبهن مملات جداً. حياتي كلها كانت مملة جداً...

آه، لقد بدا رائعاً أن أبي عائد حقاً. حاولتُ أن أتذكره بشكل أفضل. أن أتذكر الأشياء التي كان يقولها، والألعاب التي كان يلعبها معي، فقد كان يُضحكني كثيراً. حاولتُ أن أرى إن كان بوسعي أن أعثر على بعض الصور القديمة له، ولكن بدا أن كل الصور قد فُقدت. وأظن أن أمي قد مزقتها كلها دون شك.

- إذن فقد بقيتْ حاقدة عليه؟

- أظن أن حقدها كان ينصب على لويز.

- لويز؟

رأى شيئاً من التصلب لدى الفتاة، وقالت: لا أذكر... لقد قلتُ لك... لا أذكر أية أسماء.

- لا يهم. أنت تقصدين المرأة التي هرب أبوك معها؟

- نعم. قالت أمي إنها كانت تشرب كثيراً وتتعاطى المخدرات وستنتهي نهاية سيئة.

- ولكنك لا تعلمين إن كانت قد انتهت فعلاً كذلك؟

قالت ومشاعرها تتصاعد: لا أعلم شيئاً... ليتك لا تطرح عليّ

أسئلة! لا أعلم شيئاً عنها! لم أسمع شيئاً عنها بعد ذلك! لقد نسيتُها حتى ذكرتَها أنت. قلتُ لك إنني لا أعلم شيئاً.

- حسناً، حسناً، لا تنفعلي إلى هذا الحد. لا حاجة بك للاهتمام بما مضى، دعينا نفكر بالمستقبل. ما الذي ستفعلينه الآن؟

أطلقت نورما زفرة عميقة وقالت: لا أدري. ليس لي مكان أذهب إليه. لا أستطيع... من الأفضل كثيراً... إنني واثقة أن من الأفضل كثيراً أن... أن أُنهي الأمر كله... غير أن...

- غير أنك لا تستطيعين الإقدام على المحاولة مرة أخرى، أليس كذلك؟ سيكون ذلك تصرفاً شديد الحماقة إن حاولتِ ثانية، دعيني أؤكد لك ذلك يا فتاتي. حسناً، ليس لديك مكان تذهبين إليه، ولا شخص تثقين به، هل لديك أية نقود؟

- نعم، لدي حساب في المصرف، وأبي يضع فيه الكثير من المال كل ثلاثة أشهر، ولكنني لست متأكدة... أظن أنهم ربما أصبحوا يبحثون عني بعد مضي هذا الوقت. لا أريد أن يُعثر علي.

- لا حاجة لأن يعثروا عليك. أنا سأتدبر لك هذا الأمر تماماً. في مكان يُدعى كينوي كورت. وربما لا يكون مكاناً شديد الروعة كما يوحي اسمه. إنه نوع من البيوت التي تُستخدم لأغراض النقاهة، يذهب إليه الناس للارتياح فيه. ليس فيه أطباء، ولا طاولات لفحص الناس، ولن تكوني مُحتجَزة هناك، يمكنني أن أعدك بذلك. إذ يمكنك الخروج متى أحببت. يمكنك تناول إفطارك في السرير، ويمكنك البقاء في سريرك طوال اليوم إذا شئت. تمتعي هناك بقسط

وافر من الراحة وسآتي إليك هناك في أحد الأيام لأتحدث إليك وسوف نحلُّ معاً بعض المشكلات. هل يناسبك هذا؟ هل أنت مستعدة للأمر؟

نظرت نورما إليه. جلست تنظر إليه دون تعابير في وجهها، ثم أومأت برأسها ببطء.

* * *

في وقت لاحق من ذلك المساء أجرى الدكتور ستيلنغفليت مكالمة هاتفية. قال: عملية اختطاف ناجحة جداً. إنها في كينوي كورت. جاءت كالحمل الوديع. لا أستطيع قول الكثير الآن. إن الفتاة مشحونة بالمخدرات، وأظن أنها كانت تتعاطى مختلف الأنواع... وقد كانت تحت تأثير المخدر منذ بعض الوقت. إنها لا تعترف بذلك ولكنني لا أثق كثيراً بما تقوله.

أصغى قليلاً ثم عاد ليقول: لا أستطيع الإجابة عن أية أسئلة! على المرء أن يكون حريصاً في مثل هذا الأمر. إنها تخاف بسهولة... نعم، إنها خائفة من شيء ما، أو أنها تتظاهر بالخوف من شيء ما... لا أدري بعد، لا أستطيع الجزم. فلنتذكر أن متعاطي المخدرات خدّاعون. لا يمكن للمرء أن يصدق دوماً ما يقولونه. إننا لم نتعجل الأمور ولا أريد أن أثير ذعرها... لديها عقدة الأب عندما كانت طفلة. وأظن أنها لم تكن تهتم كثيراً لأمها التي يبدو أنها كانت امرأة نكدة بكل المقاييس، وأحسب أن الأب كان من النوع المرح، ولم يستطع تحمل نكد الحياة الزوجية... أسمعت بامرأة تدعى لويز؟... بدا أن الاسم يرعبها... أظنها كانت موضوع كره الفتاة الأول؛ فقد

أخذت الأب في وقت كان عمر الفتاة فيه خمس سنوات. والأطفال لا يفهمون كثيراً في مثل تلك السن، ولكنهم سريعون جداً في الإحساس بالسخط من الشخص الذي يشعرون أنه السبب. لم ترَ والدها ثانية إلاّ قبل بضعة أشهر، وأظن أنه كان لديها أحلام عاطفية غير واقعية في أن تكون رفيقة أبيها وقرّة عينه. ويبدو واضحاً أنها قد أُصيبت بخيبة أمل؛ فقد عاد الأب مع زوجة، زوجة جديدة شابة وجميلة. لا أظن أن اسمها لويز، أليس كذلك؟... آه، كان هذا مجرد سؤال. إن ما أقدمه الآن مجرد صورة عامة.

قال الصوت القادم من الطرف الآخر من الهاتف بحدة: ما هذا الذي قلتَه؟ أعِدهُ ثانية.

- قلتُ إنني لا أُقدم الآن إلاّ صورة عامة.

ساد شيء من الصمت ثم قال الدكتور ستيلنغفليت: بالمناسبة، توجد حقيقة صغيرة قد تهمك. لقد قامت الفتاة بمحاولة خرقاء للانتحار. هل يدهشك هذا؟ آه، لا يدهشك! كلا، إنها لم تبتلع زجاجة أسبرين ولم تضع رأسها في فرن غاز، بل اندفعت إلى عرض الشارع أمام سيارة جاغوار كانت تسير بسرعة أكثر مما ينبغي لها... وقد وصلتُ لها في الوقتِ المناسب تماماً. نعم، رأيي أن ذلك كان بدافع حقيقي مفاجئ من وحي اللحظة... لقد اعترفت بذلك واستخدمت العبارة الكلاسيكية المعهودة؛ قالت إنها أرادت الانتهاء من الأمر كله.

أصغى لفيض سريع من الكلمات ثم قال: لا أدري، لا يمكنني

الجزم في هذه المرحلة... الصورة التي أمامنا واضحة. صورة فتاة عصبية مفرطة الحساسية وفي حالة هياج نتيجة تعاطي مخدرات من أنواع مختلفة. كلا، لا أستطيع الجزم بطبيعة الأنواع التي تعاطتها؛ إذ توجد العشرات من الأنواع المتداولة وكلها تترك آثاراً لا يختلف بعضها عن بعض إلاّ قليلاً. يمكن أن تُحدث اضطراباً وفقداناً للذاكرة وعدوانية وذهولاً، أو حتى مجرد تشوش ذهني! الصعوبة تكمن في الجزم بطبيعة ردود الأفعال الحقيقية بمعزل عن ردود الأفعال التي يتركها المخدر. عندنا خياران اثنان: إما أن هذه فتاة تُعذب نفسها وتصور نفسها كفتاة عُصابية حساسة لديها بعض الميول الانتحارية، وهذا ممكن عملياً، أو أن الأمر كله قد لا يكون سوى مجموعة من الأكاذيب. وما كنتُ لأستبعد منها أن تخترع هذه القصة كلها لسبب غامض يخصها... قاصدة بذلك إعطاء انطباع زائف تماماً عن نفسها. وإن كان الأمر كذلك فإنها تقوم به بذكاء شديد. فبين الحين والآخر يبدو في الصورة التي تُعطيها عن نفسها شيء ليس طبيعياً تماماً. هل هي ممثلة صغيرة شديدة الذكاء تؤدي دوراً؟ أم أنها ضحية حقيقية شبه متخلفة عقلياً لديها ميول انتحارية؟ يمكن أن تكون أياً من هذين... ماذا قلت؟ آه، سيارة الجاغوار؟ نعم، لقد كانت تُساق بسرعة كبيرة جداً. لعلها لا تكون محاولة انتحار؟ أي أن الجاغوار كانت تقصد دعسها عن عمد؟

فكر للحظات ثم قال ببطء: لا يمكنني الجزم، قد يكون الأمر كذلك. نعم، قد يكون كذلك، ولكنني لم أفكر في الأمر على هذا النحو. المشكلة هي أن كل شيء ممكن، أليس كذلك؟ على كل حال، سوف أحصل منها على المزيد من المعلومات قريباً. لقد

جعلتها في موقف أصبحت فيه شبه مستعدة للوثوق بي، طالما أنني لا أذهب بعيداً في متطلباتي ولا أستعجل الأمور بحيث أجعلها تشكّ. وسوف تصبح قريباً أكثر ثقة بي وتخبرني بالمزيد، وإذا كانت حالة حقيقية لا كذب فيها فإنها ستصب عليّ قصتها كلها... بل إنها ستجبرني على سماعها في النهاية. أما في الوقت الحاضر فهي خائفة من شيء ما... وإذا ما كانت تضللني فإن علينا طبعاً أن نكشف سبب ذلك. إنها في كينوي كورت وأظن أنها ستبقى هناك. وأنا أقترح عليك إبقاء شخص يراقب المكان ليوم أو بعض يوم لنرى إن كانت ستحاول المغادرة، ومن المفضل أن يتبعها شخص لا تعرفه بالشكل.



الفصل الحادي عشر

كان أندرو ريستاريك يكتب شيكاً... وقد ابتسم ابتسامة خفيفة وهو يقوم بذلك.

كان مكتبه ضخماً ومفروشاً بشكل أنيق بالأسلوب التقليدي المعتاد لأقطاب المال، وقد كان فرشُ المكتب وأثاثه عائداً لسايمون ريستاريك، وقد تقبله أندرو ريستاريك دون اهتمام، ولم يقم بالكثير من التغييرات، باستثناء نزع صورتين استبدل بهما صورته الشخصية المرسومة التي أحضرها من الريف ولوحة مائية تصور جبل تيبل.

كان أندرو ريستاريك رجلاً في أواسط عمره، قد بدأ يترهل، ومع ذلك فقد كان التغير قليلاً إلى درجة غريبة بينه وبين الصورة التي رُسمت له قبل خمسة عشر عاماً وتتدلى الآن فوق مكتبه: نفس الذقن البارز إلى الأمام والشفتين المطبقتين بإحكام والحاجبين المُتسائلين المرتفعين قليلاً. لم يكن بالرجل الذي يلفت الانتباه... كان رجلاً من النوع العادي، وهو في اللحظة الحالية ليس بالرجل السعيد. دخلت سكرتيرته الغرفة... تقدمت باتجاه مكتبه فيما رفع رأسه. قالت: جاء سيد يدعى هيركيول بوارو، وهو يُصر على أن له موعداً معك...

ولكنني لم أستطع العثور على ما يدل على أي موعد.

- سيد يُدعى هيركيول بوارو؟

بدا له الاسم مألوفاً على نحو غامض، ولكنه لم يستطع أن يتذكر في أية مناسبة سمع بهذا الاسم. هزّ رأسه وقال: لا أستطيع تذكر شيء عنه... رغم أنني سمعتُ به فيما يبدو. كيف شكله؟

- رجل ضئيل جداً... أجنبي... أظنه فرنسياً... وهو ذو شارب ضخم جداً...

- آه، بالطبع! تذكرت وصف ماري له. لقد جاء لرؤية العجوز روديريك. ولكن ما قصة هذا الموعد معي؟

- يقول إنك كتبتَ له رسالة.

- لا يمكنني تذكّر ذلك... حتى لو كتبت. ربما ماري... آه، لا بأس... أدخليه. أحسب أن من الأفضل أن أرى ما الأمر.

بعد لحظات عادت كلوديا ريسلاند مصطحبة معها رجلاً ضئيلاً بيضوي الرأس ذا شارب ضخم وحذاء جلدي مدبب الرأس. كانت تبدو عليه علامات الرضا عن الذات مما يتناسب تماماً مع الوصف الذي سمعه السيد ريستاريك عنه من زوجته. قالت كلوديا ريسلاند: "السيد هيركيول بوارو"، ثم خرجت ثانية فيما نهض السيد ريستاريك وتقدم هيركيول بوارو نحو المكتب قائلاً: السيد ريستاريك؟ أنا هيركيول بوارو، في خدمتك.

- آه، نعم. لقد ذكرت زوجتي أنك زرتنا، أو بالأحرى زرت خالي. هل من خدمة أؤديها لك؟

- لقد جئتُ استجابة لرسالتك.

- أي رسالة؟ لم أكتب لك رسالة يا سيد بوارو.

نظر بوارو إليه، ثم أخرج من جيبه رسالة ففتحها ونظر إليها ثم مد يده بها عبر الطاولة مع انحناءة، وقال: انظر بنفسك يا سيدي.

حدق ريستاريك إلى الرسالة. كانت مطبوعة على الورق الرسمي الخاص بمكتبه. وكانت مُذيلة بتوقيع بقلم الحبر في الأسفل:

عزيزي السيد بوارو،

سيسعدني كثيراً إن أنت استطعت زيارتي على العنوان أعلاه في أقرب وقت يناسبك. لقد فهمتُ -مما أخبرتني به زوجتي، ومما تجمع لدي بعد إجراء العديد من الاستفسارات في لندن- بأنك رجل يمكن الوثوق به عندما توافق على قبول مهمة تتطلب الكتمان.

المخلص: أندرو ريستاريك

قال بحدة: متى استلمتَ هذه؟

- صباح اليوم. ولم يكن لديّ ما يشغلني ولذلك جئتُ مباشرة.

- هذا أمر غريب جداً يا سيد بوارو؛ فأنا لم أكتب تلك الرسالة.

- لم تكتبها؟

- كلا. إن توقيعي مختلف تماماً... انظر بنفسك.

مد يده كمن يريد البحث عن نموذج ما لتوقيعه، ودون تفكير واع فتح دفتر الشيكات الذي كان قد وضع فيه توقيعه لتوه بحيث يراه بوارو، وقال: أترى؟ إن التوقيع في الرسالة لا يشبه توقيعي أبداً.

قال بوارو: ولكن هذا غريب جداً... غريب إلى أبعد الحدود. من عساه كتب هذه الرسالة؟

- هذا هو -بالضبط- ما أسأل عنه نفسي.

- ألا يمكن... اعذرني، ولكن ألا يمكن أن تكون زوجتك؟

- لا يمكن؛ فما كانت ماري لتفعل مثل هذا الأمر أبداً. وفي كل الأحوال، لماذا عساها توقعها باسمي؟ آه، كلا، كانت ستخبرني لو فعلت شيئاً كهذا حتى أستعد لزيارتك.

- أليست لديك إذن أية فكرة عن السبب الذي قد يدفع أحدهم لإرسال هذه الرسالة؟

- كلا، أبداً.

- أليست لك معرفة -يا سيد ريستاريك- بطبيعة المسألة التي يُفترض في هذه الرسالة أنك ستكلفني بها؟

- وكيف لي أن أعرف؟

- اعذرني، ولكنك لم تُكمل قراءة الرسالة كلها بعد. ستلاحظ في أسفل الصفحة بعد التوقيع عبارة "اقلب الورقة رجاء" بخط صغير.

قلب ريستاريك الورقة. وعلى أعلى الصفحة استمرت الكتابة لتقول: "إن المسألة التي أريد استشارتك بها تخص ابنتي نورما".

تغير أسلوب ريستاريك، واكفهر وجهه وقال: هذا هو الأمر إذن! ولكن من عساه يعرف... من عساه يتدخل في هذه القضية. من يعرف عنها؟

- أيمكن أن تكون هذه طريقة لحثّك على استشارتي؟ ربما من صديق ذي نوايا طيبة؟ أليست لديك حقاً أية فكرة عمّن يكون كاتب هذه الرسالة؟

- ليست عندي أية فكرة أبداً.

- ألست مشغول البال على ابنة لك... ابنة اسمها نورما؟

قال ريستاريك ببطء: إن لي ابنة اسمها نورما، وهي ابنتي الوحيدة.

تغير صوته قليلاً وهو يقول الكلمات الأخيرة.

- وهل هي في مشكلة، أو في مصاعب من نوع ما؟

- ليس حسبما أعرفه.

ولكنه تردد قليلاً وهو يقول ذلك. انحنى بوارو إلى الأمام وقال: لا أظن أن ذلك صحيح تماماً يا سيد ريستاريك، بل أحس بوجود مشكلةٍ ما تخص ابنتك.

- ولماذا تظن ذلك؟ هل تحدث معك أحدهم في الموضوع؟

- لقد اعتمدت كلياً على نبرة صوتك يا سيدي. إن كثيراً من الناس يواجهون المتاعب بسبب بناتهم في أيامنا هذه. إن للفتيات

موهبة في التورط في مختلف أنواع المشكلات والصعوبات، ومن الممكن أن ينطبق نفس الشيء هنا.

صمت ريستاريك لبضع دقائق وهو ينقر على المكتب بأصابعه ثم قال أخيراً: نعم، إنني قلق على نورما فهي فتاة صعبة المراس؛ عصابية، وتميل إلى أن تكون هستيرية. إنني... مع الأسف لا أعرفها معرفة جيدة جداً.

- لا شك أن المشكلة تتعلق بشاب ما؟

- بطريقة ما، نعم. ولكن ذلك ليس هو ما يقلقني كلياً. أظن...

ثم نظر نظرة تقويم إلى بوارو وقال: هل أستطيع الثقة بكتمانك؟

- لو لم أكن كتوماً لما حققتُ نجاحاً يُذكر في مهنتي.

- حسناً، القضية هي أنني أريد العثور على ابنتي.

- آه؟

- لقد جاءت إلى البيت في عطلة نهاية الأسبوع الماضي كما تفعل دوماً، إلى بيتنا في الريف. ثم عادت مساء الأحد ظاهرياً إلى الشقة التي تسكنها مع فتاتين أخريين، ولكنني وجدتُ الآن أنها لم تذهب إلى هناك. لا بد أنها ذهبت... إلى مكان آخر.

- الحقيقة أنها اختفت، أليس كذلك؟

- تبدو هذه أقرب إلى العبارة الميلودرامية، ولكن الأمر وصل إلى هذا المستوى. أحسب أن لاختفائها تفسيراً طبيعياً تماماً، ولكن...

أحسب أن أي أبٍ سيقلق في مثل هذه الحال؛ فهي لم تتصل ولم تُعطِ أي تفسير للفتاتين اللتين تسكنان معها.

- وهل هما قلقتان أيضاً؟

- لا، ما كنتُ لأقول ذلك. أظن... أظن أنهما تأخذان مثل هذه الأمور بكثير من التساهل وعدم الاهتمام. إن الفتيات شديدات الاستقلالية اليوم، أكثر بكثير مما كُنّ عندما غادرتُ إنكلترا قبل خمسة عشر عاماً.

- ماذا عن الشاب الذي تقول إنه لا يُعجبك؟ أيمكن أن تكون قد ذهبت معه؟

- أرجو مخلصاً أن لا يكون الأمر كذلك. هذا ممكن، ولكن زوجتي لا تظن ذلك. أظن أنك رأيتَه يوم جئتَ إلى بيتنا لتزور خالي.

- آه، نعم، أظن أنني أعرف الشاب الذي تتحدث عنه. شاب وسيم جداً، ولكنه ليس رجلاً يمكن لأبٍ أن يوافق عليه، إذا صح لي قول ذلك. وقد لاحظتُ أن زوجتك لم تكن سعيدة به هي الأخرى.

- إن زوجتي واثقة تماماً من أنه جاء إلى البيت في ذلك اليوم وهو يأمل أن لا يراه أحد.

- لعله يعرف أنه ليس موضع ترحيب هناك، أليس كذلك؟

قال ريستاريك متجهماً: إنه يعرف ذلك حق المعرفة.

- ألا تظن -إذن- أن من المحتمل كثيراً أن تكون ابنتك قد انضمت إليه؟

- لا أدري بماذا أفكر. لم أظن ذلك... في البداية.

- هل ذهبتَ إلى الشرطة؟

- كلا.

- في حالة فقدان أي شخص يكون من الأفضل عادة أن يلجأ المرء إلى الشرطة. فهم أيضاً متكتمون، ولديهم من الوسائل ما لا يملكه شخص مثلي.

- لا أريد الذهاب إلى الشرطة. إنها ابنتي يا رجل، هل تفهمني؟ ابنتي. إن كانت قد اختارت أن... أن تبتعد لفترة قصيرة دون أن تُعلمنا، فالأمر يعود لها في هذه الحالة. ليس لديّ سبب للاعتقاد بأنها في خطر أو ما شابه ذلك. إنني... إنني أريد فقط أن أعرف مكانها من أجل قناعتي الخاصة فقط.

- أمن الممكن يا سيد ريستاريك... أرجو أن لا أفترض أموراً غير مناسبة، ولكن أمن الممكن أن لا يكون هذا هو الشيء الوحيد الذي يقلقك فيما يخص ابنتك؟

- ولماذا تظن أنها توجد أمور أخرى؟

- لأن مجرد غياب فتاة لبضعة أيام دون إبلاغ أهلها أو من تسكن معهن من صديقاتها بمكان ذهابها ليس أمراً مُستهجناً جداً في أيامنا هذه. ولكنني أظن أن هذا الغياب قد سبب لك هذا القلق عندما اقترن بشيء آخر.

- حسناً، ربما كنتَ على حق. إنه...

نظر إلى بوارو بارتياب وقال: من الصعب جداً الحديث في هذه الأمور مع الغرباء.

- ليس تماماً. إن الحديث مع الغرباء في مثل هذه الأمور أسهل -بالتأكيد- من الحديث فيها مع الأصدقاء والمعارف. لا بد أنك تتفق معي في ذلك؟

- ربما، ربما. يمكنني أن أفهم قصدك. حسناً، سأعترف بأنني منزعج وحزين بشأن ابنتي. فالحقيقة أنها... أنها ليست كغيرها من الفتيات، وقد كان فيها شيء أقلقني كثيراً...

- ربما كانت ابنتك تمر في تلك المرحلة الصعبة من الصبا حيث المراهقة العاطفية، وحيث يمكن -بصراحة- أن تقوم الفتيات بأعمال لا يكدن يكنّ مسؤولات عنها. ولا تفهم كلامي خطأً إن أنا جازفتُ بطرح تخمين لدي. ربما كانت ابنتك ساخطة لوجود زوجة لأبيها، أليس كذلك؟

- هذا صحيح مع الأسف، ولكن لا يوجد ما يدعوها لذلك يا سيد بوارو؛ فأنا وزوجتي الأولى لم نفترق مؤخراً... لقد انفصلنا منذ سنوات طويلة.

توقف قليلاً ثم قال: ربما كان من الأفضل أن أتكلم بصراحة معك. لقد انفصلنا أنا وزوجتي الأولى... لا حاجة للّف والدوران. كنتُ قد قابلتُ امرأة أخرى، امرأة فُتنتُ بها تماماً، وقد غادرتُ إنكلترا وذهبتُ إلى جنوب أفريقيا مع المرأة الأخرى. لم تكن زوجتي توافق على الطلاق، ولم أطلبه منها أصلاً. وقمت بتأمين المتطلبات المالية المناسبة لها وللطفلة... كانت في الخامسة فقط في ذلك الحين...

تردد قليلاً ثم أكمل قائلاً: وأنا ألتفتُ الآن إلى تلك الفترة يمكنني أن أرى أنني كنتُ غير مقتنع بالحياة منذ مدة بعيدة. كنتُ مشتاقاً للسفر، وفي تلك المرحلة من حياتي كرهتُ أن أكون مربوطاً إلى طاولة مكتب. وقد أنبني أخي عدة مرات بسبب عدم إبداء مزيد من الاهتمام بشركة العائلة وعملها، وقال إنني لا أقوم بدوري المطلوب. ولكني لم أكن أريد ذلك النوع من الحياة. كنتُ قلقاً وأرغب في حياة المغامرة. أردتُ رؤية العالم والأماكن النائية الغريبة...

توقف فجأة، ثم عاد ليقول: على كل حال... أنت لا تريد مني أن أقص عليك قصة حياتي. ذهبتُ إلى جنوب أفريقيا وذهبت لويز معي، ولم تنجح علاقتنا. سأعترف بذلك دون مواربة. كنتُ أحبها، ولكننا كنا نتشاجر باستمرار. وقد كرهتْ الحياة في جنوب أفريقيا وأرادت العودة إلى لندن، وافترقنا بعد عام واحد فقط من وصولنا إلى هناك.

تنهد ثم أكمل قائلاً: ربما كان عليّ أن أرجع وقتها، أرجع إلى الحياة الرتيبة التي كرهتها كثيراً، ولكني لم أرجع. لا أدري ما إذا كانت زوجتي ستقبل عودتي أم لا. ربما كانت تعتبر أن من واجبي أن أعود. لقد كانت امرأة عظيمة في التمسك بالقيام بالواجب.

لاحظ بوارو المرارة الخفيفة التي كانت تطبع هذه الجملة الأخيرة.

- ولكني أحسب أنه كان علي أن أفكر أكثر بنورما. حسناً، هذا ما جرى. كانت الطفلة بأمان مع أمها، وقد تم القيام بترتيبات مالية، وكنتُ أكتب لها من وقت لآخر وأرسل لها الهدايا، ولكني لم أفكر

أبداً في العودة إلى إنكلترا ورؤيتها. ولم أكن أستحق اللوم كلياً على هذا الأمر؛ إذ كنتُ قد تبنيت طريقة حياة مختلفة، ورأيت أنه سيكون من دواعي عدم استقرار الطفلة أن يكون لها أبٌ دائم الترحال. على كل حال، لنقل إنني ظننتُ أنني أتصرف بما أراه مصلحة لها.

جاءت كلمات ريستاريك سريعة الآن. وكأنه يشعر بارتياح كبير لاستطاعته إفراغ قصته أمام مستمع متعاطف. وقد كان ذلك رد فعلٍ لاحظه بوارو كثيراً من قبل وشجعه. قال: ألم ترغب بالعودة إلى الوطن بدافع شخصي من لدنك؟

هز ريستاريك رأسه بنفي أكيد وقال: لم أفعل؛ فقد كنتُ أعيش الحياة التي أحبها، ذلك النوع من الحياة التي خُلقتُ لها. ذهبت من جنوب أفريقيا إلى شرق أفريقيا. وكنتُ أنجح مالياً بشكل جيد جداً، وبدا أن كل ما ألمسه يصبح مزدهراً ناجحاً، مشاريع اشتركتُ بها، مع آخرين أحياناً، وأحياناً بمفردي، وكلها كانت تنجح تماماً. كنتُ أذهب إلى السهول وأقوم برحلات بالعربات التي تجرها الثيران. كانت تلك هي الحياة التي طالما أردتها. إنني -بطبيعتي- رجل يحب الهواء الطلق ويكره الانغلاق في المكاتب. وربما كان هذا هو السبب في أنني شعرتُ وكأنني محاصر في فخ ومربوط عندما تزوجتُ زوجتي الأولى. نعم، لقد استمتعتُ بحريتي ولم تكن لي رغبة في العودة إلى أسلوب الحياة التقليدي الذي عشته هنا.

- ولكنك عدتَ في النهاية؟

تنهد ريستاريك وقال: نعم، لقد عدت. أحسب أن المرء يكبر. كما أنني حققتُ مع رجل آخر ضربة تجارية كبيرة جداً. كنا قد أمّنا

امتيازاً معيناً يمكن أن تكون له نتائج كبيرة، وكان ذلك بحاجة إلى بعض المفاوضات في لندن. وكان بوسعي الاعتماد هنا على أخي ليتصرف، ولكن أخي توفي. وكنتُ ما أزال شريكاً في الشركة هنا. وكان بوسعي لو شئت أن أعود وأشرف على الأمور بنفسي، وكانت تلك هي المرة الأولى التي فكرتُ فيها بالقيام بذلك. أعني بالعودة إلى حياة لندن.

- ربما كانت زوجتك... الثانية...

- نعم، ربما كنتَ مصيباً في ذلك. كنتُ قد تزوجتُ ماري قبل شهر أو شهرين من وفاة أخي. وقد وُلدت ماري في جنوب أفريقيا، ولكنها زارت إنكلترا عدة مرات وأحبت الحياة هنا. أحبت -بشكل خاص- فكرة أن تكون لنا حديقة إنكليزية! ولعلك تسأل عن موقفي. حسناً، لقد شعرتُ لأول مرة بأنني ربما أحببتُ الحياة في إنكلترا أيضاً، كما فكرتُ بنورما أيضاً. كانت أمها قد توفيت قبل ذلك بسنتين، وقد حدثتُ ماري بالأمر وكانت مستعدة تماماً لمساعدتي في تأمين حياة منزلية لابنتي. بدت كل الأمور مُبشرة بخير وهكذا... وهكذا عدتُ إلى الوطن.

قال جملته الأخيرة وهو يبتسم.

نظر بوارو إلى اللوحة التي تتدلى خلف السيد ريستاريك. لقد كانت تتمتع بإضاءة أفضل هنا من تلك الإضاءة التي توفرت لها في الريف، وقد أظهر ذلك -بكل وضوح- الرجل الذي جلس خلف المكتب. كانت هناك القسمات المُميِّزة، عناد الذقن، والحاجبان المتسائلان، وطريقة انتصاب الرأس، ولكن كان في الصورة شيء واحد افتقده الرجل الجالس تحتها: الشباب!

خطرت لبوارو فكرة أخرى. لماذا قام أندرو ريستاريك بنقل الصورة من الريف إلى مكتبه في لندن؟ لقد كانت صورته وصورة زوجته لوحتين توأمين رُسمتا في نفس الوقت ومن قبل ذلك الرسام المحدد الشهير في زمانه، والذي كان اختصاصه رسم اللوحات الشخصية. ورأى بوارو أنه كان أكثر طبيعية أن تبقى اللوحتان معاً كما كان القصد أصلاً منهما. ولكن ريستاريك نقل واحدة منهما -هي صورته- إلى مكتبه. أكان ذلك نوعاً من الخيلاء من جانبه... رغبة في إظهار نفسه كرجل من رجال لندن، كشخص مهم في لندن؟ ومع ذلك فقد كان رجلاً قضى وقته في أماكن نائية، رجلاً زعم أنه يفضل الأماكن النائية. أم تراه فعل ذلك لكي يبقي نفسَه أمام عقله بشخصيته المدينية؟ هل شعر بالحاجة إلى دعم وتعزيز؟

وعاد بوارو ليقول لنفسه: "ربما كانت تلك -طبعاً- مجرد خيلاء بسيطة!". ثم قال لنفسه بنوبة تواضع غير معهودة: "حتى أنا نفسي تنتابني الخيلاء أحياناً".

انكسر الصمت القصير الذي بدا أن كلا الرجلين لم ينتبها له، فقد قال ريستاريك معتذراً: يجب أن تعذرني يا سيد بوارو. يبدو أنني كنتُ أثير سأمك بقصة حياتي.

- لا يوجد ما تعتذر منه يا سيد ريستاريك؛ فأنت لم تكن تتحدث حقاً عن حياتك إلاّ بقدر ما يمكن أن تكون قد أثّرت على حياة ابنتك. إنك شديد القلق على ابنتك، ولكنني لا أظن أنك قد أخبرتني بعد عن السبب الحقيقي. ألم تقل إنك تريد العثور عليها؟

- بلى، أريد العثور عليها.

- تريد العثور عليها، نعم، ولكن هل تريد أن أعثر أنا عليها؟

آه، لا تتردد. إن التهذيب ضروري جداً في الحياة، ولكنه ليس ضرورياً هنا. استمع لما أقوله لك، إن كنتَ تريد العثور على ابنتك فإنني أنصحك -أنا هيركيول بوارو- أن تذهب إلى الشرطة، لأن لديهم وسائلهم. ومن معرفتي الخاصة بهم أؤكد لك أنهم كتومون.

- لن أذهب إلى الشرطة ما لم... ما لم أيأس تماماً.

- أتفضل اللجوء إلى عميل خاص؟

- نعم. ولكني لا أعرف شيئاً عن العملاء الخاصين. لا أعرف من... من يمكن الوثوق به. لا أعرف من...

- وما الذي تعرفه عني؟

- أعرف بعض الأشياء عنك. أعرف -مثلاً- أنك كنتَ في موقع مسؤول في المخابرات أثناء الحرب، طالما أن خالي قد زكّاك في الحقيقة. تلك حقيقة ثابتة.

لم يلاحظ ريستاريك التعبير الذي لا يخلو من سخرية خفيفة على وجه بوارو؛ إذ كان بوارو يعي جيداً أن الحقيقة الثابتة لم تكن إلاّ وهماً مطلقاً... ومع أن ريستاريك كان يعلم -دون شك- إلى أي حدٍ يصعب الاعتماد على السيرِ روديريك في مسألتي الذاكرة والنظر... إلاّ أنه ابتلع بشكل كامل طُعمَ وصفِ بوارو لنفسه، ولم يُخرجه بوارو من أوهامه. بل إن هذه الحقيقة أكدت له من جديد اعتقاده القديم بأن على المرء أن لا يصدق ما يقوله أي شخص قبل أن يتحقق منه. لقد كان مبدأ «الشك بالجميع» هو أحد أفضل شعاراته

لسنوات طويلة، إن لم يكن خلال حياته كلها. قال له: دعني أؤكد لك أنني كنتُ -طوال حياتي العملية- ناجحاً إلى أبعد الحدود. بل إنني كنتُ متفرداً في الكثير من المقاييس.

- بدا ريستاريك أقل اطمئناناً بهذا التأكيد مما ينبغي له! والحقيقة أن رجلاً يمتدح نفسه بمثل هذه المفردات كان يثير لدى الرجل الإنكليزي -عموماً- شيئاً من الارتياب.

قال ريستاريك: ما هو شعورك شخصياً يا سيد بوارو؟ هل لديك الثقة بأنك تستطيع العثور على ابنتي؟

- ربما لم أستطع العثور عليها بنفس السرعَة التي تعثر بها الشرطة عليها، ولكن نعم. سوف أعثر عليها.

- و... وإن عثرتَ عليها...

- ولكن إن كنتَ تريدني أن أعثر عليها -يا سيد ريستاريك- فإن عليك أن تخبرني بكل الملابسات.

- ولكنني أخبرتك بها. الوقت والمكان، وأين يجب أن تكون. يمكنني أن أعطيك قائمة بصديقاتها...

كان بوارو يهز رأسه بقوة نافياً، ثم قال: كلا، كلا، بل أقترح عليك أن تخبرني بالحقيقة.

- هل تعني بأنني لم أقل لك الحقيقة؟

- لم تخبرني بها كلها، هذا ما أنا واثق منه. ما الذي تخافه أنت؟ ما هي الحقائق المجهولة؟ الحقائق التي ينبغي أن أعرفها إن

كان يراد لي النجاح. إن ابنتك تكره زوجة أبيها. هذا واضح وليس فيه شيء غريب، بل هو رد فعل طبيعي. عليك أن تتذكر أنها ربما كانت تعمل منك مثلاً أعلى لسنوات وسنوات. وهذا ممكن تماماً في حالات فسخ الزواج حيث يتعرض الطفل لصدمة قوية في عواطف الحب التي يُكنها. نعم، ربما قلتَ إن الطفل ينسى، وهذا صحيح. ربما كانت ابنتك قد نسيتك بمعنى أنها عندما رأتك ثانية ربما لم تتذكر وجهك أو صوتك. كان من شأنها أن ترسم صورتها الخاصة عنك. لقد سافرتَ، وأرادت هي أن تعودَ إليها. ولا شك أن أمها قد منعتها من الحديث عنك، ولذلك فربما أخذت تفكر فيك أكثر من ذي قبل. أصبحتَ أكثر أهمية بالنسبة لها. ولأنها لا تستطيع الحديث عنك حتى مع أمها فقد حصل معها رد الفعل الطبيعي جداً لدى الأطفال... وهو لوم الطرف الباقي من الأبوين على غياب الطرف الذي ذهب. لقد أخذت تقول لنفسها شيئاً من قبيل: "إن أبي يحبني كثيراً، ولكن أمي هي التي لا يحبها"، ومن ذلك يولد لديها شيء أقرب إلى إعطائك صفات مثالية، نوع من الارتباط السري بينها وبينك. وتقول لنفسها إن ما حدث لم يكن غلطة أبي، وإنها لن تصدق ذلك!

آه، نعم، أؤكد لك أن هذا ما يحدث كثيراً، فأنا أعرف شيئاً من علم النفس، ولذلك فعندما علمتَ أنك عائد إلى الوطن وأن شملكما سيجتمع عادت إليها الكثير من الذكريات التي كانت قد نحّتها جانباً ولم تفكر فيها لسنوات. إن أباها عائد! وستكون هي وهو سعيدين معاً! وربما لم تكد تدرك وجود زوجة الأب إلاّ عندما رأتها. وعندها أصبحت غيورة بشكل رهيب. أؤكد لك أن ذلك طبيعي جداً. لقد أصبحت غيورة جداً، جزئياً لأن زوجتك امرأة

جميلة ومهذبة ومتوازنة، وهو الأمر الذي يثير دوماً سخط الفتيات لأنهن غالباً ما يفتقرن إلى الثقة بأنفسهن. وربما كانت هي نفسها غير متطورة اجتماعياً وتعاني من عقدة نقص. ولذلك عندما رأت زوجة أبيها القديرة الجميلة كان من الطبيعي جداً أن تكرهها، ولكنها كرهتها كما يمكن لفتاة مراهقة ما زالت نصف طفلة أن تكره.

تردد ريستاريك وقال: حسناً... هذا تقريباً ما قاله الطبيب عندما استشرناه... أعني...

- آها، فقد استشرتم طبيباً إذن؟ لا بد أنه كان لديكم سبب لاستدعاء طبيب، أليس كذلك؟

- لم يوجد شيء حقاً.

- آه، كلا، لا تستطيع قول ذلك لهيركيول بوارو. لم يكن الأمر مجرد «لا شيء حقاً». بل كان شيئاً خطيراً، ومن الأفضل أن تخبرني، إنني -إذا ما عرفتُ ما الذي كان في ذهن تلك الفتاة تماماً- فسأحقق تقدماً أفضل، وستمضي الأمور بسرعة أكبر.

ظل ريستاريك صامتاً لبضع دقائق، ثم عزم أمره وقال: أهذا كلام سري تماماً يا سيد بوارو؟ هل أستطيع الاعتماد عليك؟

- بكل تأكيد. ماذا كانت المشكلة؟

- لا يمكنني أن... أن أكون واثقاً.

- لقد قامت ابنتك بعمل ما ضد زوجتك، أليس كذلك؟ قامت بشيء أبعد من مجرد كلام طفولي وقح أو كريه. كان ذلك شيئاً أسوأ من هذا بكثير... أكثر خطورة. أتكون قد هاجمتها جسدياً؟

- كلا، لم يكن الأمر هجوماً... ليس هجوماً جسدياً بل... لم يتم إثبات شيء.

- نعم، نعم. هذا ما نعترف به.

- لقد أصبحت زوجتي عليلة...

ثم تردد، فقال بوارو: آه، نعم، فهمت... وماذا كانت طبيعة مرضها؟ ربما كان يتعلق بالهضم؟ شكل من أشكال التهاب الأمعاء؟

- أنت لمّاحٌ يا سيد بوارو... لمّاحٌ جداً. نعم، كان مرضاً هضمياً. وقد كانت علة زوجتي هذه محيرة لأن صحتها كانت دوماً ممتازة. وأخيراً أحالها الأطباء إلى المستشفى «للمراقبة» كما يسمونها. عملية فحوصات.

- والنتيجة؟

- لا أحسب أنهم قد اقتنعوا كلياً... وبدا أنها تستعيد صحتها تماماً فأعيدت إلى المنزل بعد ذلك. ولكن المشكلة عادت للظهور. استعرضنا بعناية الوجبات التي تتناولها، وعملية الطبخ. بدا أنها تعاني من أحد أشكال التسمم المعوي الذي لم يبدُ وجود سبب له. وعندها قمنا بخطوة إضافية، إذ تم تحليل الأطباق التي تناولتها. وبأخذ عيّنة من كل شيء ثبت -بما لا يدع مجالاً للشك- بأن مادة معينة قد تم دسُّها في أطباق مختلفة. وفي كل حالة كانت المادة في الطبق الذي لم يتناول منه أحد سوى زوجتي.

- وبعبارة واضحة فإن أحدهم كان يدس لها الزرنيخ. هل هذا صحيح؟

- صحيح تماماً. في جرعات صغيرة يكون لها في النهاية أثر تراكمي.

- وهل ارتبتَ في ابنتك؟

- لا.

- بل أظنك ارتبتَ بها. فمَن غيرها يمكن أن يفعل ذلك؟ لقد شككتَ بابنتك.

أطلق ريستاريك زفرة عميقة وقال: بصراحة، نعم.

* * *

عندما وصل بوارو إلى البيت كان جورج بانتظاره. قال: لقد اتصلت امرأة تُدعى إديث يا سيدي...

قال بوارو وقد قطّب جبينه: إديث؟

- لقد فهمتُ أنها تعمل في خدمة السيدة أوليفر، وقد طلبت مني أن أبلغك بأن السيدة أوليفر في مستشفى سينت غايلز.

- ماذا حدث لها؟

- لقد فهمتُ أنها... أنها ضُربت على رأسها بهراوة.

ولم يُضف جورج الجزء الثاني من الرسالة الذي يقول: "... وأبلغه أن ذلك كله كان بسببه".

طقطق بوارو بلسانه أسفاً وقال: لقد حذرتُها... لقد قلقتُ ليلة أمس عندما اتصلتُ بها ولم يُجبني أحد. يا للنساء!

* * *

الفصل الثاني عشر

قالت السيدة أوليفر فجأة ودون توقع: لنشترِ طاووساً.

لم تفتح عينيها وهي تُدلي بهذه الملاحظة، وكان صوتها ضعيفاً رغم امتلائه بالسخط.

انصبت عليها أعينُ ثلاثة أشخاص، فأطلقت عبارة أخرى: "ضربة على الرأس". ثم فتحت عينين زائغتين تماماً وسعت إلى إدراك مكان وجودها.

كان أول ما رأته وجهاً غريباً تماماً عنها. شاباً يكتب في دفتر ملاحظات، ويمسك بالقلم مُستعداً في يده.

قالت السيدة أوليفر بحزم: من الشرطة؟

- عفواً، ماذا قلتِ يا سيدتي؟

- قلتُ إنك من الشرطة، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدتي.

- اعتداء إجرامي...

ثم أغمضت عينيها بشيء من الرضا، وعندما فتحتهما ثانية أدركت ما يحيط بها بشكل أكثر شمولية. كانت في السرير، ورأت أنه أحد تلك الأسرّة العالية التي يمكن للمرء أن يرفعه ويخفضه ويديره كفما شاء. لم تكن في بيتها. نظرت حولها وخمّنت مكان وجودها قائلة: مستشفى؟

كانت هناك ممرضة تقف لدى الباب وأخرى تقف قرب السرير. ولكن السيدة أوليفر ميّزت وجود شخص رابع فقالت: لا يُمكن لأحد أن يخطئ تمييز هذا الشارب. ماذا تفعل هنا يا بوارو؟

تقدم هيركيول بوارو نحو السرير وقال: لقد قلتُ لك أن تحذري يا سيدتي.

قالت السيدة أوليفر بشيء من الغموض: يمكن لأي امرئ أن يضل طريقه... إن رأسي يؤلمني.

– وإن له لسبباً وجيها لذلك؛ فقد ضُربتِ على رأسكِ كما خمّنتِ.

– نعم، من قبل الطاووس.

تململ الشرطي بشيء من القلق ثم قال: عفواً يا سيدتي. أتقولين إن طاووساً قد هاجمك؟

– نعم، بالطبع. لقد كان يراودني شعور غير مريح لبعض الوقت... نتيجة الجو العام.

حاولت التأشير بيدها لتصف ما تعنيه بالجو العام، ولكن يدها آلمتها فتقبضت وقالت: آخ... من الأفضل أن لا أحاول ذلك ثانية.

قالت الممرضة باستياء: لا ينبغي أن تتم إثارة مريضتي أكثر من اللازم.

- أيمكنك أن تخبريني أين وقع ذلك الاعتداء؟

- ليست لي أدنى فكرة عن ذلك. كنتُ قد ضللتُ طريقي. كنتُ قادمة من مرسم من نوع ما، مرسم مهمل جداً، وقذر. ولم يكن الشاب الآخر قد حلق ذقنه منذ أيام، مع سترة جلدية تعلوها الدهون.

- أهذا هو الشاب الذي اعتدى عليك؟

- كلا، إنه شاب آخر.

- لو كان بوسعك فقط أن تخبريني...

- إنني أخبرك، أليس كذلك؟ كنتُ قد لاحقته طوال الطريق من المقهى... غير أنني لست بارعة تماماً في ملاحقة الناس؛ فليست لديّ خبرة. أحسب أنكم تتلقون دورات... أعني في ملاحقة الناس، أليس كذلك؟ آه، هذا لا يهم.

ثم أضافت وهي تتحدث بسرعة مفاجئة: إن الأمر بسيط تماماً. كنتُ قد بدأتُ في منطقة أظن أن اسمها ورلدز إند، ومن الطبيعي أنني ظننتُ أنه قد بقي مع الآخرين... أو ذهب في الاتجاه المعاكس. ولكنه بدلاً من ذلك ظهر خلفي.

- من كان هذا؟

- الطاووس. وقد أفزعني. فلا بد أن يفزع المرء عندما يجد أن الأمور على عكس ما كان يراه. أعني أن يكون هو الذي يلاحقني بدل

أن ألاحقه... إلاّ أن ذلك كان في وقت سابق... وقد انتابني شعور بعدم الارتياح. بل إنني كنت خائفة في الحقيقة. لا أدري لماذا. لقد تحدثَ بكل أدب، ولكنني كنتُ خائفة. على كلٍ، وجدتُ نفسي في ذلك الموقف، وقال لي: "تعالي لتشاهدي المرسم"، وهكذا صعدتُ درجاً بالياً خطيراً أقرب إلى السُلّم، وهناك كان ذلك الشاب الآخر... الشاب القذر، وكان يرسم لوحة. وهناك أيضاً كانت الفتاة. وكانت نظيفة تماماً، وجميلة حقاً. وهكذا كنا هناك، وكان الثلاثة لطفاء تماماً ومؤدبين، ثم قلتُ إن عليّ أن أعود إلى البيت، وقد أرشدوني إلى الطريق الذي أعود منه إلى شارع كنغز. ولكن لا يمكن أن يكونوا قد أرشدوني حقاً إلى الطريق الصحيح. ربما أكون أنا قد أخطأت طبعاً؛ فعندما يدلُّك الناس بقولهم: انعطف في ثاني فرع إلى اليمين ثم الثالث إلى الشمال، فإنك تفعل ذلك أحياناً بشكل خاطئ أو بالعكس. هذا على الأقل ما فعلتُه أنا. وعلى أية حال فقد وصلتُ إلى منطقة غريبة قذرة بعض الشيء قريبة جداً من النهر. وكان شعوري بالخوف قد تلاشى وقتها. ولا بد أنني كنت غافلة تماماً عندما ضربني الطاووس.

قالت الممرضة بصوت توضيحي: إنها تهذي.

أجابت السيدة أوليفر قائلة: كلا، لا أهذي. إنني أعي تماماً ما أقوله.

فتحت الممرضة فمها تريد الكلام، ثم لمحت نظرة مؤنبة من زميلتها فعادت وأغلقته. قالت السيدة أوليفر: مخمل وساتان وشعر طويل التفّت خصلاته.

- طاووس بالساتان؟ طاووس حقيقي يا سيدتي؟ أظننتِ أنك رأيتِ طاووساً قرب النهر في تشيلسي؟

أجابت السيدة أوليفر: طاووس حقيقي؟ كلا بالطبع. ما أسخف هذه الفرضية! ما الذي يفعله طاووس حقيقي على ضفاف تشيلسي؟

لم يبدُ أن أحداً يمتلك إجابة عن هذا السؤال. عادت السيدة أوليفر لتقول: إنه يتبختر، ولذلك لقّبته بالطاووس. فهو يتبجح، وأظن ذلك خيلاء منه. إنه فخور بشكله ووسامته، وربما بأشياء أخرى عديدة.

ثم نظرت إلى بوارو وقالت: أنت تعرف من أقصده، اسمه ديفيد.

- أتقولين إن هذا الشاب المدعو ديفيد قد هاجمك وضربك على رأسك؟

- نعم.

تكلم هيركيول بوارو قائلاً: هل رأيتِه؟

- لم أره، ولا أعرف شيئاً عن الموضوع. ظننتُ فقط أنني قد سمعتُ صوتاً ورائي، وقبل أن يتاح لي وقت لألتفت... حدث كل شيء! كما لو أن طُناً من الطابوق قد انهال على رأسي. أظن أن عليّ أن أنام الآن.

ثم حركت رأسها قليلاً، وكشرت ألماً، ودخلت فيما بدا أنه غياب مُقنع تماماً عن الوعي.

* * *

الفصل الثالث عشر

نادراً ما كان بوارو يستخدم مفتاح شقته، فقد كان يتّبع -بدلاً من ذلك- الأسلوب القديم؛ إذ يضغط على جرس الباب وينتظر حتى يفتحه له ذلك المُستخدم الرائع متعدد المهمات جورج. ولكن في هذه المرة، وبعد زيارته للمستشفى، كانت الآنسة ليمون هي التي فتحت له الباب. قالت وقد خفضت صوتها بضع درجات ليصبح أقرب إلى الهمس: لديك زائران. الأول هو السيد غوبي والآخر رجل عجوز يُدعى السير روديريك هورسفيلد. لا أدري أيهما تريد أن تبدأ برؤيته.

فكر بوارو ثم قال: السير روديريك هورسفيلد.

فكر بذلك وهو يميل برأسه كأنه طائر الحناء وهو يقرر كيف يمكن لهذا التطور الأخير أن يؤثر على الصورة الإجمالية للموقف. ولكن السيد غوبي ظهر بأسلوبه المفاجئ المعتاد من الغرفة الصغيرة المُخصصة لأعمال الآنسة ليمون الطباعية، حيث كانت قد احتجزته فيما يبدو.

نزع بوارو معطفه، وعلّقته له الآنسة ليمون على علاّقة الصالة، وعمد السيد غوبي -كما هي طريقته- إلى مخاطبة الآنسة ليمون وهو

ينظر خلفها قائلاً: سأتناول كوباً من الشاي في المطبخ مع جورج. إن وقتي ملكي أنا، وسأنتظر.

ثم اختفى بلباقة ذاهباً إلى المطبخ. ذهب بوارو إلى غرفة جلوسه حيث كان السير روديريك يذرع الغرفة جيئة وذهاباً وهو ممتلئ حيوية. وحين رأى بوارو قال بمحبة: لقد عثرتُ عليك يا فتاي... إن الهاتف اختراع رائع.

- لقد تذكرتَ اسمي إذن؟ إنني سعيد بذلك.

قال السير روديريك: "الحقيقة أنني لم أتذكر اسمك تماماً؛ إذ لم يكن تذكّر الأسماء من نقاط قوتي أبداً"، ثم أكمل بفخر: ولكنني لا أنسى أبداً وجهاً رأيته. وقد اتصلتُ بشرطة سكوتلانديارد.

بدا بوارو وكأنه فوجئ قليلاً، رغم أنه فكر بأن ذلك كان هو التصرف المتوقع من السير روديريك في مثل هذه الحالات. أكمل السير روديريك يقول: وقد سألوني مع من أريد أن أتكلم، فقلتُ لهم: صِلوني بالرئيس. هذا ما يجب أن يفعله المرء في حياته يا فتاي. يجب أن لا يقبل بالمستويات الأدنى، فلا فائدة منها. اذهب دوماً إلى الرئيس المسؤول، هذا هو شعاري. ولقد قلتُ لهم مَن أكون بالطبع، وأخبرتهم أنني أريد التحدث مع الرئيس، ووصلتُ إليه في النهاية. وكان رجلاً بالغ التهذيب. قلتُ له إنني أريد عنوان زميل كان في ملاك المخابرات المتحدة، وخدم معي في مكان ما من فرنسا في أحد الأوقات. وقد بدا الرجل حائراً، ولذلك قلتُ له: "إنك تعرف من أعنيه، إنه فرنسي، أو بلجيكي"، أنت بلجيكي، أليس كذلك؟ قلتُ له: "إن له اسماً أشبه باسم أخيل أو هرقل، وهو رجل ضئيل

الجسم، وذو شارب ضخم". وعندها بدا أنه قد أخذ يفهمني، وقال إني سأجد عنوانك في دليل الهاتف. ولكني قلتُ له إن دليل الهاتف يعتمد في تسلسله على اسم العائلة الذي لا أعرفه، وعندها أعطاني اسمك. كان رجلاً شديد التهذيب... لا بد من الاعتراف بذلك.

- أنا سعيد برؤيتك.

قال بوارو ذلك وهو يفكر بسرعة فيما يُمكن أن يقوله له لاحقاً ذلك الشخص الذي ردّ على مكالمة السير روديريك. ولعل من حسن الحظ أنّ من المستبعد أن يكون ذلك الشخص هو رئيس جهاز سكوتلانديارد فعلاً. ولعله كان شخصاً يعرفه بوارو من قبل، أسندَ إليه الجهازُ مهمةَ إبداء التهذيب لكل من يطلبه من الشخصيات التي كانت يوماً ما شخصيات بارزة.

قال السير روديريك: لقد وصلتُ إلى هنا على أية حال.

- أنا مسرور بقدومك. دعني أقدم لك شيئاً تشربه. هل تفضل الشاي أم القهوة أم عصير الرمان، أم تفضل شراب التوت الأسود؟

قال السير روديريك وقد هاله ذكر شراب التوت الأسود: يا إلهي! كلا. سآخذ كوباً من القهوة. رغم أنني ممنوع عنها، ولكن الأطباء كلهم حمقى كما تعلم. كل ما يعنيهم هو أن يمنعوك من تناول كل ما تحبه.

رنّ بوارو الجرس طلباً لجورج وأعطاه تعليماته، وبعد قليل جاء جورج بالقهوة ووضعها قرب السير روديريك وانسحب. قال بوارو: والآن. كيف يمكنني أن أخدمك؟

- لك عندي عمل يا فتاي.

بدا السير روديريك -بعد مرور هذا الوقت- أكثر اقتناعاً بوجود علاقة وثيقة كانت له مع بوارو في الماضي، الأمر الذي رآه بوارو جيداً، إذ أن من شأنه أن يؤدي إلى زيادة اعتماد ابن أخت السير روديريك على إمكانات بوارو.

قال السير روديريك وهو يخفض صوته: أوراق. لقد فقدتُ بعض الأوراق، وعليّ أن أعثر عليها، أتفهمني؟ وبسبب نظري الذي لم يعد كما كان، وذاكرتي التي تخونني قليلاً في بعض الأحيان، رأيت أن من الأفضل أن أذهب إلى شخص مختص. أتفهمني؟ وقد جئتَ أنت في الوقت المناسب تماماً في ذلك اليوم، في الوقت الذي يمكنك فيه أن تفيدني بالضبط، لأنني مضطر للبوح بالأمر.

- يبدو ذلك مثيراً جداً. ما هي تلك الأوراق، إن كان لي أن أسأل؟

- أحسب أن عليك أن تسأل إذا ما كنتَ ستسعى للعثور عليها، أليس كذلك؟ ولكن تذكّر أنها أوراق بالغة السرية. سرية للغاية... أو أنها كانت كذلك ذات يوم. ويبدو أنها ستصبح سرية للغاية من جديد. كانت مجموعة رسائل متبادلة. ولم تكن ذات أهمية خاصة في وقتها... أو لم يُنظر إليها على أنها مهمة، ولكن السياسات اختلفت طبعاً فيما بعد. أنت تعرف كيف تجري هذه الأمور. تدور السياسات حتى تصبح في الطرف الآخر المقابل. وأنت تعرف كيف كانت الحال عندما اندلعت الحرب. ما كان أحدٌ منا يعرف رأسه من قدميه. نكون في إحدى الحروب حلفاء مع الإيطاليين، وفي الحرب التالية نصبح أعداء. ولا أدري أيها كان أسوأ من غيره. في الحرب الأولى كان اليابانيون حلفاءنا الأعزاء، وفي الحرب الثانية كانوا هناك يُفجرون

بيرل هاربر! لا يعرف المرء أبداً أين يقف! وقد بدأ الأمر مع الروس بطريقة ما، وانتهى بطريقة مناقضة تماماً. خذها مني يا بوارو، ما من شيء أصعب في هذه الأيام من مسألة الحلفاء؛ إذ يمكن أن يتغيروا بين عشية وضحاها.

قال بوارو وهو يذكّر العجوز بموضوع زيارته: وقد فقدتَ بعض الأوراق.

- نعم. إن لديّ الكثير من الأوراق كما تعلم، وقد أخرجتها مؤخراً. كنتُ قد خبأتها في مكان آمن. في المصرف في الحقيقة، ولكنني أخرجتها جميعاً وبدأتُ أرتبها وأصنفها لأنني سألتُ نفسي: لماذا لا أكتب مذكراتي؟ كل الرجال يفعلون ذلك في هذه الأيام. فلدينا مونتغمري وأمثاله ممّن يرفعون عقيرتهم ويتحدثون عن كل شيء كتابةً، وجُلّ ما يقولونه لا يعدو أن يكون آراءهم بالضباط الآخرين. بل حتى العجوز موران، وهو الطبيب المحترم، يرغي ويفضح أسرار مرضاه البارزين. لا أدري أين سيصبح بنا الحال بعد هذا! على كلٍ، هذا ما يجري، وقد رأيتُ أنني سأكون شخصياً مهتماً كثيراً بذكر بعض الحقائق عن بعض من أعرفهم من الناس! لماذا لا أجرب حظي أسوة بالآخرين جميعاً، فقد كنتُ في وسط المعمعة؟

- أنا واثق أن ذلك سيلقى اهتماماً كبيراً من الناس.

- آها، نعم! لقد كان المرء يعرف الكثير ممن تتناقل أسماءهم الأخبار. والناس جميعاً ينظرون إليهم بكثير من التبجيل، دون أن يعرفوا أنهم كانوا مغفلين تماماً، أما أنا فأعرف. ووالله إنك ستُدهَش

لو عرفت الأخطاء الفظيعة التي ارتكبها بعضُ هؤلاء الكبار. ولذلك أخرجتُ وثائقي وجعلتُ الفتاة الصغيرة تساعدني في تصنيفها. إنها فتاة لطيفة وذكية جداً. لا تتقن الإنكليزية تماماً، ولكنها -فيما عدا ذلك- شديدة الذكاء كثيرة العون. لقد جمعتُ الكثير من المواد والوثائق، ولكنها كانت في حالة فوضى إلى حدٍ ما. المهم في الأمر كله هو أن الأوراق التي أردتُها لم تكن موجودة!

- لم تكن موجودة؟

- نعم. وقد ظننا أننا قد أضعناها في غمرة الفوضى بداية، ولكننا بحثنا في الوثائق ثانية، ويمكنني أن أؤكد لك -يا سيد بوارو- أن كثيراً من الوثائق قد سُرقت فيما يبدو لي. بعضها لم يكن مهماً، والحقيقة أن المادة التي كنتُ أبحث عنها لم تكن مهمة بشكل خاص... أعني أن أحداً لم يرَ أنها مهمة، وإلاّ فما كنتُ أحسب أن يُسمح لي بالاحتفاظ بها. ولكن تلك الرسائل تحديداً لم تكن موجودة على أية حال.

- إني لأرجو أن أكون متكتماً، ولكن هل لك أن تخبرني شيئاً عن طبيعة تلك الرسائل التي تشير إليها؟

- لا أدري إن كنتُ أستطيع ذلك يا صاحبي. أقصى ما أستطيع قوله هو أنها تتناول شخصاً يثرثر في هذه الأيام ويتبجح بما فعله أو قاله في الماضي. ولكنه لا يقول الحقيقة، وهذه الرسائل توضح تماماً كم هو كاذب أشِر! ولكن تذكّر أنني لا أظن أنها ستنشر الآن. سنكتفي بإرسال نُسخ لطيفة منها إليه، ونقول له إن هذا هو بالضبط ما قاله في ذلك الحين، وإننا نحتفظ بذلك مكتوباً لدينا. ولن أستغرب

إذا... إذا ما اختلفت الأمور قليلاً بعد ذلك. أتفهمني؟ ولكني لا أكاد أحتاج لطرح هذا السؤال، أليس كذلك؟ فأنت تعرف تماماً كل هذه الأنواع من الثرثرة.

- إنك مُحق تماماً يا سير روديريك. فأنا أعرف تماماً طبيعة ما تعنيه، ولكنك تدرك أيضاً أن ليس من السهل أن أساعدك في استعادة شيء لا أعرف ما هو، وأين يُحتمل أن يكون الآن.

- لنبدأ بالأمور الأساسية: أريد أولاً أن أعرف من الذي سرق الوثائق، لأن هذه هي النقطة الرئيسية كما ترى؛ فقد يكون في المجموعة الصغيرة التي أحتفظ بها المزيد من المواد فائقة السرية، وأريد أن أعرف من الذي يعبث بها.

- هل لديك أنت أية فكرة؟

- أنت ترى أنني يجب أن أملك مثل هذه الفكرة، أليس كذلك؟

- الحقيقة أن الاحتمال الرئيس يبدو...

- أعرف. تريد مني أن أقول إنها الفتاة الصغيرة، وأنا لا أظن أنها هي. لقد قالت إنها لم تأخذها، وأنا أصدِّقها. هل تفهمني؟

قال بوارو وهو يتنهد: نعم، أفهمك.

- ذلك أنها صغيرة جداً، وليس من شأنها أن تعرف أن هذه الأمور مهمة. فقد حصلت قبل زمانها.

- ربما كان شخص آخر قد نبّهها لذلك.

- نعم، نعم. هذا صحيح تماماً. ولكن من شأن ذلك أن يكون

واضحاً جداً أيضاً.

تنهد بوارو؛ إذ شكّ في أن تكون أية فائدة من النقاش على ضوء التحيز الظاهر لدى السير روديريك. سأله قائلاً: من غيرها يستطيع الوصول للوثائق؟

- أندرو وماري بالطبع، ولكنني أشك في أن يكون لأندرو أي اهتمام بمثل هذه الأمور. وعلى أية حال فقد كان دوماً فتى شريفاً جداً... كان دوماً كذلك. رغم أنني لم أعرفه معرفة حميمة أبداً، فقد اعتاد أن يأتي لقضاء إجازاته مرة أو مرتين مع أخيه، وكان هذا تقريباً كل ما جمعني به. وقد هجر زوجته وسافر مع غانية جميلة إلى جنوب أفريقيا، ولكن هذا قد يحدث لأي رجل، خاصة مع زوجة مثل غريس. رغم أنني لم أكن أعرفها تماماً هي الأخرى. ولكنها كانت من أولئك النساء اللاتي يتعاملن بأسلوب فوقي وكأنهن يُسدين للمرء معروفاً. وفي كل الأحوال فإنك لا تستطيع تخيل رجل مثل أندرو بدور الجاسوس. أما بالنسبة لماري فهي تبدو على ما يرام ولا تهتم بشيء إلاّ أعمال البستنة حسبما أراه. ولدينا بستاني، ولكنه في الثالثة والثمانين من عمره، وقد عاش في القرية طوال حياته. وتوجد امرأتان تذرعان البيت دوماً وتثيران الصخب بالمكنسة الكهربائية، ولكن لا أستطيع تخيلهما بدور الجاسوسية أيضاً. وهكذا ترى أن السارق لا بد أن يكون شخصاً خارجياً.

سكت السير روديريك قليلاً، ثم تابع قائلاً دون رابط قوي بالموضوع: إن ماري تضع شعراً مُستعاراً بالطبع. أعني أن ذلك قد يجعلك تظن أنها جاسوسة لأنها تضع باروكة، ولكن ذلك ليس

صحيحاً، فقد تساقط شعرها بسبب حمى ألمت بها عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها، وهو أمر سيء جداً بالنسبة لامرأة شابة. لم أكن أعرف في البداية أنها تضع باروكة، ولكن باروكتها علِقت يوماً بغصنٍ لشجرة ورد فوقعت. نعم، إنه أمر سيء جداً.

- لقد رأيتُ أن في طريقة تصفيفها لشعرها شيئاً غريباً إلى حدٍّ ما.

قال السير روديريك: وعلى أية حال فإن أفضل العملاء السريين لا يضعون باروكات بل يُضطر المساكين للذهاب إلى جرّاحي التجميل لتغيير شكل وجوههم. ولكن شخصاً ما كان يعبث بأوراقي الخاصة.

- ألا تظن أنك ربما كنتَ قد وضعتها في مكان آخر... في دُرج مثلاً، أو في ملف مختلف؟ متى رأيتَ تلك الأوراق آخر مرة؟

- لقد استخدمتُ تلك الأوراق قبل نحو سنة من الآن. وأذكر أنني فكرتُ -وقتَها- بأنها يمكن أن تُشكِّل موضوعاً جيداً، وقد رأيتُ تلك الأوراق بعينها. وقد ضاعت الآن. أخذها أحدهم.

- أنت لا تشك بابن أختك أندرو، ولا بزوجته، ولا بأحد من خدم المنزل. فماذا عن الابنة؟

- نورما؟ حسناً، أحسب أن نورما مجنونة بعض الشيء. أعني أنها قد تكون واحدة من أولئك الذين يعانون مما يسمى بمرض السرقة ويأخذون ما ليس لهم دون أن يعرفوا أنهم يأخذونه، ولكني لا أستطيع تخيلها وهي تعبث بأوراقي الخاصة.

- ما الذي تظنه إذن؟

- لقد كنتَ في البيت ورأيتَ كيف هو. إن بوسع أي امرئ أن يدخل البيت ويخرج منه في أي وقت يشاء. إننا لا نقفل الأبواب، ولم يسبق لنا أن أقفلناها أبداً.

- هل تقفل باب غرفتك الخاصة... إذا سافرتَ إلى لندن مثلاً؟

- لم أرَ ذلك إجراء ضرورياً. أنا أقفله الآن بالطبع ولكن ما فائدة ذلك؟ لقد فات الأوان. وعلى أية حال فليس لدي إلاّ مفتاح عادي يلائم أياً من الأبواب. لا بد أن أحدهم قد دخل البيت من الخارج. بل إن عمليات السطو في هذه الأيام تجري كلها بهذه الطريقة. يدخل الناس إلى البيوت في رابعة النهار، فيصعدون الدرج، ويذهبون إلى أية غرفة يريدونها، ويبحثون عن صندوق الحلي فيسرقونه، ويخرجون ثانية، ولا أحد يراهم أو يهتم بهوياتهم. وربما بدوا على شاكلة شباب الموضة الهيبيين (أو كائناً ما كان الاسم الذي يُطلقونه في هذه الأيام على أولئك الشباب ذوي الشعر الطويل والأظافر المتسخة). لقد رأيت أكثر من واحد منهم يتسكع في البيت، ولا يحب المرء أن يقول لهم: "من أنت قبحك الله؟". إنك لا تعرف الفتى من الفتاة، وهو أمر مُحرج... والبيت يمتلئ بهم. أحسب أنهم أصدقاء نورما. ما كان هذا التصرف مسموحاً في سالف الأيام. ولكنك تطردهم من البيت، ثم تكتشف أنهم كانوا ذوي مراتب اجتماعية راقية. لا يعرف المرء موطئ قدمه في هذه الأيام.

توقف قليلاً ثم عاد ليقول: إن كان لأحد أن يصل إلى قرارة هذا الموضوع -يا بوارو- فإنه أنت.

ثم رشف آخر رشفة من قهوته ونهض قائلاً: حسناً، كانت تلك هي القضية. والأمر عائد لك الآن. وأحسبك ستتولاها، أليس كذلك؟

- سأفعل كل ما في وسعي.

رنّ جرس الباب الأمامي، فقال السير روديريك: هذه الفتاة الصغيرة. إنها دقيقة جداً في مواعيدها. رائعة، أليس كذلك؟ لا أستطيع الذهاب إلى لندن من دونها. فقد أصبحتُ أعمى من خفّاش، ولا أستطيع حتى عبور الشارع.

- ألا تستطيع وضع نظارات؟

- لدي نظارات في مكان ما، ولكنها تقع دوماً عن أنفي، أو أنني أُضيعها. وفوق ذلك فإنني لا أحب النظارات. لم يسبق لي أبداً أن استخدمتها، وعندما كنتُ في الخامسة والستين كان بوسعي أن أقرأ دون نظارات، وهذا أمر رائع.

- لا شيء يدوم.

أدخل جورج سونيا. كانت تبدو شديدة الجمال، ورأى بوارو أن سمتَها الحيي قد لاءمها كثيراً. تقدم منها باهتمام يتقنه الفرنسيون وقال: مرحباً يا آنسة.

ثم انحنى وهو يصافحها. قالت الفتاة وهي تنظر خلف بوارو إلى مخدومها: لا أظنني تأخرتُ، أليس كذلك؟ أرجو أن لا أكون قد تركتك تنتظر.

قال السير روديريك: لقد كنتِ دقيقة جداً يا فتاتي الصغيرة.

بدا على سونيا شيء من الحيرة، ومضى السير روديريك قائلاً: أرجو أن تكوني قد تناولتِ كوباً من الشاي الجيد. لقد طلبتُ منك أن تشتري لنفسك كوباً من الشاي الجيد، وتشتري لنفسك بعض الكعك أو الحلوى أو أي شيء آخر تحبه فتيات اليوم، أليس كذلك؟ أرجو أن تكوني قد أطعتِ الأوامر.

- لا، ليس تماماً. لقد استخدمت هذا الوقت في شراء زوج من الأحذية. انظر، أليس حذاء جميلاً؟

قال السير روديريك: حسناً، علينا الذهاب واللحاق بقطارنا. ربما كنتُ من الطراز القديم، ولكنني أفضل القطارات كثيراً؛ فهي تنطلق في وقتها المحدد وتصل في وقتها المحدد، أو هذا ما ينبغي. أما هذه السيارات فإنها تنتظم في صف طويل في ساعات الذروة المرورية بحيث يضيع المرء ساعة أو تزيد من وقته دون حاجة. سيارات! هَهْ!

سأل بوارو: هل أطلب من جورج أن يوقف لكما سيارة أجرة؟ تأكدا أنه لن يكون في ذلك أي عناء.

قالت سونيا: لقد أحضرتُ سيارة أجرة تنتظرنا في الخارج.

قال السير روديريك: هذا ما قلتُه، أرأيت؟ إنها تفكر في كل شيء.

ثم ربت على كتفها، ونظرت هي إليه بطريقة قدّرها بوارو كل التقدير.

رافقهما بوارو إلى باب الصالة واعتذر منهما بأدب. كان السيد غوبي قد خرج من المطبخ ووقف في الصالة وِقفة يمكن القول إنها تمثيل رائع لشخصية رجل جاء ليفحص الغاز.

أغلق جورج باب الصالة بمجرد أن دخل الضيفان المصعد، ثم التفت ليواجه نظرة بوارو إليه وهو يقول له: وهل لي أن أسأل عن رأيك بهذه الفتاة يا جورج؟

كان بوارو يقول دوماً إن حُكم جورج في بعض المسائل لا يخيب. أجابه جورج: حسناً يا سيدي، إن كنتَ تسمح لي بقول ذلك، فإنني أقول إنه شديد التعلق بها يا سيدي. يمكن القول إن تفكيره كله منصب عليها.

قال هيركيول بوارو: أظن أنك مُحِقٌّ يا جورج.

- وهي ظاهرة غير مستبعدة لدى الرجال في مثل هذا العمر؛ إذ يبدو أنهم يفقدون شيئاً من عقولهم عندما يصلون إلى هذا العمر ويفضلون -في هذه الحالة- النوع الضعيف الاتكالي من النساء، وليس النوع الجريء القوي.

- ما من شك لديّ أنك مُحقٌّ تماماً يا جورج، ولكن هذا لا يشكل جواباً كاملاً عن سؤالي. لقد سألتُك عن رأيك بالفتاة.

- آه، الفتاة... حسناً يا سيدي، لا أحب أن أجزم بالأمر، ولكنها من نوعية محددة تماماً. ليس فيها أبداً ما يمكنك أن تكون متأكداً منه، ولكني أحسب أنها تعرف تماماً ما تفعله.

دخل بوارو غرفة جلوسه وتبعه السيد غوبي استجابة لإشارة

منه. جلس السيد غوبي بأسلوبه المعتاد على كرسي منتصب الظهر وقد ضمّ رُكبتيه وقاربَ رؤوس أصابع قدميه. ثم أخرج من جيبه دفتر ملاحظات قديماً انثنت زوايا أوراقه، ففتحه بعناية ومضى يخاطب زجاجة الصودا أمامه بإصرار: فيما يخص الخلفية التي طلبت مني كشفها: عائلة ريستاريك، عائلة محترمة جداً ذات موقف جيد. لا فضائح فيها. ويقال إن الأب، جيمس باتريك ريستاريك، رجل حاد الذكاء في الصفقات التجارية. وقد استمرت التجارة في العائلة لثلاثة أجيال. أسسها الجد، ووسّعها الأب، واستمر بها سايمون ريستاريك. وقد تعرض سايمون ريستاريك إلى مشكلة في شريانه التاجي قبل عامين، وتدهورت صحته، ثم توفي بجلطة منذ نحو عام.

وقد دخل الأخ الأصغر أندرو ريستاريك في الشركة بعد مجيئه من أكسفورد، وتزوج الآنسة غريس بولدوين، ورزق بطفلة واحدة أسماها نورما، ثم ترك زوجته وغادر إلى جنوب أفريقيا. وقد غادرت معه آنسة تدعى بيريل. ولم تجر إجراءات طلاق بينه وبين زوجته التي توفيت قبل عامين ونصف العام، وقد كانت مقعدة لبعض الوقت. وكانت الآنسة نورما في مدرسة ميدوفيلد الداخلية للبنات، ولا يوجد في صحيفتها ما يسيء إليها.

ثم سمح السيد غوبي لنظرته باستعراض وجه السيد بوارو وقال: الحقيقة أن كل أمور عائلة ريستاريك تبدو على ما يرام وحسب الأصول.

- أيوجد لديهم ما يُسمى شقي العائلة؟ أيوجد عرق جنون؟

- لا يبدو أنه يوجد شيء من ذلك.

- هذا مخيب للأمل.

سمح السيد غوبي لهذه الملاحظة بالمرور، ثم تنحنح ولعق إصبعه وقلب صفحة من دفتر ملاحظاته وأخذ يقرأ:

ديفيد بيكر: سجل غير مُرضٍ. أُطلق سراحه بكفالة لمرتين، ويميل جهاز الشرطة للاهتمام بنشاطاته. وقد كان على هامش العديد من القضايا المشبوهة، ويُظن أنه كان على علاقة بعملية سرقة أعمال فنية، ولكن لا يوجد ما يُثبت ذلك. وهو ممن يتظاهرون بميول فنية. ليست لديه وسائل محددة لإعالة نفسه ولكنه يعيش حياة مريحة تماماً ويفضّل الفتيات اللاتي يمتلكن المال، ولا يُستبعد منه أن يعيش على حساب بعض الفتيات اللاتي يتعلّقن به، كما لا يُستبعد منه أن يقبض المال من آبائهن أيضاً. شخص سيء جداً برأيي، ولكن له من الذكاء ما يُبقيه بعيداً عن المشكلات.

وجّه السيد غوبي نظرة سريعة إلى بوارو وسأله: هل التقيتَه؟

- نعم.

- ما هي الانطباعات التي خرجتَ بها عنه، إن كان لي أن أسأل؟

قال بوارو: "نفس انطباعاتك"، ثم أضاف متأملاً: شخص مُبهرَج.

- إنه يروق للنساء. المشكلة أن النساء في أيامنا هذه لا يُلقين بالاً لفتى شريف جاد في عمله؛ إذ يفضلن الأشقياء... وعادة ما يقلن:

"ليس لهذا الفتى المسكين فرصة".

- إنهم يتبخترون كالطواويس.

قال السيد غوبي بشيء من الارتياب: يمكنك وصفهم على هذا النحو.

- أتظن أن من شأنه أن يضرب أحداً بأداة ثقيلة؟

فكر السيد غوبي، ثم هزّ رأسه ببطء وقال وكأنه يوجِّه حديثه للمدفأة الكهربائية: لم يتهمه أحد بشيء كهذا. لا أقول إنه يتورع عن ذلك، ولكني لا أحسب أن ذلك يقع ضمن أسلوبه؛ فهو من النوع ذي اللسان الذلق المهذب، لا من النوع العنيف.

- نعم، نعم. ما كنتُ لأراه كذلك. أيمكن أن يُشترى؟ أكان هذا رأيك فيه؟

- من شأنه أن يتخلى عن أية فتاة كما يلقي المرء جمرة من يديه إذا وجد صفقة تستحق ذلك.

أومأ بوارو برأسه؛ إذ كان يتذكر شيئاً. تذكر كيف أراه أندرو ريستاريك شيكاً بحيث يلاحظ توقيعه عليه، ولكن بوارو لم يكتف برؤية التوقيع، بل قرأ اسم الشخص الذي كُتب له الشيك... كان قد كُتب لديفيد بيكر، وكان بمبلغ كبير من المال. وتساءل بوارو إن كان ديفيد بيكر سيخجل من أخذ مثل هذا الشيك، وأحس أنه لن يفعل. وقد كان واضحاً أن السيد غوبي يشاطره هذا الرأي. لقد كان ديفيد يحث نورما على الزواج، فهل كان مخلصاً في ذلك؟ أيمكن أن يكون مهتماً حقاً بنورما مُحباً لها؟ إن كان كذلك فلن يكون من

السهل شراؤه. لقد بدا في حديثه الكثير من الصدق، ولا شك أن نورما آمنت بصدقه. أما السيد ريستاريك والسيد غوبي وهيركيول بوارو فقد رأوا عكس ذلك، وكانوا أقرب بكثير إلى الصواب.

تنحنح السيد غوبي ومضى قائلاً: الآنسة كلوديا ريسلاند: إنها على ما يرام. لا يوجد شيء ضدها. أعني لا توجد أية شبهات حولها. والدها عضو برلمان غني تماماً. لا فضائح حوله، وليس كبعض أعضاء البرلمان الآخرين الذين سمعنا عنهم. وقد تلقت الابنة تعليمها في رويدين، ثم دخلت في دورة سكرتارية. وأصبحت في البداية سكرتيرة لطبيب في شارع هارلي، وهي سكرتيرة من الطراز الأول. وقد عملت سكرتيرة للسيد ريستاريك في الأشهر الثلاثة الأخيرة. ليست لديها علاقات خاصة، مجرد صداقات عابرة مع الشباب. ولا يوجد ما يشير لأية علاقة بينها وبين ريستاريك، وما كنتُ شخصياً لأقول بوجود مثل ذلك. وقد استأجرت شقة في بورودين مانشينز خلال السنوات الثلاث الماضية. والإيجارات مرتفعة تماماً هناك، وهي عادة ما تشترك مع فتاتين في الشقة دون أن تجمعها بهما صداقة حميمة بالضرورة، فهما تتبدلان باستمرار. ومعها شابة تُدعى فرانسيس كاري، وهي الفتاة الثانية، مضى على سكنها هناك وقت طويل. كانت لفترة في الأكاديمية الملكية للفنون المسرحية، وهي تعمل الآن في قاعة ويديربيرن، وهي قاعة مشهورة في شارع بوند متخصصة في إقامة المعارض الفنية في مانشستر وبيرمنغهام، وأحياناً في الخارج، وقد تسافر إلى سويسرا والبرتغال. وهي من النوع المهتم بالفنون، ولها صداقات كثيرة مع الفنانين والممثلين.

توقف قليلاً، وتنحنح، ثم ألقى نظرة عجلى على دفتر ملاحظاته

ومضى قائلاً: لم أستطع الحصول على الكثير من المعلومات من جنوب أفريقيا بعد، ولا أحسبني سأحصل على الكثير. لقد تنقل ريستاريك كثيراً؛ في كينيا وأوغندا وغانا، وفي أمريكا الجنوبية لفترة. لم يكن يستقر في مكان. إنه رجل ملول لا يهدأ، ولا يبدو أن أحداً كان يعرفه معرفة جيدة. لديه الكثير من الأموال التي تجعله يذهب حيث يشاء، فقد جنى الكثير الكثير منها، وكان يحب السفر إلى الأماكن النائية المجهولة. ويبدو أن كل من صادفه أحبه، ويكاد المرء يرى فيه رحّالة بطبيعته. لم يكن يديم الاتصال بأحد، وأحسب أن تقارير قد ظهرت في ثلاث مناسبات تفيد بأنه مات... إذ دخل في مناطق حرجية ولم يعد منها... ولكنه كان يظهر دوماً في النهاية. وما أن تمضي بضعة أشهر حتى يظهر فجأة في مكان مختلف كلياً.

ثم توفي أخوه فجأة بعد ذلك في العام الماضي. وقد وجدوا شيئاً من الصعوبة في العثور عليه، ويبدو أن وفاة شقيقه قد صدمته. ولعله اكتفى من حياة الترحال، أو ربما قابل المرأة المناسبة أخيراً. وكانت أصغر منه بسنوات عديدة، ويقال إنها كانت معلمة، من النوع المستقيم. وعلى أية حال، بدا وكأنه قد عزم أمره وقتها على ترك حياة التنقل والعودة إلى إنكلترا. وإلى جانب ما يتمتع به شخصياً من غنى فهو وريث أخيه.

قال بوارو: قصة للنجاح، وفتاة تعِسة. ليتني أعرف المزيد عنها. لقد أكّدتَ لي كل ما تستطيعه، وزودتني بالحقائق التي أحتاجها. الناس الذين كانوا حول تلك الفتاة، والذين كان بوسعهم التأثير فيها، والذين ربما أثروا فيها بالفعل. أردتُ أن أعرف شيئاً عن أبيها، وعن زوجة أبيها، وعن صاحبها الذي تحبه، والناس الذين تسكن

أو تعمل معهم في لندن. أأنت واثق أنه لم تحدث وفيات لها علاقة بهذه الفتاة؟ هذا مهم...

- لا يوجد أي أثر لذلك أبداً. كانت تعمل لحساب شركة تُدعى هومبيرد، ولم تكن الشركة تدفع لها الكثير. أما زوجة الأب فقد أُدخلت المستشفى مؤخراً لمراقبة وضعها... وكان ذلك في الريف. وقد انتشرت الكثير من الشائعات، ولكن يبدو أنها لم تصل إلى أية نتيجة.

- إذ أنها لم تمت.

ثم أضاف بوارو بأسلوب رجل متعطش للدماء: إن ما أحتاجه هو حالة وفاة.

قال السيد غوبي إنه متأسف لذلك، ثم نهض واقفاً وقال: هل بقي أي شيء إضافي تريده في الوقت الحاضر؟

- ليس من قبيل المعلومات.

قال السيد غوبي: "حسناً يا سيدي"، ثم أضاف وهو يعيد دفتر الملاحظات إلى جيبه: اعذرني يا سيدي إن كنتُ أتكلم خارج ما يعنيني، ولكن تلك الفتاة الشابة التي كانت لديك قبل قليل...

- نعم، ماذا عنها؟

- الحقيقة هي... لا أحسب أن لذلك أية علاقة بهذا الأمر، ولكنني رأيت أن بوسعي أن أذكر لك الأمر فقط...

- اذكره رجاء. هل أفهم من ذلك أنك رأيتَها من قبل؟

- نعم، منذ شهرين.

- أين رأيتها؟

- في كيو غاردنز.

رفع بوارو حاجبيه قليلاً بدهشة وقال: كيو غاردنز؟

- لم أكن ألاحقها هي. بل كنتُ ألاحق شخصاً آخر، الشخص الذي قابلها.

- ومن هو ذلك الشخص؟

- لا أحسب أن في ذكره لك أي بأس. لقد كان أحد المُلحقين الثانويين في إحدى السفارات.

رفع بوارو حاجبيه وقال: هذا مثير، نعم، مثير جداً. كيو غاردنز، إنه مكان لطيف للقاءات. لطيف جداً.

- لقد فكرتُ بذلك وقتها.

- وهل تحدثا معاً؟

- لا؛ ما كان ليخطر ببالك أن أحدهما يعرف الآخر. كانت الفتاة تحمل كتاباً معها، وقد جلست على مقعد وأخذت تقرأ في الكتاب لفترة، ثم وضعته جانباً قربها. ثم جاء صاحبي وجلس هناك على المقعد أيضاً. ولم يتكلما... إلاّ أن الفتاة نهضت ومشت مبتعدة. واكتفى هو بالجلوس هناك لفترة، ثم نهض وغادر. وقد أخذ معه الكتاب الذي تركته الفتاة خلفها. هذا كل ما جرى يا سيدي.

- نعم، إنه أمر مثير جداً.

نظر السيد غوبي إلى المكتبة وقال لها: "وداعاً"، ثم انصرف.

أطلق بوارو زفرة انزعاج وقال: إن هذا لكثير جداً! كثير جداً بالفعل. لدينا الآن تجسس وتجسس مضاد. إن كل ما أطلبه هو جريمة قتل بسيطة تماماً. لقد بدأت أشك بأن تلك الجريمة لم تقع إلاّ في عقلٍ أدمن على المخدرات!

* * *

الفصل الرابع عشر

انحنى بوارو وقدم للسيدة أوليفر باقة من الزهور التي نُسقت بأسلوب شديد الترتيب لتغدو أقرب إلى باقات الزهور التي كانت سائدة في العصر الفكتوري، وقال وهو يقدمها: سيدتي العزيزة.

- آه، السيد بوارو! هذا حقاً لطفٌ بالغٌ منك، وهي باقة تنم عن شخصيتك على نحو ما. إن كل أزهاري تكون دوماً سيئة الترتيب.

نظرت إلى مزهرية الأزهار التي تبدو بحالة مزرية إلى حدٍ ما، ثم عادت فنظرت إلى الباقة المدورة الأنيقة التي أحضرها بوارو وقالت: وكم هو لطيف منك أن تأتي لرؤيتي.

- لقد جئتُ يا سيدتي لأقدم لك تهانيّ على شفائك.

- نعم، أحسب أنني قد استعدتُ عافيتي من جديد.

ثم هزت رأسها بشيء من المرارة وقالت: رغم أنني أعاني من الصداع، صداع سيء جداً.

- لعلك تذكرين -يا سيدتي- أنني حذرتك من الإقدام على أي تصرف خطِر.

- نعم، لقد حذرتَني من تعريض نفسي للخطر، وأحسب أن هذا هو ما فعلتُه تماماً. لقد شعرتُ بشيء شرير يوشك أن يقع. وكنتُ خائفة أيضاً، ثم قلتُ لنفسي إنني حمقاء إذ أخاف، فما الذي يخيفني؟ أعني أنني في لندن... في وسط لندن تماماً، والناس من حولي في كل مكان. أعني: كيف لي أن أخاف. لم يكن الأمر في غابة مهجورة مثلاً.

نظر بوارو إليها متأملاً، وتساءل إن كانت السيدة أوليفر قد أحست حقاً بذلك الخوف العصبي، وهل شكّت حقاً بوجود الشر وشعرت بذلك الإحساس المتطيِّر بأن أحدهم يتمنى لها الأذى، أم أنها أضفت على هذا الأمر لبوس مشاعرها فيما بعد؟ إنه يعرف حق المعرفة السهولة التي يمكن أن يتم بها مثل هذا الأمر. فقد تكلم عدد لا يُحصى من زبائنه مستخدمين نفس كلمات السيدة أوليفر تقريباً: "لقد عرفتُ أن ثمة خطأً ما... بوسعي الإحساس بوجود الشر... عرفتُ أن شيئاً سيحصل"... ولم يكن أولئك الزبائن قد شعروا حقاً بأي شيء من ذلك. فإلى أي نوع من الأشخاص تنتمي السيدة أوليفر؟

نظر إليها وهو يفكر. وقد كانت السيدة أوليفر -برأيها الشخصي عن نفسها- مشهورة بحدسها، وكان الحدس عندها يتلو الحدس في تتابع شديد السرعة، بحيث تدّعي السيدة أوليفر لنفسها دائماً الحق في تبرير ذلك الحدس الذي تثبت صحته لاحقاً!

ومع ذلك فإن المرء يشارك القطط والكلاب -في كثير من الأحيان- شعورها بعدم الارتياح الذي يسبق العواصف الرعدية، وهو يحس -بالفعل- بشيء غير طبيعي، رغم أن المرء لا يعرف ما هو ذلك الشيء غير الطبيعي.

- متى أتاكِ ذلك الخوف؟

- عندما خرجتُ من الطريق العام. فحتى ذلك الحين كان كل شيء عادياً ومثيراً تماماً و... نعم، كنتُ أستمتع بذلك، رغم غيظي إذ اكتشفت كم هي صعبة ملاحقة الناس.

توقفت قليلاً وهي تفكر ثم قالت: تماماً كلعبة. ثم فجأة لم تعد تبدو كلعبة، حيث كانت هناك شوارع صغيرة غريبة وبيوت شبه مهدمة وسقائف وساحات خالية بقصد البناء... آه، لا أدري، لا أستطيع شرح ذلك. ولكن الأمر غدا مختلفاً... وكأنه حلم حقاً. وأنت تعرف طبيعة الأحلام. تبدأ بأمر ما، كأن يكون حفلة مثلاً، ثم تجد نفسك فجأة في غابة أو في مكان مختلف تماماً... ويكون كل ذلك موحياً بالشر.

- غابة؟ من المثير أن تطرحي الأمر على هذا النحو. إذن فقد شعرتِ وكأنك في غابة، وقد خفت من طاووس، أليس كذلك؟

- لا أدري إن كنتُ قد خفتُ حقاً منه. فالطاووس -في نهاية المطاف- ليس طائراً خطيراً. لقد رأيتُ فيه طاووساً لأنني فكّرتُ به كمخلوق مُتزيِّن مبهرج. والطاووس طائر مبهرج، أليس كذلك؟ وهذا الفتى الفظيع مبهرج أيضاً.

- ألم تكن لديك أية فكرة بأن أحدهم يلاحقك قبل أن تُضرَبي؟

- نعم، نعم، لم تكن لدي أية فكرة عن ذلك... ولكنني أكاد أكون واثقة أنه دلّني على الطريق الخطأ.

أومأ بوارو برأسه متأملاً، وقالت السيدة أوليفر: ولكن لا بد أن الطاووس هو الذي ضربني طبعاً. من عساه يكون غيره؟ أيكون الفتى القذر ذا الملابس المليئة بالدهون؟ لقد كان ذا رائحة كريهة، ولكنه لم يكن شريراً. كما لا يمكن أن تكون تلك الفتاة الرخوة فرانسيس هي التي ضربتني... كانت تلقي بنفسها متكئة على صندوق خشبي، وشعرها الأسود الطويل يمتد ليغطي المكان كله. لقد ذكّرتني بممثلة لا أدري من هي. لا أتذكّرُ إن كنتَ قد رأيتَها أم لا.

- لم أسعد بعدُ بلقائها... إن كان لقاؤها يُسعد.

- إنها جميلة الشكل تماماً بطريقتها الفنية غير المرتّبة. وقد بالغت كثيراً في وضع المساحيق، فوجهها أبيض تماماً، وذلك النمط من الشعر المتهدل فوق وجهها. إنها تعمل في قاعة للأعمال الفنية، ولذلك فمن الطبيعي تماماً -فيما أرى- أن تختلط بالشبان الهيبيين. كيف تستطيع هؤلاء الفتيات ذلك؟! أحسب أنها ربما وقعت في غرام الطاووس، ولكن حبها ربما انصرف إلى الفتى القذر. ومع ذلك فإنني لا أستطيع -على نحوٍ ما- تخيُّلَها وهي تضربني على رأسي بآلة ثقيلة.

- إن في ذهني احتمالاً آخر يا سيدتي، فربما لاحظك أحدهم وأنت تلاحقين ديفيد... ولاحقك هو بدوره.

- شخص رآني أتابع ديفيد، فقام بمتابعتي أنا؟

- أو ربما كان شخصاً موجوداً أصلاً في الساحة أو في السقائف المبنية حولها، وربما كان يراقب نفس الأشخاص الذين كنتِ تراقبينهم.

- هذه فكرة واردة بالطبع. وإني لأتساءل من عسى هذا الشخص يكون؟

أطلق بوارو زفرة غيظ وقال: آه، هذا ما لدينا! الأمر صعب... صعب جداً. يوجد الكثير من الأشخاص، والكثير من العوامل. لا أستطيع رؤية أي شيء بوضوح. لا أرى إلاّ فتاة قالت إنها ربما كانت قد ارتكبت جريمة قتل! وهذا كل ما لديّ لأستند إليه، وحتى في هذا الأمر عندي صعوبات.

- ماذا تعني بكلمة صعوبات؟

- فكري.

ولكن التفكير لم يكن من نقاط القوة عند السيدة أوليفر. قالت شاكية: أنت تثير حيرتي دائماً.

- إنني أتحدث عن جريمة قتل، ولكن أية جريمة قتل هذه؟

- أحسبها جريمة قتل زوجة الأب.

- ولكن زوجة الأب لم تُقتل... إنها حية تُرزق.

- أنت فعلاً رجل يثير الجنون.

اعتدل بوارو في كرسيه ووضع أطراف أصابعه متقابلة، وحضّر نفسه كي يستمتع، أو هكذا خُيِّل للسيدة أوليفر. قال: أنت ترفضين التفكير، ولكن يجب أن نفكر إذا ما أردنا الوصول إلى أية نتيجة.

- لا أريد أن أفكر. إن ما أريد معرفته هو: ما الذي كنتَ تفعله

حيال الأمور كلها وأنا موجودة في المستشفى؟ لا بد أنك فعلتَ شيئاً. ما الذي فعلتَه؟

تجاهل بوارو هذا السؤال وقال: يجب أن نعود من البداية. في أحد الأيام اتصلتِ بي هاتفياً، وكنتُ أنا تعِساً. نعم، أعترف بذلك، فقد كنتُ تعِساً فعلاً بعد أن قيل لي كلام مؤلم جداً. وأنت -يا سيدتي- كنتِ في غاية اللطف؛ فقد خفّفتِ عني وشجّعتِني وقدّمتِ لي كوباً من الشُكلاتة. وفوق ذلك فإنك لم تكتفي بعرض المساعدة عليّ، بل ساعدتِني فعلاً. ساعدتِني في العثور على الفتاة التي جاءت إليّ وقالت إنها تظن أنها ربما ارتكبت جريمة قتل! دعينا نسأل أنفسنا يا سيدتي: ماذا عن جريمة القتل هذه؟ من الذي قُتل؟ وأين قُتل؟ ولماذا قُتل؟

- آه، توقف رجاء. إنك تعيدُ إليّ صداع رأسي.

لم يُلقِ بوارو بالاً لهذه المناشدة، بل مضى قائلاً: هل لدينا أية جريمة قتل؟ ولعلك تقولين: زوجة الأب. ولكني أجيب بأن زوجة الأب ليست ميتة... ولذلك فليس لدينا -حتى الآن- جريمة قتل. ولكن يجب أن تكون لدينا جريمة قتل، ولذلك فإنني حققتُ أول شيء لأعرف من الذي مات. لقد جاءتني فتاة وأشارت إلى جريمة قتل. جريمة قتل تم ارتكابها في مكان ما وبطريقة ما. ولكنني لا أستطيع العثور على تلك الجريمة، وإن ما توشكين على قوله ثانية من أن محاولة قتل ماري ريستاريك تؤدي الغرض تماماً لا يُقنع هيركيول بوارو.

- لا أستطيع أن أفهم ما الذي تريده أكثر من ذلك.

- أريد جريمة قتل.

- إن قول ذلك بهذه الطريقة يوحي بتعطش بالغ للدماء!

- إنني أبحث عن جريمة قتل ولا أستطيع العثور عليها. وهذا يثير الحنق... ولذلك أطلب منك التفكير معي.

- لديّ فكرة رائعة. ماذا لو كان أندرو ريستاريك قد قتل زوجته الأولى قبل أن يسافر بسرعة إلى جنوب أفريقيا؟ هل فكرتَ في هذا الاحتمال؟

قال بوارو بشيء من السخط: أنا لم أفكر بمثل هذا الشيء بالتأكيد.

- حسناً، أما أنا فقد فكرتُ فيه، وهو احتمال مثير جداً. فقد كان يحب تلك المرأة الأخرى وأراد -يائساً- السفر معها، ولذلك قتل الزوجة الأولى ولم يشكّ به أحد أبداً.

سحب بوارو زفرة غيظ طويلة وقال: ولكن زوجته لم تمت إلاّ بعد أحد عشر عاماً من مغادرته لهذا البلد متجهاً إلى جنوب أفريقيا، ولا يمكن لطفلته أن تكون على علاقة بجريمة قتل أمها وهي في الخامسة من عمرها.

- ربما كانت قد أعطت أمها دواء غير دوائها، أو ربما زعم ريستاريك كاذباً أنها ماتت. فنحن -في نهاية المطاف- لا نعرف يقيناً أنها ماتت.

- بل أنا أعرف ذلك. لقد قمتُ بالتحري عن الأمر، وقد توفيت زوجة ريستاريك الأولى في ١٤ نيسان ١٩٦٣.

- كيف يمكنك أن تعرف هذه الأمور؟

- لأنني استأجرتُ شخصاً ليتثبت من الحقائق. أرجوك يا سيدتي أن لا تقفزي إلى نتائج مستحيلة بهذه الطريقة المتسرعة.

قالت السيدة أوليفر بعناد: لقد ظننتُ أن ذلك كان ذكاء مني. لو قُدِّر لي أن أجعل ذلك يقع في رواية لكنتُ رتّبتُ الأمور بهذه الطريقة. وكنتُ سأجعل الطفلة ترتكب الجريمة، ليس بقصد منها، ولكن لأن والدها طلب منها أن تُعطي أمها شراباً مصنوعاً من نبات البَقس المطحون.

- هذا هراء.

- حسناً، أعطنا وجهة نظرك أنت.

- ليس لدي ما أقوله مع الأسف. إنني أبحث عن جريمة قتل ولا أعثر عليها.

- حتى بعد مرض ماري ريستاريك وذهابها إلى المستشفى حيث تحسنت حالتها، ثم عادت فعاد المرض إليها، ولو أنهم بحثوا فلربما وجدوا الزرنيخ أو ما شابهه مُخبأ من قِبَل نورما في مكان ما.

- هذا بالضبط ما وجدوه.

- عجباً لك يا بوارو، ماذا تريد بعد ذلك؟

- أريد منك أن تنتبهي قليلاً إلى معاني اللغة. فقد قالت لي تلك الفتاة نفس العبارة التي قالتها لخادمي جورج، وفي كلتا الحالتين لم

تقل: "لقد حاولتُ قتل أحدهم"، أو: "حاولتُ قتل زوجة أبي". لقد تحدثت في كل مرة عن واقعة قد **حدثت**، عن شيء **قد تم وانتهى**. عن أمر حدث بالتأكيد، وبصيغة الفعل الماضي.

- إنني أستسلم. أنت لا تريد -ببساطة- أن تصدق أن نورما حاولت قتل زوجة أبيها.

- كلا، بل إنني أظن أن من الممكن تماماً أن تكون نورما قد حاولت قتل زوجة أبيها، وأحسب أن هذا ربما كان ما حدث بالفعل؛ فهو ينسجم سيكولوجياً مع حالة شرودها الذهني... ولكن ذلك لم يُثبَت. تذكّري أنه كان بوسع أي امرئ أن يخفي مُستحضر الزرنيخ بين أغراض نورما. بل ربما كان الزوج هو من وضعه هناك.

- يبدو أنك ترى دوماً أن الأزواج هم الذين يقتلون الزوجات.

- إن الزوج يكون عادة الشخص الأرجح احتمالاً، ولذلك يفكر به المرء قبل غيره. ربما كان الفاعل هو الفتاة نورما، أو واحداً من الخدم، أو الفتاة المقيمة لديهم، أو السير روديريك العجوز، بل ربما كانت السيدة ريستاريك نفسها!

- هراء، لماذا تفعل ذلك؟

- يمكن أن تكون أسباب. صحيح أنها أسباب مُستهجنة قليلاً، ولكنها لا تخرج عن دائرة التصديق.

- عجباً يا سيد بوارو، لا يمكنك أن تشك بالجميع.

- بل إن هذا تماماً ما يمكنني فعله. إنني أشك بالجميع. أشكُّ

أولاً، ثم أبحث عن الأسباب.

- وما هي الأسباب التي يمكن أن تكون لتلك الطفلة الأجنبية المسكينة؟

- هذا قد يعتمد على طبيعة ما تفعله في ذلك البيت، وما هي الأسباب التي دفعتها للقدوم إلى إنكلترا، وعلى الكثير من العوامل الأخرى.

- أنت مجنون بالفعل!

- أو ربما كان الفاعل هو الفتى ديفيد، طاووسك.

- هذا مُستبعد جداً. لم يكن ديفيد هناك، وهو لم يقترب من البيت أبداً.

- بل اقترب. لقد كان يتجول في ممرات البيت يوم ذهبتُ أنا إلى هناك.

- ولكنه لم يكن يضع السم في غرفة نورما.

- وكيف لك أن تعرفي؟

- ولكن نورما وذلك الفتى الفَظيع متحابان.

- هذا ما يبدو عليهما، أعترف بذلك.

اشتكت السيدة أوليفر قائلة: أنت تريد دوماً أن تُصعِّب الأمور.

- أبداً. بل إن الأمور قد صُعِّبت عليّ أنا. إنني بحاجة إلى المعلومات، وتوجد فتاة واحدة فقط يمكنها أن تعطيني معلومات، وقد اختفت.

- أتعني نورما؟

- نعم، أعني نورما.

- ولكنها لم تختفِ. لقد وجدناها، أنا وأنت.

- لقد خرجت من ذلك المقهى واختفت مرة أخرى.

قالت السيدة أوليفر بصوت يرتعد تأنيباً: وأنت تركتها تذهب؟

- مع الأسف!

- تركتها تذهب؟ ألم تحاول حتى العثور عليها من جديد؟

- أنا لم أقل إنني لم أحاول العثور عليها.

- ولكنك حتى الآن لم تنجح. سيد بوارو، لقد خيبتَ أملي فيك حقاً.

قال بوارو وكأنه يحلم: يوجد هنا نمط وطريقة. نعم، يوجد نمط، ولكن بسبب عامل واحد مفقود فإن النمط لا يبدو ذا معنى. إنك ترين ذلك، أليس كذلك؟

قالت السيدة أوليفر التي كانت تعاني من الصداع: أنا لا أرى شيئاً.

استمر بوارو في الحديث مع نفسه أكثر مما هو مع مستمعته، إذا أمكن اعتبار السيدة أوليفر مستمعة! لقد كانت ساخطة تماماً على بوارو، وفكرت مع نفسها بأن الفتاة نورما ريستاريك كانت محقة تماماً وأن بوارو أصبح كبيراً جداً بالفعل! فها قد وجدت له الفتاة، واتصلت

به بحيث يصل في الوقت المناسب، ثم خرجت هي لتلاحق الشاب. وقد تركت الفتاة لبوارو، فما الذي فعله؟ لقد فقدها! والحقيقة أنها لا ترى أن بوارو قد فعل شيئاً ذا فائدة أبداً وفي أي وقت. لقد خاب أملها فيه. وعندما يتوقف عن الكلام ستقول له ذلك ثانية.

كان بوارو يحدد بهدوء ومنهجية ما أطلق عليه اسم «النمط»:

- إن المسألة تتداخل. نعم، إنها تتداخل، وهذا سبب صعوبتها. كل أمر يتعلق بالآخر ثم تجدين أنه يتعلق بشيء آخر يبدو خارج النمط... ولكنه ليس خارج النمط. وهذا ما يُدخل مزيداً من الناس في دائرة الشك. الشك بماذا؟ هنا أيضاً لا يعلم المرء شيئاً. لدينا أولاً الفتاة، وخلال كل هذه الشبكة من الأنماط المتناقضة عليّ أن أبحث عن جواب لأكثر الأسئلة بروزاً: هل الفتاة ضحية، هل هي في خطر؟ أم أن الفتاة ذكية جداً؟ هل تتعمد الفتاة إعطاء الانطباع الذي تريد إعطاءه لأغراضها الخاصة؟ كلا الأمرين وارد. ما زلتُ بحاجة إلى شيء واحد... إلى مؤشر أكيد، وهو موجود في مكان ما... أنا واثق أنه موجود في مكان ما.

كانت السيدة أوليفر تبحث في حقيبتها اليدوية وهي تقول بصوت منزعج: لا أدري لماذا لا أجد علبة الأسبرين عندما أريدها.

- إن لدينا مجموعة من العلاقات التي يرتبط بعضها ببعض. الأب والابنة وزوجة الأب. إن حياتهم ترتبط معاً. ولدينا الخال العجوز، الخرف بعض الشيء، الذي يعيشون معه. ولدينا الفتاة سونيا. وهي ترتبط مع الخال، إذ تعمل عنده. وهي ذات سلوك مهذب، وطُرُقٍ لطيفة، وهو فرح بها. إنه رقيق قليلاً تجاهها إذا صح

التعبير. ولكن ما هو دورها ضمن البيت؟

- أحسبها تريد تعلم الإنكليزية.

- لقد قابلت شخصاً من إحدى السفارات... في كيو غاردنز. قابلته هناك، ولكنها لم تتكلم معه. تركت خلفها كتاباً أخذه الرجل...

- ما هذا الذي تقوله؟

- هل لذلك أية علاقة بالنمط الآخر؟ لا نعرف بعد. يبدو ذلك غير مرجح، ولكنه قد لا يكون كذلك. هل وقعت ماري ريستاريك - مصادفة ودون انتباه منها- على معلومة ربما كانت خطيرة على الفتاة؟

- لا تقل لي إن لهذا كله علاقة بالتجسس أو ما شابه ذلك.

- أنا لا أقول لك، بل أتساءل.

- لقد قلتَ بنفسك إن السير روديريك العجوز خَرِف.

- ليست المسألة مسألة ما إذا كان خرفاً أو غير خرف؛ فقد كان شخصاً ذا شيء من الأهمية خلال الحرب. وقد مرت بين يديه أوراق مهمة، وربما كُتبت له رسائل مهمة، رسائل كان له مُطلق الحرية بالاحتفاظ بها بمجرد أن فقدت أهميتها.

- أنت تتحدث عن الحرب، وقد كان ذلك منذ أمد بعيد.

- هذا صحيح. ولكن الماضي لا ينتهي دوماً لمجرد مرور أمد بعيد. تُقام الآن تحالفات، وتُلقى خُطب عامة تتنصل من هذا الأمر وتُنكر ذاك، وتكذب مراراً في أمور أخرى. ولنفترض أن رسائل أو

وثائق ما تزال موجودة ومن شأنها أن تُغير صورة شخصيةٍ معينة. إنني لا أخبرك بشيء، أتفهمينني؟ إنني أثير فرضيات فقط. فرضيات كتلك التي عرفت صحتها في الماضي. قد يكون من بالغ الأهمية إتلاف بعض الأوراق أو الرسائل، أو تمريرها إلى حكومة أجنبية ما. فمَنْذا يمكن أن يتولى هذه المهمة بشكل أفضل من فتاة فاتنة تساعد وتعين شخصاً بارزاً عجوزاً على جمع أوراقه لكتابة مذكراته؟ إن الجميع يكتبون مذكراتهم هذه الأيام. لا يستطيع المرء منعهم من القيام بذلك! ماذا لو تناولت زوجة الأب شيئاً قليلاً في طعامها في اليوم الذي تقوم فيه السكرتيرة اللطيفة المقيمة في المنزل بالطبخ؟ وماذا إذا كانت هذه السكرتيرة هي التي رتّبت الأمر بحيث تقع الشكوك على نورما؟

- يا لهذا العقل لديك! أنا أسميه معقداً منحرفاً. أعني أن هذه الأمور كلها لا يمكن أن تكون قد حدثت.

- هذا هو الأمر بالضبط. عندنا الكثير من الأنماط، فأيها هو النمط الصحيح؟ لقد غادرت الفتاة نورما بيتها وذهبت إلى لندن. وهي -كما أخبرتني أنت- فتاة ثالثة تتقاسم الشقة مع فتاتين غيرها. هنا أيضاً يمكن أن يكون لديك نمط. الفتاتان غريبتان بالنسبة إليها. ولكن ما الذي علمتُه فيما بعد؟ علمتُ أن كلوديا ريسلاند هي سكرتيرة والد نورما ريستاريك. وهنا أيضاً توجد لدينا صلة. أهذه مجرد مصادفة؟ أم يكون خلفها نمط من نوع ما؟ وقد قلتِ لي إن الفتاة الأخرى تعرف الفتى الذي أسميتِه «الطاووس»، والذي تحبه نورما. ومرة أخرى هنا صلة... صلات أخرى. وما الذي يفعله ديفيد في كل هذه الشبكة؟ هل يحب نورما؟ يبدو الأمر كذلك. ووالداها يكرهان ذلك كما هو الموقف الطبيعي المعتاد تماماً.

قالت السيدة أوليفر وهي تتأمل: غريب كون كلوديا ريسلاند سكرتيرة لريستاريك. أنا أرى أن من شأنها أن تكون على درجة من الكفاءة في أي شيء تتولاه، وربما كانت هي التي دفعت المرأة من النافذة من الطابق السابع.

التفت بوارو إليها ببطء وقال: ما الذي تقولينه؟ ما الذي تقولينه؟

- مجرد امرأة في الشقق... لا أعرف حتى اسمها، ولكنها وقعت من النافذة أو رمت نفسها منها من الطابق السابع وماتت.

ارتفع صوت بوارو عالياً قاسياً وهو يقول بنبرة اتهام: ومع ذلك لم تخبريني أبداً.

نظرت السيدة أوليفر إليه بدهشة وقالت: لا أدري ما الذي تعنيه.

- ما الذي أعنيه؟ لقد طلبتُ منك أن تخبريني عن حالة وفاة. هذا ما أعنيه... **حالة وفاة**. وقد قلتِ إنه ما من حالات وفاة. لم يكن بوسعك التفكير إلاّ بمحاولة تسميم. ومع ذلك **ها هي حالة وفاة**. وفاة في... ما اسم ذلك المجمع؟

- بورودين مانشينز.

- نعم، نعم. ومتى حدثت؟

- هذا الانتحار؟ أو كائناً ما كان شأنه؟ أظنه كان... نعم، أظنه كان قبل نحو أسبوع من ذهابي إلى هناك.

- ممتاز! وكيف علمتِ بالأمر؟

- أخبرني موزِّع الحليب.

- موزِّع حليب، يا إلهي!

- كان من النوع الذي يثرثر، وبدا الأمر مُحزناً بعض الشيء. وقد حدث ذلك في النهار... في وقت مبكر من الصباح كما أظن.

- ماذا كان اسمها؟

- لا أعرف... لا أظنه ذكر اسمها.

- أكانت شابة، أم في منتصف عمرها، أم عجوزاً؟

فكرت السيدة أوليفر ثم قالت: إنه لم يقل عمرها بالضبط، ولكن أظنه قال إنها في الخمسينيات.

- إني لأتساءل الآن: أكانت الفتيات الثلاث يعرفنها؟

- وكيف لي أن أعرف؟ لم يقل أحد شيئاً حول الموضوع.

- وأنت لم تفكري بإبلاغي بذلك.

- يا لأفكارك يا سيد بوارو! لا يمكنني القول إن لهذا الأمر أية علاقة بقضيتنا هذه. حسناً، لنقل إنه قد يكون ذا علاقة... ولكن أحداً لم يقل ذلك، أو يفكر في ذلك.

- ولكن... نعم، تلك هي الصلة. فلدينا هنا تلك الفتاة، نورما، التي تعيش في تلك الشقق، وفي أحد الأيام تُقدم إحداهن على الانتحار (لأن هذا هو الانطباع العام كما فهمت). أي أن إحداهن قد ألقت نفسها أو وقعت من نافذة الطابق السابع فقُتلت. وبعد ذلك؟

بعد عدة أيام، وبعد أن سمعتكِ تلك الفتاة، نورما، تتحدثين عني في حفلة، جاءت لتزورني أنا وقالت إنها تخشى أنها ربما ارتكبت جريمة قتل. ألا ترين؟ فقد حدثت وفاة... ولم تكد تمر أيام قليلة حتى تأتي من تظن أنها ربما ارتكبت جريمة قتل. نعم، يجب أن تكون هذه هي جريمة القتل.

أرادت السيدة أوليفر أن تقول له: "هراء"، ولكنها لم تتجرأ على ذلك، وبدلاً من الجهر بها قالتها لنفسها، فيما مضى بوارو قائلاً: لا بد أن هذه هي -إذن- المعلومة التي لم تصلني بعد. ينبغي لهذه المعلومة أن تجعل الخيوط كلها متماسكة واضحة! نعم، نعم، إنني لا أرى بعدُ كيف يمكن ذلك، ولكن لا بد أن يكون الأمر كذلك. يجب أن أفكر... هذا ما يجب عليّ فعله. يجب أن أذهب إلى البيت وأفكر حتى تنسجم كل القطع المتناثرة بعضها مع بعض؛ لأن هذه ستكون القطعة الرئيسة التي تربط القطع الأخرى كلها معاً... نعم، أخيراً. أخيراً سأرى طريقي.

نهض واقفاً وقال: وداعاً يا سيدتي.

ثم أسرع خارجاً من الغرفة، واستراحت أخيراً مشاعر السيدة أوليفر، وقالت للغرفة الفارغة: هراء... هراء وسخف. ترى هل يُعتبر تناول أربعةٍ من أقراص الأسبرين جرعة مسموحاً بها؟

* * *

الفصل الخامس عشر

عند مرفق هيركيول بوارو كان كأس من الزهورات صنعه له جورج، ورشف منه وهو يفكر. فكر بطريقة معينة خاصة به، وكان أسلوبه في ذلك أسلوب رجل يختار أفكاره كما يختار المرء قطعاً من «اللوحة التركيبية»... تلك اللوحة المُقطّعة إلى أجزاء صغيرة ينبغي جمعها، بحيث يعاد تجميعها في النهاية لتشكل صورة واضحة متجانسة. كان الأمر المهم في الوقت الحاضر هو الاختيار والفرز. ارتشف من كوب زهوراته، ثم وضعه أمامه وأسند ذراعيه إلى مسندي الكرسي وترك قطع اللوحة تتتابع واحدة إثر أخرى في عقله، فبمجرد أن يحيط بكل تلك القطع سيتمكن من الاختيار... قطع من السماء الزرقاء، قطع من ضفة النهر الخضراء، وربما قطع مُقلّمة كجلد النمر...

بدأ بترتيب القطع:

«زوجة الأب»، رأى نفسه وقد وضع يده على بوابة، ورأى امرأة التفتت، امرأة تنكبُّ لتقطع الأغصان الضعيفة من شجرة ورد، وتلتفت وتنظر إليه؟ هل كان يوجد أمر له دلالات هناك؟ لا شيء... «رأس ذهبي»، رأس ذهبي فاتح اللون كأنه حقل ذرة له خصلات

مموجة وملتفة من الشعر تكاد تُذكِّر قليلاً بشعر السيدة أوليفر في شكلها. وابتسم قليلاً. ولكن شعر السيدة ريستاريك كان أكثر ترتيباً مما كان عليه حال شعر السيدة أوليفر في أي وقت. إطار ذهبي لوجهها بدا -إلى حدٍّ ما- كبيراً عليها بعض الشيء. تذكّر أن السير روديريك العجوز قد قال إنها مضطرة لوضع باروكة بسبب مرض ألمّ بها، وهو أمر مُحزن بالنسبة لامرأة شابة إلى هذا الحد. شعَرَ الآن -وهو يفكر بالأمر- بأن شيئاً ما كان يبدو ثقيلاً على نحوٍ غير طبيعي في رأسها، أكثر ثباتاً من المعتاد، وأكثر اكتمالاً في ترتيبه. فكّر في باروكة ماري ريستاريك (إن كانت باروكة حقاً؛ لأنه لم يكن واثقاً أبداً من أن بوسعه الاعتماد على السير روديريك). فكر باحتمالات الباروكة ليرى إن كانت لها أية أهمية. راجع الحديث الذي أجراه مع السيدة ريستاريك. هل قالا شيئاً ذا أهمية؟ لم يرَ ذلك. تذكر الغرفة التي ذهبا إليها. غرفةً لا شخصية فيها سُكنت حديثاً في بيت شخص آخر. صورتان على الجدار، صورة امرأة في ملابس رمادية، ذات فم صغير وشفتين مزمومتين وشعر بني علاه الشيب. صورة السيدة ريستاريك الأولى. بدت وكأنها قد تكون أكبر سناً من زوجها. أما صورته فكانت على الجدار المقابل تواجهها. وكانت اللوحتان جيدتين؛ فقد كان لانزبيرغر رساماً بارعاً للصور الشخصية. استقر ذهنه عند صورة الزوج. لم يكن قد رآها بشكل جيد في ذلك اليوم الأول كما رآها بعد ذلك في مكتب ريستاريك...

«أندرو ريستاريك وكلوديا ريسلاند». أفي هذا الصدد شيء؟ أتوجد علاقة أكثر من مجرد علاقة المدير بسكرتيرته؟ لا حاجة لوجود مثل تلك العلاقة. فها هو رجل عاد إلى بلده بعد غياب

سنوات، وليس له أصدقاء مقربون أو أقارب، وقد احتار وقلق بشأن شخصية وسلوك ابنته. وربما كان من الطبيعي تماماً أن يلجأ إلى سكرتيرته الجديدة القديرة طالباً منها اقتراح مكان ما لتعيش به ابنته في لندن. وسيكون ذلك بمثابة معروف منها أن تُسكن الفتاة عندها، خاصة وأنها كانت تبحث عن فتاة ثالثة. فتاة ثالثة... بدا وكأن هذه العبارة التي تعلّمها من السيدة أوليفر تعود إلى عقله، وكأن لها مغزى آخر لم يستطع رؤيته لسبب ما.

دخل خادمه جورج الغرفة وأغلق الباب خلفه بتكتم وقال: لقد جاءتك فتاة يا سيدي... الفتاة التي جاءت سابقاً.

جاءت الكلمات متناسبة جداً مع ما كان بوارو يفكر فيه. اعتدل في جلسته وقد فوجئ وقال: الفتاة التي أتت وقت الإفطار؟

- آه، كلا يا سيدي، أعني الفتاة التي جاءت مع السير روديريك هورسفيلد.

- آه، حقاً؟!

رفع بوارو حاجبيه وقال: أدخلها. أين هي؟

- لقد أدخلتُها إلى غرفة الآنسة ليمون يا سيدي.

- آه، نعم. أدخلها عليّ.

لم تنتظر سونيا إعلان جورج لقدومها، بل سبقته إلى الغرفة بخطوة سريعة توشك أن تكون عدوانية وقالت: لقد كان صعباً عليّ الخروج، ولكني جئتُ لأخبرك بأنني لم آخذ تلك الأوراق. لم أسرق شيئاً... هل تفهمني؟

سألها بوارو: وهل قال أحدٌ إنك أخذتِها؟ اجلسي يا آنسة.

- لا أريد الجلوس. ليس لدي من الوقت إلاّ القليل. جئتُ فقط لأخبرك بأن ذلك غير صحيح إطلاقاً. إنني نزيهة جداً وأفعل ما يُطلب مني.

- أنا أفهم قصدك، أفهمه تماماً. إن أقوالك هي أنك لم تنقلي أية أوراق أو معلومات أو رسائل أو وثائق من أي نوع من بيت السير روديريك هورسفيلد، أليس كذلك؟

- بلى، وقد جئتُ لأخبرك بأن الأمر على هذا النحو. وهو يصدقني ويعرف أنني ما كنتُ لأفعل شيئاً كهذا.

- هذا حسنٌ إذن. هذا بلاغ منك، وقد أخذتُ به علماً.

- أتظن أنك ستعثر على تلك الأوراق؟

- لدي تحقيقات أخرى أنا منشغل بها. ستضطر أوراق السير روديريك لانتظار دورها.

- إنه قلق، قلق جداً. يوجد شيء لا أستطيع قوله له، وسوف أقوله لك. إنه يُضيِّع الأشياء. وتلك الأشياء لا تكون محفوظة في المكان الذي ظنّها فيه. إنه يضعها في... كيف تقولون ذلك... في أماكن غريبة. آه، أعرف، أعرف أنك تشكّ بي. الجميع يشكّون بي لأنني أجنبية؛ لأنني جئت من بلد أجنبي، ولذلك يظنون... يظنون أنني سرقتُ الأوراق السرية كما يحدث في إحدى قصصكم التجسسية السخيفة. وأنا لستُ من هذا النوع. إنني مثقفة.

- آها، من الرائع دوماً أن يعلم المرء. هل لديك شيء آخر تريدين إخباري به؟

- لماذا؟

- من يدري؟

- ما هي تلك القضايا الأخرى التي تحدثتَ عنها؟

- آه، لا أريد تأخيرك، فربما كان هذا يوم عطلتك.

- نعم. لديّ يوم عطلة في الأسبوع أستطيع فيه فعل ما أريد. يمكنني القدوم إلى لندن ويمكنني الذهاب إلى المتحف البريطاني.

- آه، نعم، وإلى فيكتوريا وألبرت أيضاً دون شك.

- هذا صحيح.

- ويمكنك أيضاً الذهاب إلى القاعة الوطنية لرؤية اللوحات. كما يمكنك -في يوم مشمس- الذهاب إلى كينسينغتن غاردنز، بل ربما إلى كيو غاردنز أيضاً.

تصلب جسمها... ورمته بنظرة غاضبة متسائلة وقالت: لماذا تقول كيو غاردنز؟

- لأن في تلك الحديقة بعض النباتات والشجيرات والأشجار الرائعة. آه! ينبغي أن لا يفوتك الذهاب إلى كيو غاردنز؛ فرسوم الدخول زهيدة جداً. أظنها بنساً أو اثنين، ومقابل ذلك يمكنك الدخول ومشاهدة الأشجار الاستوائية، أو يمكنك الجلوس على مقعد وقراءة كتاب.

ثم ابتسم لها لتحييد غضبها، وأثارت اهتمامه ملاحظة أن اضطرابها قد تزايد. مضى قائلاً: ولكن لا ينبغي لي أن أؤخرك يا آنسة. ربما كان لديك أصدقاء تريدين زيارتهم في إحدى السفارات مثلاً.

- لماذا تقول ذلك؟

- ليس من سبب خاص. أنت أجنبية كما تقولين، ومن الممكن تماماً أن يكون لك أصدقاء على علاقة بسفارة بلادك هنا.

- لقد قال لك أحدهم أشياء معينة. لقد ألقى أحدهم اتهامات ضدي! إنني أقول لك إنه عجوز سخيف يُضيع أشياءه ويضعها في غير موضعها. هذا كل ما في الأمر! وهو لا يعرف شيئاً ذا أهمية. وليست لديه أوراق أو وثائق سرية، ولم تكن لديه أبداً.

- آه، ولكنك لا تفكرين تماماً بما تقولينه. إن الزمن يجري كما تعلمين، وقد كان ذات يوم رجلاً مهماً يعرف أشياء مهمة.

- أنت تحاول تخويفي.

- كلا، كلا. لم تبلغ بي الميلودرامية هذا الحد.

- السيدة ريستاريك... السيدة ريستاريك هي التي أخبرتك بالأمور. إنها لا تحبني.

- هي لم تقل ذلك لي.

- حسناً، أنا أيضاً لا أحبها. إنها من نوع النساء اللاتي لا أثق بهن. أظن أن لديها هي أسراراً.

- حقاً؟

- نعم، أظن أن لديها أسراراً تخفيها عن زوجها. أحسبها تذهب إلى لندن أو إلى أماكن أخرى لتقابل رجالاً آخرين... لتقابل رجلاً آخر على الأقل.

- حقاً إن هذا لمثير جداً. أتظنين أنها تذهب لمقابلة رجل آخر؟

- نعم، أظن ذلك. إنها تذهب إلى لندن كثيراً، ولا أحسب أنها تخبر زوجها دوماً، أو أنها تقول إنها تنزل للتبضع وشراء الأشياء وما شابه ذلك من أمور. وهو مشغول في المكتب ولا يفكر في سبب مجيء زوجته إلى لندن. إنها تقضي في لندن أكثر مما تقضيه في الريف. ومع ذلك تتظاهر بحبها لزراعة الحدائق كثيراً.

- أليست لديك فكرة عن هوية ذلك الرجل الذي تقابله؟

- وكيف لي أن أعرف؟ إنني لا ألاحقها. والسيد ريستاريك ليس بالرجل الشكّاك. إنه يصدق ما تقوله له زوجته، وأحسبه يفكر بعمله طوال الوقت. كما أنني أظن أنه قلق على ابنته.

- نعم، إنه قلق على ابنته بالتأكيد. ما هو مدى معرفتك بالابنة؟ هل تعرفينها جيداً؟

- لا أعرفها بشكل جيد. ولكن إن سألتَ عن رأيي... فإنني سأقول لك! أظنها مجنونة.

- تظنينها مجنونة؟ لماذا؟

- إنها تقول أشياء غريبة أحياناً وترى أشياء لا وجود لها.

- ترى أشياء لا وجود لها؟

- ترى أناساً غير موجودين. وأحياناً تكون في غاية الانفعال،

وفي أحيان أخرى تبدو وكأنها في حلم. تتكلم معها فلا تسمع ما تقولُه لها ولا تجيب. أظن أن مِن الناس مَن تتمنى لو كانوا ميتين.

- أتعنين السيدة ريستاريك؟

- بل أعني أباها أيضاً. إنها تنظر إليه كما لو كانت تكرهه.

- ألأنهما يحاولان منعها من الزواج بشاب وقع عليه اختيارها؟

- نعم. إنهما لا يريدان حدوث ذلك. وهما مُحقان تماماً بالطبع، ولكن ذلك يُغضبها.

ثم أضافت سونيا وهي تومئ برأسها بابتهاج: أظن أنها ستقتل نفسها ذات يوم. وأرجو ألا ترتكب مثل هذا العمل الأحمق، ولكن هذا هو ما يفعله المرء عندما يكون غارقاً في الحب كثيراً.

ثم رفعت كتفيها بلامبالاة وقالت: حسناً... سأذهب الآن.

- أخبريني شيئاً واحداً فقط. هل تضع السيدة ريستاريك باروكة؟

- باروكة؟ وكيف لي أن أعرف؟

ثم فكرت للحظة واعترفت قائلة: ربما كانت تضعها، نعم. فهي مفيدة للسفر. كما أنها الموضة السائدة. أنا نفسي أضع باروكة أحياناً. باروكة خضراء! أو أنني كنتُ أضعها.

ثم كررت ثانية: سأذهب الآن.

وذهبت.

* * *

الفصل السادس عشر

في صباح اليوم التالي نهض بوارو عن طاولة إفطاره وانضم إلى الآنسة ليمون معلناً: لدي اليوم الكثير مما يجب أن أفعله. لدي تحقيقات أجريها. هل قمتِ لي بالبحوث والمواعيد والاتصالات المطلوبة؟

قالت الآنسة ليمون: بالتأكيد، وهي كلها هنا.

ثم ناولته حقيبة صغيرة. ألقى بوارو نظرة سريعة على محتويات الحقيبة ثم أومأ برأسه وقال: يمكنني دوماً الاعتماد عليك يا آنسة ليمون. هذا إنجاز خيالي.

- ماذا تقول يا سيد بوارو، أنا لا أرى في الأمر شيئاً خيالياً؛ فلقد أعطيتَني تعليمات فنفذتُها، وهذا أمر طبيعي.

- لا، إنه ليس طبيعياً إلى هذا الحد. ألا أعطي تعليمات إلى عامل الغاز، والكهربائيين، وعمال التصليحات؟ فهل ينفذون تعليماتي دوماً؟ نادراً، بل نادراً جداً ما يفعلون.

ثم مضى إلى الصالة قائلاً لخادمه: أعطني معطفي الأثقل قليلاً

يا جورج. أحسب أن برد الخريف قد بدأ.

ثم عاد فأطل برأسه إلى غرفة سكرتيرته وقال: بالمناسبة، ماذا كان رأيك بالفتاة التي أتت بالأمس؟

قالت الآنسة ليمون باختصار وقد أوقفت أصابعها التي كانت على وشك مهاجمة الطابعة: أجنبية.

- نعم، نعم.

- واضح أنها أجنبية.

- أليس لك أي رأي آخر فيها غير هذا؟

فكرت الآنسة ليمون، ثم أضافت بشيء من الارتياب: ليس لدي وسائل للحكم على قدرتها بأي شكل. لقد بدت منزعجة من أمرٍ ما.

- نعم. يوجد اشتباه بأنها سرقت! ليس مالاً، بل أوراقاً من مُستخدَمها.

- يا إلهي! أهي أوراق مهمة؟

- يبدو هذا محتملاً جداً. مع أن من المحتمل أيضاً بنفس القدر أن لا يكون قد فُقد شيء أبداً.

نظرت الآنسة ليمون إلى مُستخدِمها تلك النظرة الخاصة التي توجهها له دوماً وتعلن فيها أنها ترغب في التخلص منه لكي تنخرط في عملها بطريقتها المحمومة، ثم قالت: آه، حسناً، إنني أقول دوماً إن من الأفضل للمرء أن يعرف موقفه جيداً عندما يريد توظيف أحد،

وأن يوظف البريطانيين.

خرج هيركيول بوارو، وكانت زيارته الأولى إلى بورودين مانشينز. استقل سيارة أجرة، ثم نزل في باحة المُجمّع وأدار نظره في المكان. كان هناك حارس بثياب رسمية يقف عند أحد المداخل وهو يصفر لحناً حزيناً، وعندما اقترب منه بوارو قال: نعم يا سيدي؟

- لقد كنتُ أتساءل إن كان بوسعك أن تخبرني شيئاً عن حادثة مؤسفة جداً وقعت هنا مؤخراً.

- حادثة مؤسفة؟ لا علم لي بحادثة كهذه.

- حادثة امرأة ألقت بنفسها، أو لنقل وقعت من أحد الطوابق العليا، وقُتلت.

- آه، ذاك ما تقصده. لا أعرف شيئاً عن ذلك لأنني لم أعمل هنا إلاّ منذ أسبوع. هاي، اسمع يا جو.

جاء حارس من الجانب الآخر من المجمع، فقال له صاحبه: أنت تعرف بأمر السيدة التي وقعت من الطابق السابع. كان ذلك منذ نحو شهر، أليس كذلك؟

قال الآخر وكان رجلاً كهلاً بطيء الكلام: لم يمر على ذلك كل هذا الوقت. كانت حادثة فظيعة.

سأله بوارو: هل قُتلت على الفور؟

- نعم.

- ماذا كان اسمها؟ وانتبه إلى أنها قد تكون إحدى قريباتي.

قال بوارو ذلك، إذ لم يكن رجلاً يجد وازعاً يرده عن الابتعاد عن الحقيقة. أجابه الحارس: آه يا سيدي. يؤسفني جداً سماع ذلك. كانت تدعى السيدة تشاربنتير.

- أكانت قد أمضت فترة طويلة في الشقة؟

- دعني أتذكر. نحواً من عام... أو عام ونصف. كلا، أحسب أنها تسكن هنا منذ نحو عامين دون شك. كانت في الشقة ٧٦، في الطابق السابع.

- وهو آخر طابق؟

- نعم يا سيدي. السيدة تشاربنتير.

لم يُلح بوارو على أية معلومات وصفية إضافية، إذ يُفترض أن يعرف مثل هذه الأمور عن قريبته. وبدلاً من ذلك سأل: هل سبّبَ ذلك الكثير من الانفعال والكثير من التساؤلات؟ في أي وقت من النهار حدث ذلك؟

- أظنه كان في الخامسة أو السادسة صباحاً. دون إنذار أبداً. لم نجدها إلاّ وهي تهوي فوراً. ورغم الوقت المبكر فقد اجتمع حشد من الناس على الفور تقريباً وهم يتدافعون من خلال السياج هناك. أنت تعرف طبيعة الناس.

- والشرطة طبعاً.

- آه، نعم، لقد جاء الشرطة بسرعة، كما جاء طبيب وسيارة إسعاف، وكل الجوقة المعتادة.

قال الحارس ذلك بنبرة سَئِمةٍ لرجلٍ اعتاد الناس عنده أن يرموا أنفسهم من نوافذ الطابق السابع مرة أو مرتين شهرياً. قال له بوارو: وأحسب أن الناس نزلوا من الشقق عندما سمعوا بما حدث.

- لا، لم ينزل كثيرون من الشقق لأن أغلبهم لم يعرفوا بالأمر بسبب ضجة المرور هنا. وقد قال أحدهم إنها أطلقت صرخة وهي تهوي، ولكن لم تكن بالصرخة التي سببت أية فوضى حقيقية. لم يرَ حدوث الأمر إلاّ أناس كانوا مارين في الشارع. وبعدها -طبعاً- مدوا أعناقهم فوق السياج، ورآهم آخرون يُطِلّون فانضموا إليهم. أنت تعرف طبيعة الحوادث!

أكد له بوارو أنه يعرف طبيعة الحوادث، ثم سأله متعمداً أن تكون عبارته نصف سؤال: كانت تعيش وحيدة؟

- هذا صحيح.

- ولكني أحسب أنه كان لها أصدقاء بين ساكني الشقق الآخرين؟

رفع جو كتفيه وهزّ رأسه وقال: ربما كان لها. لا يمكنني الجزم؛ فلم أرها كثيراً في المطعم مع أيٍّ من سكاننا هنا. كانت تأتي بأصدقاء خارجيين لتناول العشاء هنا أحياناً. كلا، ما كنتُ لأقول إنها كانت صديقة حقاً لأحد هنا.

ثم قال جو وهو يغدو متململاً قليلاً: من الأفضل أن تذهب وتتحدث مع السيد ماكفارلين المسؤول هنا إن كنتَ تريد معرفة شيء عنها.

- آه، شكراً لك. نعم، هذا هو ما أنوي فعله.

- مكتبه في ذلك المُجمّع هناك يا سيدي، في الطابق الأرضي. وسوف ترى اسمه مكتوباً على الباب.

اتبع بوارو التعليمات التي أُعطيت له. أخرج من حقيبته الصغيرة الرسالة الأولى التي زودته بها الآنسة ليمون والتي كان مكتوباً عليها «السيد ماكفارلين». وقد ظهر أن السيد ماكفارلين رجل وسيم بادي الذكاء في نحو الرابعة والخمسين من عمره. سلّمه بوارو الرسالة ففتحها وقرأها ثم قال: آه، نعم، فهمت.

ثم عاد فوضعها على الطاولة ونظر إلى بوارو وقال: لقد أوصاني أصحاب المُلك بأن أمنحك أية مساعدة ممكنة في شأن الوفاة المؤسفة للسيدة لويز تشاربنتير. والآن، ما هو الذي تريد معرفته بالضبط يا سيد...

ثم نظر إلى الرسالة ثانية وقال: ... يا سيد بوارو؟

- هذا سري تماماً بالطبع. لقد اتصل الشرطة بأقاربها، ولكن بما أنني كنتُ قادماً إلى إنكلترا، فقد كانوا حريصين على أن أحصل على بعض الحقائق الشخصية الإضافية، إن كنتَ تفهم قصدي.

- نعم، هذا صحيح. نعم، إنني أفهم تماماً أن الأمر كذلك بالتأكيد. حسناً، سأخبرك بكل ما أستطيعه.

- كم مرّ على وجودها هنا، وكيف حدث أن استأجرت الشقة؟

- لقد سكنَتْ هنا نحو عامين، وأستطيع أن أنظر لك التاريخ الضبط. كانت الشقة ستفرغ، ويخيل إليّ أن السيدة التي كانت على

وشك المغادرة -وكانت تعرفها- أخبرتها مسبقاً بأنها ستترك الشقة.

- هل وجدت فيها ساكنة مناسبة؟

ظهر تردد خفيف جداً قبل أن يجيب السيد ماكفارلين: كانت ساكنة مُرضية، نعم.

- ينبغي أن لا تتحرج من إخباري. كانت تجري عندها حفلات صاخبة، أليس كذلك؟ لنقل إنها كانت مفرطة قليلاً في لهوها.

توقف السيد ماكفارلين عن تكتمه وقال: كانت تأتينا بعض الشكاوى من وقت لآخر، ولكنها أتت غالباً من الناس المُسنين.

ابتسم بوارو ابتسامة ذات مغزى، فيما أكمل الرجل: كانت مولعة قليلاً بالشراب، نعم... وكانت معها ثُلّة لاهية مستهترة. وقد أدى ذلك إلى بعض المتاعب بين حين وآخر.

- وهل كانت مولعة بالرجال؟

- الحقيقة أنني لا أحب الذهاب إلى هذا المدى.

- نعم، نعم، ولكن المرء يفهم.

- لم تكن شابة كثيراً بالطبع.

- إن المظاهر خداعة غالباً. كم تحسب عمرها كان؟

- من الصعب الجزم. كانت في الأربعينيات، ولكن صحتها لم تكن جيدة.

- هذا ما فهمتُه.

- كانت تشرب كثيراً.. هذا ما لا شك فيه. وبعد ذلك تصبح

مكتئبة جداً وتشعر بالأسى على نفسها. وأحسبها كانت تذهب دوماً إلى الأطباء ولا تصدق ما يقولونه لها. إن النساء يُصبن بالوسواس في عقولهن أحياناً... خاصة في مثل هذه المرحلة من حياتهن. كانت تظن أنها مصابة بالسرطان... بل كانت واثقة تماماً من ذلك. وقد طمأنها الطبيب، ولكنها لم تصدقه. لقد قال في جلسة التحقيق إنها لم تكن تعاني حقاً من شيء. يسمع المرء بأمور كهذه كل يوم. وقد أزّمت نفسها للنهاية، وفي صباح يوم جميل...

ثم أومأ برأسه، فقال بوارو: إنه أمر محزن جداً. هل كانت لها أية صداقات خاصة بين ساكني الشقق؟

- لا أعرف لها صداقات هنا. فهذا المكان -كما تعلم- ليس من النوع الذي يسمح بتكوين ألفة وصداقة؛ فساكنوه -في الغالب- أناس يعملون وهم منشغلون في وظائفهم.

- لقد كنتُ أفكّر بالآنسة كلوديا ريسلاند، وقد تساءلتُ إن كانت إحداهما تعرف الأخرى.

- الآنسة ريسلاند؟ كلا، لا أظن ذلك. أعني أنه ربما كانت بينهما مجرد معرفة عابرة، تتحدثان عندما تركبان معاً في المصعد، أو ما شابه ذلك. ولكن لا أظن أنه كانت بينهما أية علاقة اجتماعية من أي نوع. إنهما من جيلين مختلفين تماماً. أعني...

بدا السيد ماكفارلين مرتبكاً قليلاً. وتساءل بوارو عن السبب.

قال بوارو: أظن أن إحدى الفتاتين اللتين تشاركان الآنسة ريسلاند شقتها كانت تعرف السيدة تشاربنتير... الآنسة نورما ريستاريك.

- أحقاً؟ ما كنتُ لأعرف ذلك. إنها لم تأتِ إلى المجمع إلاّ مؤخراً، ولا أكاد أميِّزها بالشكل. تبدو شابة خائفة بعض الشيء. لا أحسب إلاّ أنها قد تخرجت حديثاً من مدرستها.

ثم أضاف: هل من شيء آخر أستطيع تقديمه لك يا سيدي؟

- لا، شكراً لك. لقد كنتَ في غاية اللطف. أتساءل إن كان بوسعي أن أرى الشقة. حتى أستطيع فقط القول...

توقف بوارو، دون أن يحدد ما الذي يريد أن يتمكن من قوله.

- حسناً، دعني أرَ. لقد استأجر الشقة الآن رجل يدعى السيد ترافرز، وهو يقضي اليوم كله في المدينة. نعم، تعال معي إن كنت تريد يا سيدي.

صعدا إلى الطابق السابع. وبينما السيد ماكفارلين يُدخل مفتاحه وقع أحد الأرقام عن الباب وكاد يصيب حذاء بوارو الجلدي. ابتعد قليلاً بهدوء، ثم انحنى ليأخذه. أعاد المسمار الذي يثبته إلى مكانه في الباب بكل حذر وقال: هذه الأرقام مرتخية سائبة.

- إنني آسف جداً يا سيدي. سوف أسجل ملاحظة بهذا الشأن. نعم، إنها ترتخي من وقت لآخر. حسناً، ها هي الشقة.

دخل بوارو إلى غرفة المعيشة. ولم تكن لها -في هذه اللحظة- أية شخصية مميّزة. كانت الجدران مغطاة بورق ذي منظر كمنظر الخشب المُعرّق. وكان فيها أثاث تقليدي مريح، وكانت اللمسة الشخصية الوحيدة فيها عبارة عن جهاز تلفاز ومجموعة من الكتب.

قال السيد ماكفارلين: جميع الشقق مفروشة جزئياً كما ترى. لا يحتاج الساكنون لإحضار أي شيء معهم ما لم يختاروا هم ذلك. إننا نقدم الكثير للناس الذين يجيئون ويذهبون.

- وهل الديكورات كلها موحدة؟

- ليس كلياً. يبدو أن الناس يحبون ما يُخلِّفه منظر الخشب الخام هذا من تأثير؛ فهو يشكل خلفية جيدة للصور. الأشياء الوحيدة المختلفة هي هذه على الجدار الذي يواجه الباب. فلدينا مجموعة كاملة من اللوحات الجدارية التي يستطيع الساكنون اختيار واحدة منها.

ثم أضاف بشيء من الفخر: لدينا مجموعة من عشرة مناظر. اللوحة اليابانية كهذه... ألا تظن أنها على درجة عالية من الذوق؟ ولوحة الحديقة الإنكليزية، ولوحة رائعة جداً عليها طيور، وأخرى لأشجار، ولوحة لمهرج مُقنّع، وأخرى ذات تأثير تجريدي لا يخلو من متعة... من خطوط ومكعبات بألوان تتعاكس على نحو بهيج، ومثل هذه الأمور. وكلها مخططات وضعها فنانون جيدون. أما أثاثنا فكله مُوحّد. ولدينا خياران فيما يتعلق باللون، ويمكن للناس طبعاً أن يضيفوا ما يحلو لهم من أثاثهم. ولكنهم لا يهتمون لذلك عادة.

- يمكنك القول إن أكثرهم ليسوا من بُناة البيوت إذا صح التعبير.

- نعم، إنهم أقرب إلى نوع الطيور المهاجرة، أو أنهم أناس مشغولون لا يريدون إلاّ الراحة الثابتة والتمديدات الصحية الجيدة وغير ذلك، ولكنهم ليسوا مهتمين بشكل خاص بالديكور، رغم أن لدينا واحداً أو اثنين من النوع الذي يفضل عمل كل شيء بنفسه، الأمر الذي لا نحبذه نحن كثيراً. وقد اضطررنا لوضع شرط في عقد

الإيجار يقول إن عليهم أن يعيدوا كل شيء إلى الحالة التي استلموه عليها... أو يدفعوا أجرة إعادته.

بدا أنهما يبتعدان قليلاً عن موضوع وفاة السيدة تشاربنتير. اقترب بوارو من النافذة وتمتم بهدوء: من هنا كانت؟

- نعم، هذه هي النافذة. النافذة اليسرى. ولها شرفة.

نظر بوارو إلى الأسفل وقال: سبعة طوابق. مسافة سحيقة.

- نعم، ويسعدني القول إن الوفاة كانت فورية. ربما كان ذلك حادثاً بالطبع.

هزّ بوارو رأسه بالنفي وقال: لا يمكنك اقتراح ذلك جدياً يا سيد ماكفارلين. لا بد أنه كان أمراً متعمداً.

- الحقيقة أن المرء يحب دوماً اقتراح الإمكانية الأسهل. أخشى أنها لم تكن امرأة سعيدة.

- شكراً لك على شديد لطفك. سأكون قادراً على إعطاء صورة واضحة جداً لأقربائها في فرنسا.

لم تكن صورة ما حدث واضحة لديه تماماً كما كان يرجو لها. وحتى الآن لم يظهر شيء يدعم نظريته القائلة إن موت السيدة تشاربنتير كان مهماً. كرر اسمها الأول متأملاً. لويز... لماذا يكون لاسم لويز ذكرى لا تنفك تلحُّ عليه؟ هزّ رأسه، وشكر السيد ماكفارلين وخرج.

* * *

الفصل السابع عشر

كان كبير المفتشين نيل جالساً خلف مكتبه ويبدو رسمياً جداً، وقد حيّا بوارو بأدب ودعاه إلى الجلوس مشيراً إلى كرسي. وما أن غادر الغرفة ذلك الشاب الذي أعلن وصول بوارو حتى تغير سلوك كبير المفتشين نيل وقال: وما الذي تسعى خلفه الآن أيها العجوز المتكتم؟

أجابه بوارو: أما هذا فأنت تعرفه.

- آه، نعم، لقد حضّرتُ بعض المعلومات، ولكن لا أظن أنه يوجد الكثير مما يمكن لك الحصول عليه من ذلك الجُحر تحديداً.

- لماذا تسميه جُحراً؟

- لأنك تشبه تماماً صائد فئران ماهراً... كأنك قطٌّ يقف أمام جُحرٍ منتظراً خروج الفأرة. ولئن سألتَني لقلتُ إنه لا توجد أي فأرة في هذا الجُحر بعينه، وإن لم أقُلْ إنك لن تستطيع استخراج بعض الصفقات المريبة؛ فأنت تعرف طبيعة أصحاب الأموال هؤلاء. أحسب أن في صفقات التعدين وامتيازات النفط الكثير من أعمال

الخداع وغير ذلك، ولكن شركة جوشوا ريستاريك المحدودة ذات سمعة جيدة. إنها شركة عائلية... أو هكذا كانت، فأنت لا تستطيع تسميتها عائلية الآن؛ إذ لم يكن لسايمون ريستاريك أي أطفال، وليس لأخيه أندرو إلاّ هذه الفتاة. كانت توجد خالة عجوز من طرف الأم، وقد عاشت ابنة أندرو ريستاريك معها بعد مغادرتها للمدرسة وبعد وفاة أمها، ولكنها ماتت بنوبة قلبية قبل نحو ستة أشهر. لقد كان سايمون ريستاريك نموذجاً واضحاً لرجل الأعمال الذكي، وكانت له زوجة ودودة، وقد تزوجا في وقت متأخر قليلاً من حياتهما.

- وأندرو؟

- يبدو أن أندرو كان يعاني من هوس التنقل والسفر، ولكن لا يُعرف عنه شيء يدينه. وهو لم يستقر في أي مكان لفترة طويلة، فقد تنقل بين جنوب أفريقيا وكينيا وأمريكا الجنوبية والكثير من الأماكن الأخرى. وقد ضغط عليه أخوه أكثر من مرة ليعود، ولكنه لم يستجِبْ. لم يكن يحب لندن ولم ينسجم بالتجارة، ولكنه كان يملك -فيما يبدو- موهبة عائلة ريستاريك في ربح المال، وقد سعى وراء الاستثمار بالمعادن. لم يكن صائد أفيال أو عالم آثار أو مهتماً بالنباتات أو غير ذلك من الأمور، بل كانت كل معاملاته تجارية، وكانت تنتهي دوماً نهايات مربحة.

- إذن فهو أيضاً تقليدي بطريقته الخاصة؟

- نعم، هذه عبارة تنطبق عليه. لا أدري ما الذي جعله يعود إلى إنكلترا بعد وفاة أخيه. ربما كان ذلك بتأثير زوجته الجديدة... فقد تزوج امرأة ثانية، وهي امرأة جميلة أصغر منه بكثير، وهما يعيشان

حالياً في بيت العجوز السير روديريك هورسفيلد، ولكنني أظن أن إقامتهما مؤقتة هناك. هل في هذه المعلومات جديدٌ بالنسبة لك، أم أنك تعرفها كلها بالفعل؟

- لقد سمعتُ بغالبيتها. هل في العائلة أي عرق جنون من ناحية الأب أو الأم؟

- لا أظن ذلك.

- كل ما يمكنك أن تخبرني به -إذن- هو أن لدى العائلة الكثير من المال.

- نعم، وكله جُني بأساليب محترمة. واعلَمْ أن بعض هذا المال هو مما أدخله أندرو ريستاريك في الشركة؛ من امتيازات في جنوب أفريقيا واستثمارات معدنية. وأحسب أن مبالغ مالية ضخمة ستنشأ عندما يتم تطوير ذلك كله ودخوله إلى السوق.

- ومن سيرث كل هذا المال؟

- هذا يعتمد على كيفية توزيع أندرو ريستاريك له في وصيته؛ فالأمر عائد له، ولكنني أظن أنه ما من شخص محدد واضح باستثناء زوجته وابنته.

- إذن فهما سترثان مبالغ هائلة من المال ذات يوم؟

- أظن ذلك.

- ألا توجد -مثلاً- امرأة أخرى قد يكون مهتماً بها؟

- لا نعرف شيئاً من هذا، ولا أظنه محتملاً. إن له زوجة

جديدة جميلة.

قال بوارو متأملاً: أيمكن لشاب أن يعرف ذلك كله بسهولة؟

- هل تعني أن يعرف ذلك ويتزوج الفتاة؟ لا شيء سيمنعه، حتى لو وُضعت الفتاة تحت وصاية المحكمة أو غير ذلك. وبوسع والدها -طبعاً- أن يحرمها من الإرث عندئذ.

نظر بوارو إلى قائمةٍ كُتبت بشكل مُرتّب في يده وقال: ماذا عن قاعة ويديربيرن الفنية؟

- أتساءلُ كيف توصلت إلى هذا المكان. هل استشارك زبون بقضية انتحال وتزوير؟

- وهل يتعاملون هناك بالتزوير؟

قال كبير المفتشين نيل: لا، إنهم لا يتعاملون بالتزوير، ولكن وقعت هناك حادثة سيئة إلى حدٍّ ما. فقد كان مليونير من تكساس يشتري لوحات هناك مقابل مبالغ خيالية، وقد باعوه لوحة لرينوار وكانت لوحة صغيرة لرأس فتاة، وقد ثارت حولها بعض التساؤلات وجاء العديد من خبراء الفن وأعطوا أحكامهم. والحقيقة أن شهاداتهم بدت -في النهاية- وكأن بعضها يناقض بعضاً كالعادة. وقد عرضت القاعة أن تستعيد اللوحة، ولكن المليونير لم يغير رأيه؛ إذ أن الخبير الذي يثق به أقسم أنها لوحة حقيقية تماماً. ورغم ذلك ظل قليلٌ من الشبهات يدور حول القاعة منذ ذلك الحين.

نظر بوارو ثانية إلى قائمته وقال: وماذا عن ديفيد بيكر؟ هل استطلعتَ لي أمره؟

- آه، إنه واحد من تلك المجموعات المعتادة من الأشقياء؛ ممن يتجولون على شكل عصابات ويعيشون على المُنبِّهات والمخدرات وتذهب عقول الفتيات خلفهم. إنه من النوع الذي تنوح عليه الفتيات قائلات إن حياته كانت صعبة جداً، وإنه عبقري رائع، وإن رسوماته لا تلقى من يُقدِّرها!

راجع بوارو قائمته مرة أخرى وقال: هل تعرف شيئاً عن عضو البرلمان السيد ريسلاند؟

- إنه يتقدم بشكل جيد من الناحية السياسية. لديه موهبة الفصاحة بالتأكيد، وقد جمع أموالاً كثيرة بوسائل لا تخلو من شبهة.

وصل بوارو إلى نقطته الأخيرة فقال: وماذا عن السير روديريك هورسفيلد؟

- عجوز لطيف طيب، ولكنه خرِف. يا لهذا الأنف الذي تملكه يا بوارو، أنت تدسه في كل مكان، أليس كذلك؟ بلى، لقد كان في «الفرع الخاص» الكثير من المتاعب. إنه هذا الهوس الجديد بكتابة المذكرات. لا أحد يعرف ما هي الأسرار التي ستُكتشَف غداً؛ فكل الرجال العجائز الذين كانوا في الخدمة يتبارون بشدة لإخراج نُسخهم الخاصة مما يتذكرونه عن حماقات الآخرين! هذا لا يهم كثيراً في العادة، ولكن أحياناً... كما تعلم، تبدل الوزارات سياساتها، ولا يريد المرء إثارة حساسيات شخص ما أو كشف شيء في غير محله، وهكذا نضطر لمحاولة إسكات العجائز، وبعضهم لا يكون سهلاً. عليك أن تذهب إلى «الفرع الخاص» إن كنتَ تريد دسّ أنفك

في أيٍّ من هذه المسائل. لا أظن أن خطأً كبيراً قد وقع. المشكلة أنهم لا يُتلفون الأوراق التي ينبغي عليهم إتلافها، بل يحتفظون بها. ولكن لا أحسب أن في ذلك كثيراً من الأهمية، وإن كنا نملك دليلاً على أن قوة معيّنة تتشمم الأخبار.

تنهد بوارو بعمق، فسأله كبير المفتشين: ألم أكن ذا فائدة؟

- أنا سعيد جداً لحصولي على المعلومات من مصدر رسمي، ولكن لا أظن أن فيما أخبرتَني به الكثير مما يساعدني.

تنهد ثانية ثم قال: ماذا سيكون رأيك إن أخبرك أحدهم بشكل عرضي أن امرأة، بل شابة حسناء، تضع باروكة؟

قال كبير المفتشين نيل: "ليس في ذلك شيء"، ثم أضاف بقليل من الحدة: إن زوجتي تضع باروكة كلما سافرنا؛ فهي توفر الكثير من المتاعب.

- أستميحك العذر.

وعندما كان الرجلان يتبادلان عبارات الوداع سأل كبير المفتشين نيل: أحسب أنك استلمتَ كل المعلومات عن قضية الانتحار تلك التي كنتَ تسأل عنها في الشقق، أليس كذلك؟ لقد جعلتهم يرسلونها لك.

- بلى، شكراً لك. إنها الحقائق الرسمية على الأقل... تقرير بالحقائق المجردة.

- لقد كنتَ تتحدث عن شيء قبل قليل ذكّرني بهذا الموضوع...

سأتذكره خلال ثوانٍ. كانت تلك هي القصة المعتادة والمحزنة نوعاً ما: امرأة مستهترة، لديها من المال ما يكفي عيشها، وليست لها هموم خاصة، تشرب الكثير وتتقدم في السن. وبعد ذلك يصيبها ما أسميه «وسوسة الصحة». إنهن يقتنعن بأن لديهن سرطاناً ويستشرنَ طبيباً فيخبرهن بأنهن في أفضل حال، فيذهبن إلى بيوتهن دون أن يصدقنه. ولو أردتَ رأيي لقلتُ إن السبب دوماً هو أنهن يشعرن أنهن لم يعدن جميلات في أعين الرجال كما كُنّ من قبل. هذا هو حقاً ما يثير لديهن الكآبة. نعم، إن هذا يحدث طوال الوقت، وأحسب أن أولئك البائسات يحسسن بالوحدة. لقد كانت السيدة تشاربنتير واحدة منهن، ولا أحسب أن أياً...

توقف فجأة وقال: آه، تذكرت... لقد كنتَ تسألني عن أحد أعضاء برلماننا، ريسلاند. إنه هو الآخر مستهتر، ولكن بصورة سرية وتكتم بالغ، وقد كانت لويز تشاربنتير صديقة له يوماً ما. هذا كل ما في الأمر.

- أكانت علاقة جدية؟

- آه، ما كنتُ لأقول ذلك. لقد ذهبا معاً إلى بعض النوادي المريبة قليلاً، وما شابه ذلك من تصرفات. أنت تعلم أننا نُبقي أعيننا على مثل هذه الأمور بشكل سري.

- فهمت.

- استمرت العلاقة لفترة قصيرة، وشوهدا يدخلان ويخرجان معاً نحواً من ستة أشهر. ولا أظنها كانت الوحيدة، كما لا أظنه كان

الوحيد أيضاً، ولذلك لا يمكنك الوصول من ذلك إلى شيء، أليس كذلك؟

- بلى.

ولكن بوارو قال لنفسه وهو ينزل الدرج: ولكن مع ذلك فإنها صلة. إنها تفسر حرج السيد ماكفارلين. إنها صلة صغيرة، صلة بين إيملين ريسلاند عضو البرلمان، ولويز تشاربنتير. ربما كانت لا تعني شيئاً، ولماذا تعني شيئاً؟ ولكن مع ذلك... إنني أعرف الكثير... أعرف الكثير. أعرف شيئاً عن كل الأمور وكل الأشخاص، ولكنني لا أستطيع الحصول على النمط الذي أريده. نصف هذه الحقائق لا شأن لها بالأمر. إنني أريد نمطاً... نمطاً.

قال العبارة الأخيرة بصوت عالٍ وقد استبد به الغضب، فقال له عامل المصعد وهو يلتفت إليه بدهشة: عفواً، ماذا قلت يا سيدي؟

- لا شيء.

* * *

الفصل الثامن عشر

توقف بوارو قليلاً عند مدخل قاعة ويديربيرن ليتأمل لوحة تصور ثلاث بقرات عدوانية الشكل ذوات أجسام طويلة جداً يخيم عليها ظل مطحنة هوائية ضخمة معقدة التصميم. وبدا أن موضوعي اللوحة هذين لا رابط بينهما البتة، ولا رابط بينهما وبين اللون الوردي الغريب جداً.

جاءه صوت خافت من الخلف يقول: ممتعة، أليس كذلك؟

التفت فرأى إلى يمينه من الخلف رجلاً في أواسط عمره بدا لأول وهلة أنه ابتسم ابتسامة أظهرت عدداً كبيراً من الأسنان الجميلة البيضاء. عاد الرجل يقول: فيها الكثير من الجِدة والحيوية.

كانت له كفّان ضخمتان سمينتان بيضاوان يلوح بهما، وقال: كان معرضاً موفقاً... انتهى في الأسبوع الماضي. وقد افتُتح معرض كلود رافائيل يوم أمس الأول، وسوف ينجح تماماً، سينجح نجاحاً باهراً حقاً.

قال بوارو: "آه". وسمح للرجل بأن يقوده عبر ستائر من المخمل الرمادي إلى قاعة طويلة. وشعر بوارو بوضوح بأنه أمام

شخص لا ينبغي أن يُثار خوفه بحيث يهرب؛ كان رجلاً ذا تجربة واسعة في فنون البيع، وتكاد تشعر فوراً بأنك موضع ترحيب في قاعته طوال النهار إن أحببتَ، دون أن تشتري شيئاً. وبعد أن تلقى بوارو بعض المعلومات الفنية المفيدة أدلى بما في جعبته من تعليقات الهُواة المكرورة: "لقد أحببتُ تلك اللوحة"، وأجابه السيد بوسكوم مُشجعاً: "من المثير أن تقول ذلك؛ فهذا يُظهر بصيرة عظيمة النفاذ؛ لقد أمسكتَ بجودة العمل. كان من شأني أن أقول شخصياً (وهذا بالطبع رأيي الشخصي فقط) إن هذه واحدة من روائع رافائيل".

وإذ أدرك بوارو أن علاقة طيبة قد ترسخت، وأن بوسعه أن يأخذ من الوقت ما يحلو له، قال لصاحبه: أظن أن آنسة تدعى فرانسيس كاري تعمل لديكم؟

- آه، نعم، فرانسيس. إنها فتاة ذكية شديدة التعلق بالفن. لقد عادت لتوها من البرتغال حيث كانت تُعدُّ لمعرض فني لنا. إنها ناجحة جداً، وهي نفسها فنانة جيدة، ولكنها ليست مُبدعة كثيراً، إن كنتَ تفهم قصدي. إنها مهتمة بجيل الشباب، وقد أقنعتني في الربيع الماضي بإقامة معرض لمجموعة صغيرة من الفنانين الشباب. وكان العرض ناجحاً تماماً، وقد احتفت به الصحافة... ولكن بمستوى متواضع. نعم، إن لديها مَنْ ترعاهم.

- أما أنا فمن الطراز القديم إن كنتَ تفهمني، وبعض هؤلاء الشباب... حقاً!

ثم رفع يديه في إشارة ذات مغزى، فقال السيد بوسكوم بمحبة: آه، لا يجب أن تحكم عليهم بمظاهرهم. إنها مجرد موضة كما تعلم... مجرد فترة عابرة وتنتهي.

- أحسب أنه يوجد رجل اسمه ديفيد يبدو أن الآنسة كاري تُقدِّره كثيراً.

- أأنت متأكد من أنك لا تقصد بيتر كارديف؟ فهو الذي ترعاه فرانسيس حالياً. رغم أنني لست واثقاً تماماً من قدراته كثقتها هي. إنه ليس طليعياً حقاً وأسلوبه يشبه كثيراً أسلوب بيرنز وجونز، ومع ذلك، لا يدري المرء؟

- وماذا عن ديفيد... ديفيد بيكر؟

قال السيد بوسكوم بحماسة: إنه ليس سيئاً. رغم أنني أرى أنه لا يملك الكثير من الأصالة. لقد كان واحداً من مجموعة الفنانين التي ذكرتُها، ولكنه لم يُخلِّف أي انطباع محدد. رسام جيد، ولكنه ليس مُلفتاً للنظر، كل عمله هو التقليد!

عاد بوارو إلى بيته. وجاءته الآنسة ليمون برسائل ليوقِّعها، وغادرته وقد وُقِّعت الرسائل حسب الأصول. وقد قدم له جورج طبقاً من العجة. وبعد الغداء، وفيما كان بوارو يريح نفسه في كرسيه الوثير ذي المسند المربع وقهوته إلى يمينه، رنّ جرس الهاتف.

قال جورج وهو يرفع الهاتف ويضعه أمام بوارو: إنها السيدة أوليفر يا سيدي.

رفع بوارو السماعة متردداً، فلم يكن يريد الحديث مع السيدة أوليفر؛ إذ شعر بأنها ستفرض عليه شيئاً لا يحب القيام به.

- السيد بوارو؟

- نعم، هذا أنا.

- ما الذي تفعله؟ ماذا فعلت؟

- إنني أجلس في هذا الكرسي، وأفكر.

- أهذا كل شيء؟

- إنه الأمر المهم، ولا أدري إن كنتُ سأنجح فيه أم لا.

- ولكن يجب عليك أن تجد تلك الفتاة، فربما تكون قد اختُطفت.

- هكذا يبدو الأمر بالتأكيد. ومعي الآن رسالة وصلتني في بريد الظهر من أبيها يحثني فيها على الذهاب لرؤيته وإبلاغه بالتقدم الذي أحرزتُه.

- حسناً، وما هو التقدم الذي أحرزتَه؟

قال بوارو بتردد: في الوقت الحالي، لا شيء.

- ما هذا يا سيد بوارو؟ يجب -فعلاً- أن تتدارك نفسك.

- ماذا تقصدين بإلحاحك عليّ؟

- لماذا لا تذهب إلى ذلك المكان في تشيلسي حيث ضُربتُ على رأسي؟

- لأنال ضربة على رأسي أنا الآخر؟

- أنا لا أفهمك أبداً. لقد أعطيتُك طرف خيط بعثوري على الفتاة في المقهى... أنت قلتَ ذلك.

- أعرف، أعرف.

- ماذا عن تلك المرأة التي ألقت بنفسها من النافذة؟ ألم تصل إلى شيء من هذه الحادثة؟

- لقد قمتُ بتحريات عنها، بلى.

- وماذا وجدت؟

- لا شيء. إنها امرأة كالكثيرات غيرها... نساء يكنّ جميلات وهنّ شابات، ثم يصبحن أقل جمالاً، ويصيبهن الحزن فيشربن كثيراً، ثم يحسبن أن لديهن سرطاناً أو مرضاً قاتلاً غيره، وهكذا يدفعهن اليأس والوحدة أخيراً إلى إلقاء أنفسهن من النوافذ!

- لقد قلتَ إن وفاتها مهمة... وإنها تعني شيئاً ما.

- كان يجب أن تعني شيئاً ما.

قالت السيدة أوليفر: "عجباً والله!"، ثم أقفلت الخط بعد أن أعياها العثور على تعليق آخر.

استند بوارو إلى الخلف في كرسيه قدر الإمكان؛ إذ كان الكرسي منتصب الظهر بطبيعته، ثم أشار لجورج كي يرفع آنية القهوة والهاتف، وشرع يفكر فيما يعرفه وفيما لا يعرفه. وحتى يوضّح أفكاره أخذ يتحدث بصوت عالٍ. تذكر ثلاثة أسئلة فلسفية: ما الذي أعرفه؟ وما الذي يمكنني أن آمله؟ وماذا يجب أن أفعل؟

لم يكن واثقاً ممّا إذا كان قد تذكرها بترتيبها الصحيح، أو إن كانت في الحقيقة هي الأسئلة المناسبة، ولكنه أخذ يفكر فيها.

قال لنفسه وهو في لُجّة يأسه: "ربما كنتُ فعلاً كبيراً جداً... ما الذي أعرفه؟".

وبعد التفكير رأى أنه يعرف الكثير! ترك هذا السؤال جانباً مؤقتاً.

ما الذي يمكنني أن آمله؟ حسناً، إن بوسع المرء دائماً أن يأمُل. يمكنه أن يأمُل أن يستطيع عقله الممتاز هذا (المتفوق كثيراً على عقول الجميع) أن يخرج عاجلاً أم آجلاً بحلٍ لمشكلةٍ شعَرَ -بكثير من عدم الارتياح- أنه لا يفهمها حقاً.

ماذا يجب أن أفعل؟ كان هذا سؤالاً مُحدداً تماماً. ما يجب أن يفعله هو زيارة السيد أندرو ريستاريك الذي كان واضحاً أنه قلق على ابنته، والذي سوف يلوم بوارو -دون شك- لأنه لم يأت بالابنة حتى الآن. يمكن لبوارو أن يفهم ذلك، وأن يتعاطف مع وجهة نظر الأب، ولكنه كره تقديم نفسه في هذا الإطار السلبي جداً. الأمر الوحيد الآخر الذي يستطيع فعله هو أن يتصل هاتفياً برقم معين ويسأل عن آخر التطورات.

ولكن قبل أن يفعل ذلك، سيعود إلى السؤال الذي وضعه جانباً: ماذا أعرف؟

لقد عرف أن قاعة ويديربيرن كانت محلّ شكوك... لقد بقيت حتى الآن في الجانب القانوني الآمن، ولكن القائمين عليها لن يترددوا في الاحتيال على الجاهلين من أصحاب الملايين وبيعهم لوحات مشبوهة.

تذكر السيد بوسكوم بيديه البيضاوين السمينتين وأسنانه

الكثيرة، وقرر أنه لم يرتَح له. لقد كان رجلاً ممن يميلون -بشكل يكاد يكون مؤكداً- للأعمال القذرة، رغم أن من شأنه -دون شك- أن يحمي نفسه بشكل جيد جداً. وهذه حقيقة قد تُصبح مفيدة لأنها قد ترتبط بديفيد باركر. ثم إن لدينا ديفيد باركر نفسه، الطاووس. ماذا يعرف عنه؟ لقد قابله، وتحدث معه، وشكّل آراء معينة عنه. إن من شأنه أن يقدم على أي نوع من الصفقات المنحرفة من أجل المال، من شأنه أن يتزوج وريثة غنية لمالها وليس بسبب الحب، بل ربما أمكن شراؤه... نعم، ربما أمكن شراؤه. وإن أندرو ريستاريك يرى ذلك بالتأكيد، وربما كان على حق في ذلك. ما لم...

فكر بأندرو ريستاريك وهو يفكر بالصورة المعلقة فوق رأسه في مكتبه أكثر من تفكيره بالرجل نفسه. تذكر القسمات الحادة القوية والذقن البارز للأمام وسيماء العزم والحزم، ثم فكر بزوجة أندرو ريستاريك الراحلة. الخطوط المريرة لفمها... ربما كان له أن يذهب ثانية إلى كروسهيدجيز وينظر إلى تلك الصورة بحيث يراها بشكل أكثر وضوحاً، لأنها قد تحمل دليلاً لفهم نورما. نورما... كلا، ينبغي له أن لا يفكر بنورما الآن. ماذا كان لديه أيضاً؟

ماري ريستاريك التي قالت عنها الفتاة سونيا إن لها -دون ريب- عشيقاً لأنها تذهب كثيراً إلى لندن. فكر بتلك النقطة، ولكنه لم يرَ أن سونيا كانت مصيبة فيما قالته. رأى أن المرجح -أكثر من ذلك بكثير- هو أن تكون زيارات السيدة ريستاريك إلى لندن بهدف معاينة منازل محتملة لشرائها، وشقق فخمة، وبيوت في منطقة ميفير الراقية، ومهندسي ديكور، وكل الأشياء الأخرى التي يمكن للمال أن يشتريها في المدينة.

المال... بدا له أن جميع النقاط التي كانت تمر في ذهنه تصل إلى ذلك في النهاية... إلى المال. لقد كان في هذه القضية الكثير من الأموال، وقد كان للمال دوره بطريقة مبهمة غير واضحة. لقد لعب المال دوره!

لم يجد -حتى الآن- ما يبرر اعتقاده بأن وفاة السيدة تشاربنتير المأساوية كانت بفعل نورما. لا يوجد أي دليل على ذلك، ولا دافع، ومع ذلك بدا له أنها توجد -بالفعل- صلة لا يمكن تجاهلها. لقد قالت الفتاة إنها "ربما ارتكبت جريمة قتل"، وقد حدثت وفاة قبل يوم أو يومين فقط من ذلك... وفاة حدثت في البناية التي تعيش فيها، ومن المؤكد أنها ستكون مصادفة لا يمكن تصديقها أن لا يكون بين الأمرين أي رابط.

فكر ثانية بالمرض الغامض الذي أصاب ماري ريستاريك، وهو حادث بسيط جداً إلى الحد الذي يجعله نمطياً ضمن نوعه؛ حالة تسميم لا بد أن يكون فيها المجرم واحداً من أهل البيت. هل سمّت ماري ريستاريك نفسها؟ هل حاول زوجها تسميمها؟ هل دست لها الفتاة سونيا السم؟ أم أن نورما هي التي كانت الفاعلة؟ واضطر بوارو للاعتراف بأن كل شيء يشير إلى نورما باعتبارها الشخص المنطقي.

قال بوارو لنفسه: ومع ذلك كله، فطالما أنني لا أستطيع العثور على أي شيء، فإن المنطق يسقط من النافذة.

تنهد ونهض واقفاً، وطلب من جورج أن يُحضر له سيارة أجرة؛ إذ لا بد له من الالتزام بموعده مع أندرو ريستاريك.

* * *

الفصل التاسع عشر

لم تكن كلوديا ريسلاند في المكتب اليوم، بل استقبلت بوارو -بدلاً منها- امرأة في أواسط عمرها. قالت إن السيد ريستاريك بانتظاره وقادته إلى غرفته.

لم يكد ريستاريك ينتظر دخوله من عتبة الباب حتى قال: حسناً، ما الخبر؟ ماذا عن ابنتي؟

فتح بوارو ذراعيه وقال: حتى الآن... لا شيء.

- ولكن لا بد أن تجد شيئاً... دليلاً ما. لا يمكن لفتاة أن تتبخر هكذا في الهواء.

- لقد فعلتها الفتيات من قبل، وسيفعلنها دوماً.

- هل فهمتَ أنني أردتُ عدم التوقف أمام أية تكاليف مهما كانت؟ إنني... إنني لا أستطيع الاستمرار بهذا الشكل.

بدا على وشك الانهيار تماماً بعد مضي كل هذا الوقت.. بدا أكثر نحولاً وظهرت عيناه حمراوين من الأرق.

- أعرف تماماً حالة القلق التي تنتابك دون ريب، ولكني أؤكد

لك أنني فعلتُ كل ما يمكن فعله للعثور على أثرٍ لها. إن هذه الأمور لا يمكن استعجالها مع الأسف.

- ربما كانت قد فقدت ذاكرتها أو... أو ربما... أعني قد تكون مريضة.

رأى بوارو أنه قد عرف ما تعنيه الصيغة المرتبكة لهذه الجملة، فقد كان ريستاريك يوشك أن يقول إنها ربما كانت ميتة.

جلس على الجانب الآخر من المكتب وقال: صدقني، إنني أُقدِّر قلقك، وأنا مضطر لأن أقول لك مرة أخرى إن النتائج ستكون أسرع بكثير لو لجأتَ إلى الشرطة.

- كلا!

انفجرت الكلمة انفجاراً، فقال بوارو: إن لديهم تسهيلات أكبر وخطوط بحث أكثر. أؤكد لك أن المسألة ليست مسألة مال فقط، فالمال لا يمكن أن يعطيك النتائج التي تعطيك إياها هيئة فاعلة جداً.

- يا رجل، لا فائدة من كلامك بهذه الطريقة المُهدِّئة! إن نورما ابنتي؛ ابنتي الوحيدة، كل ما أملكه من لحمي ودمي.

- أأنت واثق من أنك أخبرتني بكل شيء... كل شيء ممكن... عن ابنتك؟

- ماذا يمكنني أن أخبرك أكثر من ذلك؟

- هذا ما يُنتظر منك أنت أن تقوله، لا مني أنا. هل وقعت -مثلاً- أية حوادث في الماضي؟

- مثل ماذا؟ ماذا تعني يا رجل؟

- أي حالة محددة من الاضطراب العقلي.

- أتظن أن... أن...

- كيف لي أن أعرف؟ كيف يمكنني أن أعرف؟

قال ريستاريك وقد بدت في صوته المرارة فجأة: وكيف لي أنا أن أعرف؟ ماذا أعرف عنها؟ كل هذه السنين... لقد كانت غريس امرأة نكدة؛ لا تسامح ولا تنسى بسهولة. أحياناً أشعر... أشعر أنه كان من الخطأ أن تقوم على تربية نورما.

نهض وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، ثم جلس ثانية وقال: لم يكن عليّ طبعاً أن أترك زوجتي... أعرف ذلك. تركتها تربي الطفلة. ولكني أحسب -مع ذلك- أنني اختلقت لنفسي أعذاراً وقتها؛ فقد كانت غريس ذات شخصية ممتازة متعلقة بنورما. كانت وصية جيدة جداً عليها. ولكن هل كانت كذلك حقاً؟ كانت بعض الرسائل التي كتبتها لي غريس وكأنها تقطر غضباً وانتقاماً، وأحسب أن ذلك طبيعي تماماً. ولكني كنتُ بعيداً كل تلك السنين. كان عليّ أن أعود، أن أعود عدة مرات لأرى كيف تتطور الطفلة. آه، لا فائدة من الأعذار الآن.

أدار رأسه بحدة وقال: نعم. لقد فكرتُ عندما رأيت نورما من جديد أن موقفها كله غير منضبط. تمنيت أن... أن تنسجم هي وماري بعد مضي بعض الوقت، ولكن عليّ أن أعترف بأنني لم أشعر بأن الفتاة كانت طبيعية كلياً. وشعرتُ أنه قد يكون من الأفضل لها أن

تجد عملاً في لندن وتأتي إلى البيت في عطل نهاية الأسبوع، دون أن تجبَر على رفقة ماري طوال الوقت. آه، أظن أنني أفسدتُ كل شيء. ولكن أين هي يا سيد بوارو؟ أين هي؟ أتظن أنها ربما فقدت ذاكرتها؟ إن المرء يسمع بحدوث أشياء كهذه.

- نعم، هذا احتمال، ففي مثل حالتها يمكن أن تكون متنقلة دون أن تعي من هي. أو ربما تعرضت لحادث، وهذا احتمال أضعف. أؤكد لك أنني قد قمتُ بكل التحريات في المستشفيات.

- أتظن أنها... أتظن أنها ميتة؟

- أؤكد لك أن العثور عليها ميتة أسهل بكثير من العثور عليها على قيد الحياة. أرجوك أن تهدأ يا سيد ريستاريك. تذكر أنها قد تكون لها صداقات لا تعرف أنت عنها شيئاً؛ صديقات في أي جزء من إنكلترا، صديقات يمكن أن تكون قد تعرفت عليهن وهي تعيش مع أمها، أو مع خالتها، أو صديقات لصديقاتها في المدرسة. إن تصنيف كل هذه الأمور يأخذ وقتاً. وقد تكون مع صديق لها...

- ديفيد بيكر؟ لو أنني علمتُ أنـ...

- إنها ليست مع ديفيد بيكر. هذا ما تأكدتُ منه منذ البداية.

- كيف لي أن أعرف ما لها من صداقات؟

تنهد ثم مضى قائلاً: حين أجدها فسوف أخرجها من هذا كله.

- تخرجها من ماذا؟

- من هذا البلد. لقد كنتُ تعِساً يا سيد بوارو منذ أن عدتُ

إلى هنا. كنتُ دوماً أكره حياة المَدينة. تلك الدائرة المملة من عمل المكاتب الروتيني، والمشاورات المستمرة مع المحامين وأصحاب رؤوس الأموال. الحياة التي أحببتها دوماً كانت حياة السفر والتنقل من مكان إلى مكان والذهاب إلى مناطق نائية مقفرة لا يصل إليها أحد... هذه هي الحياة التي تروق لي. ما كان ينبغي لي تركها أبداً، بل كان عليّ أن أرسل لنورما كي تأتي إليّ. وكما قلتُ، فإن هذا ما سأفعله عندما أجدها. لقد جاءتني عروض كثيرة لشراء الشركة، ويمكنهم أن يأخذوا الجمل بما حمل، وبشروط ملائمة جداً لهم. سآخذ المبالغ النقدية وأعود إلى بلد يعني شيئاً، إلى بلد حقيقي.

- آها! وماذا ستقول زوجتك في ذلك؟

- ماري؟ إنها معتادة على تلك الحياة؛ فمنها أتت.

- إن لندن يمكن أن تكون مكاناً شديد الجاذبية بالنسبة لنساء لديهن الكثير من المال.

- سوف ترى الأمر كما أراه أنا.

رنّ جرس الهاتف على مكتبه فرفع السماعة وقال: نعم؟ آه. من مانشيستر؟ نعم. إن كانت كلوديا ريسلاند فأعطِني إياها.

ثم انتظر دقيقة وقال: كلوديا؟ نعم. ارفعي صوتك، إنه خطٌ سيءٌ جداً... لا أستطيع سماعك. هل وافقوا؟... آه، مع الأسف... كلا، أظن أنك فعلتِ حسناً... صحيح... حسناً إذن. استقلي قطار العودة المسائي. سنناقش ذلك أكثر صباح غدٍ.

ثم أعاد سماعة الهاتف إلى مكانها وقال: إنها فتاة قديرة.

- الآنسة ريسلاند؟

- نعم، قديرة تماماً. إنها تحمل عن كاهلي الكثير من الإزعاجات. لقد أعطيتها تفويضاً كاملاً لكي تبرم هذه الصفقة في مانشيستر وفق ما تراه مناسباً؛ فقد شعرتُ أنني لا أستطيع التركيز، وقد قامت بعمل رائع تماماً.

نظر إلى بوارو وهو يعيد نفسه فجأة إلى الحاضر، ثم قال: آه، نعم يا سيد بوارو. حسناً، أخشى أنني قد خرجتُ عن الموضوع. هل تحتاج مزيداً من المال للوفاء بالنفقات؟

- لا يا سيدي، وأؤكد لك أنني سأبذل قصارى جهدي لأعيد لك ابنتك سليمة معافاة. لقد أخذت كل الاحتياطات الممكنة من أجل سلامتها.

خرج من المكتب. وعندما أصبح في الشارع رفع بصره إلى السماء وقال: جواب محدد على سؤال واحد... هذا ما أحتاجه.

* * *

الفصل العشرون

نظر هيركيول بوارو إلى واجهة البيت الجورجي المهيب في شارع كان حتى عهدٍ قريب شارعاً هادئاً في قرية صغيرة على الطراز القديم. كان التقدم يغزو القرية بسرعة، ولكن المتجر الحديث، ودكان الهدايا، وبوتيك مارغري، ومقهى بيغ، والمصرف الجديد الشبيه بقصر... كل هذه المصالح اختارت مواقع لها في شارع كروفت، ولم تتكالب على الشارع العام الضيق للقرية.

لاحظ بوارو أن المطرقة النحاسية على الباب مُلمّعة بشكل كبير، ولكنه ضغط على الجرس الجانبي. وفتحت الباب -على الفور تقريباً- امرأة طويلة القامة مميّزة الشكل ذات شعر أشيب مُسرّحٍ إلى الخلف وسمتٍ يوحي بالطاقة والحيوية.

- سيد بوارو؟ أنت دقيق جداً في مواعيدك. تفضل بالدخول.

- الآنسة باترسبي؟

- بالتأكيد.

فسحت له المجال فدخل، وأخذت قبعته فوضعتها على حاملة

الملابس في الصالة وقادته إلى غرفة جميلة تُطل على حديقة صغيرة مُسيجة، ثم أشارت له إلى كرسي وجلست بدورها بأسلوب من ينتظر شيئاً. كان واضحاً أن الآنسة باترسبي لم تكن ممن يضيعون أي وقت في العبارات التقليدية. قال لها بوارو: أظن أنك المديرة السابقة لمدرسة ميدوفيلد، أليس كذلك؟

- بلى، وقد تقاعدتُ منذ عام. لقد فهمتُ أنك ترغب برؤيتي في موضوع تلميذة سابقة تُدعى نورما ريستاريك.

- هذا صحيح.

- أنت لم تذكر مزيداً من التفصيلات في رسالتك. يمكنني القول إنني أعرف من أنت يا سيد بوارو، ولذلك فإنني أود سماع المزيد من المعلومات قبل المضي قدماً في حديثنا. هل تفكر -مثلاً- في توظيف نورما؟

- لا، ليس هذا هدفي.

- لعلك تفهم -وأنت تعرف طبيعة مهنتك- لماذا أطلب مزيداً من التفصيلات. هل لديك -مثلاً- رسالةُ توصية أو تعريف من أيٍ من أقارب نورما؟

- كلا أيضاً. سوف أشرح لك الأمر أكثر.

- شكراً لك.

- الحقيقة هي أن والد نورما قد استخدمني، أعني أندرو ريستاريك.

- آه. أظن أنه عاد مؤخراً إلى إنكلترا بعد غياب سنوات طويلة.

- هذا صحيح.

- ولكنك لم تُحضر لي رسالة توصية منه، أليس كذلك؟

- أنا لم أطلب منه رسالة.

نظرت إليه الآنسة باترسبي متسائلة فقال: ربما كان سيصر على القدوم معي، وكان من شأن ذلك أن يعيقني عن طرح الأسئلة التي أرغب في طرحها عليك؛ لأن من المحتمل أن تسبب له الإجابات ألماً وأسىً. وليس لديّ مبرر لتحميله فوق ما يعانيه في الوقت الحاضر.

- هل حدث شيء لنورما؟

- هذا ما لا أرجوه... ولكن مثل هذه الإمكانية واردة. هل تذكرين الفتاة يا آنسة باترسبي؟

- أنا أتذكر كل طالباتي؛ فلديّ ذاكرة ممتازة. كما أن مدرسة ميدوفيلد ليست بالمدرسة الكبيرة على أية حال؛ فليس فيها سوى مئتي طالبة لا أكثر.

- لماذا استقلتِ منها يا آنسة باترسبي؟

- يا لهذا السؤال يا سيد بوارو! لا أرى أن هذا من شأنك.

- نعم، لقد كنتُ أعبّر عن فضولي الطبيعي فقط.

- إنني في السبعين. ألا يشكل هذا سبباً؟

- أظنه لا يشكل سبباً في حالتك؛ إذ يبدو لي أنك في كامل طاقتك وحيويتك، قادرة تماماً على الاستمرار في إدارتك للمدرسة لسنوات طويلة قادمة.

- الزمن يتغير يا سيد بوارو، والمرء لا يحب الطريقة التي يتغير بها الزمن. سوف أُشبع فضولك: لقد وجدتُ أنني أصبح أقلّ صبراً مع والدي الطالبات، فأهدافهم التي يضعونها لبناتهم قصيرة النظر، بل غبية بكل صراحة.

كان بوارو قد عرف من الاطلاع على سجل الآنسة باترسبي أنها عالمة رياضيات مشهورة جداً. قالت: لا تحسبنّ أني أعيش حياة كسل، بل أنا أعيش حياة أصبح العمل فيها أحبّ كثيراً إلى نفسي. إنني أشرف على تدريب طالبات المراحل العليا. والآن، هل لي -رجاءً- أن أعرف سبب اهتمامك بالفتاة، نورما ريستاريك؟

- لدينا سبب للقلق عليها. وبصراحة، لقد اختفت.

لم يبدُ أن الآنسة باترسبي قد فهمت، قالت: حقاً؟ عندما تقول «اختفت» فإنني أفترضُ أنك تعني أنها قد غادرت المنزل دون إبلاغ والديها عن مكان ذهابها. آه، أظن أن والدتها ميتة. إذن دون إبلاغ أبيها عن مكان ذهابها. وهذا ليس نادر الحدوث أبداً في أيامنا هذه يا سيد بوارو. ألم يلجأ السيد ريستاريك إلى الشرطة؟

- إنه يرفض تماماً، وهو مُصرٌّ على هذا الأمر.

- يمكنني أن أؤكد لك عدم وجود أية معلومات لديّ حول

مكان وجود الفتاة، فلم أستلم منها شيئاً، والحقيقة أنني لم أعلم أي خبر عنها منذ أن غادرت المدرسة. ولذلك فإنني أخشى أن لا يكون بوسعي مساعدتك بأي شكل.

- ليس هذا بالضبط نوع المعلومات التي أريدها. أريد أن أعرف أي نوع من الفتيات هي... كيف يمكن لك وصفها. ولا أعني بهذا شكلها الخارجي ومظهرها الشخصي، بل أعني شخصيتها وصفاتها المعنوية.

- لقد كانت نورما في المدرسة فتاة طبيعية تماماً. لم تكن ألمعية دراسياً، ولكن مستواها كان مُرضياً.

- ألم تكن من النوع العُصابي؟

فكرت الآنسة باترسبي قليلاً ثم قالت ببطء: ما كنتُ لأقول ذلك. أي أنها لم تكن عصابية أكثر مما يمكن توقعه إذا أخذنا بعين الاعتبار ظروفها البيتية.

- أتعنين أمها المُقعدة؟

- نعم. لقد جاءت من بيت مُحطّم. فالأب (الذي أحسبها كانت متعلقة به كثيراً) غادر البيت مع امرأة أخرى... وهي حقيقة كان من الطبيعي أن تستاء منها أمها كثيراً. ولعل الأم أزعجت ابنتها أكثر من المطلوب بالتعبير عن سخطها واستيائها دون ضابط أو قيد.

- ربما كان من الأنسب أن أسألك عن رأيك بالسيدة ريستاريك الراحلة.

- إن ما تطلبه مني هو رأيي الشخصي، أليس كذلك؟

- إن لم يكن لديك مانع.

- لا مانع عندي أبداً من الإجابة على كل أسئلتك. إن الظروف البيتية في غاية الأهمية في حياة أية فتاة، وقد كنتُ دوماً أدرس تلك الظروف قدر استطاعتي من خلال المعلومات القليلة التي تأتيني. أحسب أن السيدة ريستاريك كانت امرأة مستقيمة شديدة النزاهة، ومفرطة في انتقادها للعيوب، وقد أعاق نجاحها في الحياة أنها امرأة غبية جداً!

قال بوارو باستحسان: آه!

- لقد كانت أيضاً كثيرة التمارض؛ من النوع الذي يبالغ في علله وأمراضه... من النساء اللاتي لا يفتأن يدخلن المصحات ويخرجن منها. وتلك خلفية منزلية مؤسفة بالنسبة لأية فتاة... خاصة لفتاة ليست لها شخصية محددة جداً خاصة بها. لم تكن لنورما طموحات فكرية وثقافية ملحوظة، ولم تكن لديها ثقة بنفسها، ولم تكن فتاة يمكن لي أن أوصيها بمتابعة حياة مهنية ناجحة. بل كان جلُّ ما آمله بالنسبة لها مجرد وظيفة عادية يتبعها زواج وأطفال.

- اعذريني على سؤالي، ولكن ألم تري في أي وقت علامات على اضطراب عقلي؟

- اضطراب عقلي؟ هراء!

- هذا إذن ما تقولينه، هراء! وليست عصابية؟

- يمكن لأية فتاة، لأية فتاة تقريباً، أن تكون عصابية، وخاصة في مرحلة المراهقة وفي أول مواجهة لها مع العالم. إذ تكون غير ناضجة بعد وتحتاج التوجيه في أولى تجاربها مع الآخرين، فهي غالباً ما تنجذب إلى شباب غير مناسبين بتاتاً، بل حتى خطيرين أحياناً. ويبدو أنك لا تكاد تجد في أيامنا هذه والدِين لديهم من قوة الشخصية ما ينقذون به فتياتهم من هذا الأمر، ولذلك تراهن يعشن فترات من البؤس الهستيري، وربما أقدمن على زواج غير مناسب ينتهي بالطلاق في أغلب الحالات.

أصر بوارو على سؤاله قائلاً: ولكن ألم تُظهر نورما أية علامات على اضطراب عقلي؟

- إنها فتاة عاطفية، ولكنها طبيعية. أما الاضطراب العقلي فكما قلتُ من قبل: هراء!



الفصل الحادي والعشرون

جلس بوارو في كرسيه الضخم المربع، واستقرت يداه على ذراعي الكرسي، فيما تركزت عيناه على الموقد أمامه دون أن يراه. وإلى جانب يده كانت طاولة صغيرة عليها وثائق عديدة رُزمت بشكل مرتب: تقارير من السيد غوبي، ومعلومات استقاها من صديقه كبير المفتشين نيل، وسلسلة من الصفحات المنفصلة تحت عنوان «إشاعات وأقاويل» مع المصادر التي تم منها استقاؤها.

لم تكن به حاجة -في الوقت الحاضر- لمراجعة هذه الوثائق. فالحقيقة أنه قرأها بإمعان، ووضعها هناك خشية أن يحتاج للعودة إليها في استيضاح أية نقطة لديه. لقد أراد الآن أن يجمع في عقله كل ما عرفه وعلم به، لأنه كان مقتنعاً بأن هذه الأشياء يجب أن تشكل نمطاً. يجب أن يكون فيها نمط. وكان يفكر الآن في الزاوية التي ينبغي له أن يتناول من خلالها تلك الحقائق. لم يكن رجلاً يُسلم نفسه للحماسة لإحساس غريزي محدد؛ فهو ليس بالشخص الذي يتقاد للأحاسيس الغريزية... ولكن كانت له أحاسيس. ولم تكن الأهمية تكمن في الأحاسيس بحد ذاتها، بقدر ما تكمن فيما أثار تلك الأحاسيس. فقد كان السبب هو المهم في الأمر، فغالباً ما

يكون السبب في أحاسيس المرء شيئاً آخر غير ما ظنه المرء بدايةً. وعلى المرء في أغلب الأحيان أن يستخرج هذا السبب بالمنطق، وبالعقل والمعرفة.

ماذا شعر إزاء هذه القضية... وأي نوع من القضايا هي؟ فليبدأ من العام، ثم يُفضي منه إلى الخاص. ما هي الحقائق البارزة لهذه القضية؟

رأى أن المال كان واحداً من هذه الحقائق، رغم أنه لم يعرف كيف. بشكل أو بآخر، المال... كما رأى -بشكل متزايد- أن الشر موجود في مكان ما. لقد عرف الشر والتقاه من قبل. وقد عرف نكهته، وطعمه، وطريقة تصرفه. وكانت المشكلة أنه لم يعرف بعدُ -في هذه القضية- أين هو الشر بالضبط. لقد اتخذ خطوات معينة لمواجهة الشر، وكان يأمل أن تكون كافية. لقد كان شيءٌ ما يحدث، شيءٌ ما يتقدم، شيءٌ لم يكتمل بعد. شخصٌ ما في مكان ما كان في خطر.

كانت المشكلة هي أن الحقائق تشير إلى كلا الاتجاهين. إذا كان الشخصُ الذي ظنّه في خطرٍ في خطرٍ فعلاً فإنه لا يبدو -بقدر ما يمكن له أن يرى- سبب لذلك. فلماذا يكون ذلك الشخص تحديداً في خطر؟ لم يجد دافعاً. وإذا لم يكن ذلك الشخص نفسه في خطر فإن منظوره كله ربما احتاج إلى أن ينعكس تماماً رأساً على عقب... وكل ما كان يشير إلى اتجاه معين ينبغي عليه -عندها- أن يقلبه وينظر إليه من المنظور المعاكس تماماً.

ترك هذه المسألة مُعلّقة في الميزان مؤقتاً، ومضى منها

إلى الشخصيات... إلى الأشخاص. أيّ نمط ينسجون؟ وأيّ دور يلعبون؟

أولاً: أندرو ريستاريك. لقد جمع -حتى الآن- قدراً لا بأس به من المعلومات حول أندرو ريستاريك. صورة عامة لحياته قبل وبعد ذهابه إلى الخارج. رجل ملول لا يستقر على حال ولا يبقى في مكان واحد أو على هدف واحد لفترة طويلة، ولكنه محبوب عموماً. ليس فيه شيء من صفات المسرف التافه، ليس فيه شيء قميء أو مخادع. أتراه لا يملك شخصية قوية؟ أتراه ضعيفاً من عدة أوجه؟

قطب بوارو جبينه غير مقتنع. فتلك الصورة لا تناسب -بشكلٍ ما- أندرو ريستاريك الذي قابله شخصياً. ليس ضعيفاً بالتأكيد، بذلك الذقن البارز إلى الأمام، والعينين الثابتتين، والسمتِ الذي يوحي بالعزم. وقد كان رجل أعمال ناجحاً أيضاً كما يبدو. كان جيداً في عمله في السنوات الأولى، وقد أنجز صفقات جيدة في جنوب أفريقيا وأمريكا الجنوبية. لقد كانت قصةَ نجاحٍ تلك التي أحضرها معه إلى الوطن، لا قصة فشل. كيف يمكن -إذن- أن يكون شخصية ضعيفة؟ ربما كان ضعيفاً فيما يتعلق بالنساء فقط. لقد ارتكب غلطة بزواجه؛ إذ تزوج المرأة غير المناسبة... أتراه دُفع إلى ذلك دفعاً من قِبَل عائلته ثم قابل المرأة الأخرى؟ فهل كانت تلك هي المرأة الوحيدة أم كان إلى جانبها سواها من النساء؟ من الصعب العثور على سجل من هذا النوع بعد مضي كل هذه السنين. المؤكد أنه لم يكن زوجاً متهتكاً خائناً لزوجته. لقد كان له بيت طبيعي، وقد كان متعلقاً -بكل المقاييس- بابنته الصغيرة. ولكن بعدها التقى بامرأة أحبها إلى حدٍ ترك معه بيته وبلده. كانت إذن قصة حب حقيقية.

ولكن، أتراها اقترنت بأي دافع إضافي؟ ككراهية العمل والحياة في المدينة مثلاً؟ رأى بوارو أن ذلك ممكن، فهو ينسجم مع النمط. كما أن ريستاريك بدا من النوع الانعزالي الوحيد. لقد أحبه الجميع هنا وفي الخارج، ولكن لا يبدو أن له أصدقاء مقربين. والحقيقة أنه كان من الصعب عليه أن يكسب أصدقاء مقربين في الخارج لأنه لم يتوقف في مكان واحد لفترة تكفي لذلك. لقد خاض بعض المجازفات وحاول تحقيق إنجاز ونجح في ذلك، ثم سئم هذا الأمر فانتقل إلى مكان آخر. كالبدو الرُّحّل! رجل رحالة.

ومع ذلك بقي الأمر غير منسجم مع الصورة التي في ذهنه للرجل... **الصورة**؟ أثارت الكلمة في عقله ذكرى الصورة المُعلقة في مكتب ريستاريك، على الجدار خلف مكتبه. كانت صورة للرجل نفسه قبل خمسة عشر عاماً. ما هو الاختلاف الذي تركته كل تلك السنوات على الرجل الجالس هناك؟ كان -عموماً- اختلافاً قليلاً إلى حدٍ مدهش! مزيد من الشيب في الشعر، ووضع أثقل للكتفين، ولكن خطوط الشخصية على الوجه كانت نفسها إلى حدٍ بعيد. وجه عازم مصمم، ورجل عرف ماذا يريد وعزم على الوصول إليه... رجل من شأنه أن يجازف... رجل فيه شيء من عدم الرحمة.

وتساءل: لماذا أحضر ريستاريك تلك الصورة إلى لندن؟ لقد كانتا صورتين توأمين لرجل وزوجته. ولو أردنا الحديث بالمعنى الفني البحت لقلنا إنه كان من الواجب أن تبقيا مقترنتين. أكان من شأن طبيب نفسي أن يقول إن ريستاريك أراد -في اللاوعي- أن ينأى بنفسه عن زوجته السابقة مرة أخرى وأن ينفصل عنها؟ أما يزال إذن يتراجع أمام شخصيتها رغم أنها ميتة؟ إنها نقطة مثيرة للاهتمام...

يُفترض أن الصورتين قد أُخرجتا من المخزن مع العديد من أغراض الزينة التابعة للعائلة، ولا شك أن ماري ريستاريك قد اختارت بعض الأغراض الشخصية لاستكمال مفروشات البيت. تساءل إن كانت ماري ريستاريك، الزوجة الجديدة، قد أحبت تعليق هاتين الصورتين تحديداً. ولعل التصرف الأكثر طبيعية منها هو أن تضع صورة الزوجة الأولى في سقيفة! ولكنه فكر بعد ذلك بأنها ربما لم تكن تمتلك في كروسهيدجيز سقيفةً تضع فيها الأغراض الفائضة عن الحاجة. يُفترض أن يكون السير روديريك قد ترك حيزاً ما لبعض أغراض العائلة بينما كان الزوجان العائدان يبحثان عن بيت مناسب في لندن. ولذلك لم تكن القضية تهم كثيراً، وكان من شأن تعليق الصورتين أن يكون أسهل وأيسر. وفوق ذلك فإن ماري ريستاريك بدت امرأة من النوع العاقل... وليست من النوع الغيور أو العاطفي.

ولكن بوارو فكر قائلاً لنفسه: كل النساء نساء. كلهن معرضات للغيرة، وأحياناً يصبح ذلك على أبعد من يتوسم فيهن المرء ذلك!

انتقلت أفكاره إلى ماري ريستاريك، وأخذ يفكر فيها بدورها. لفت انتباهه أن الأمر الغريب -فعلاً- هو أنه لا يملك عنها إلاّ القليل من الأفكار! لقد رآها في تلك المرة فقط، وبطريقة أو بأخرى لم تُخلِّف لديه انطباعاً عميقاً. رأى أن فيها قدراً من الكفاءة، وقدراً من الـ... ماذا يسميه؟... من التصنع؟ (وقال مخاطباً نفسه من جديد: تمهل يا صديقي، فأنت هنا تحكم وأنت تفكر بالباروكة!).

لقد كان من السخف حقاً أن لا يعلم المرء عن امرأة إلاّ هذا

القدر الضئيل. امرأة تضع باروكة، وهي جميلة، وعاقلة، ويمكنها الشعور بالغضب. نعم، فقد غضبت عندما وجدت ذلك الفتى الطاووس يتجول من غير دعوة في بيتها. وقد أظهرت غضبها بحدة وبشكل لا يقبل الخطأ. أما الفتى، فكيف بدا؟ بدا متسلياً، لا أكثر. ولكنها كانت غاضبة، غاضبة جداً من وجوده هناك. حسناً، لقد كان ذلك طبيعياً تماماً. فليس من شأن أي أم أن تختار مثل هذا الشاب لابنتها...

توقف بوارو عن أفكاره وهو يهز رأسه بغيظ، فماري ريستاريك لم تكن أُمّاً لنورما، وليس يُنتظر منها الألم والخوف على ابنة زوجها وهي تُقدم على زواج تعِس غير مناسب! ما الذي شعرت به ماري تجاه نورما؟ يُفترض -بدايةً- أنها شعرت أن نورما فتاة مُتعبة جداً... فتاة اختارت شاباً سيكون بالتأكيد مصدر قلق وإزعاج لأندرو ريستاريك. ولكن بعد ذلك؟ ماذا شعرت وفكرت تجاه ابنة زوجٍ كان واضحاً أنها تحاول عامدة تسميمها؟

بدا أن موقفها كان عاقلاً. فقد أرادت إخراج نورما من البيت، وإخراج نفسها من دائرة الخطر، وأن تتعاون مع زوجها على كتم أية فضيحة بشأن ما حدث. وقد أصبحت نورما تأتي بين حين وآخر في عُطل نهاية الأسبوع حفاظاً على المظاهر فقط، ولكن حياتها من الآن فصاعداً يجب أن تكون في لندن. وحتى عندما تنتقل عائلة ريستاريك إلى البيت الذي تبحث عنه في لندن، لن يقترح الزوجان على نورما العيش معهما. فمعظم الفتيات -في هذه الأيام- يعشن بعيداً عن عائلاتهن. وهكذا حُلّت هذه المشكلة.

باستثناء أن مشكلة هوية من دسّ السم لماري ريستاريك كانت -بالنسبة لبوارو- أبعد ما تكون عن الحل. لقد آمن ريستاريك نفسه بأن ابنته هي التي فعلت ذلك... ولكن بوارو شك في ذلك.

أخذ عقله يلهو بالاحتمالات التي تشكلها الفتاة سونيا. ما الذي تفعله في ذلك البيت؟ لماذا أتت إلى هناك؟ لقد جعلت السير روديريك طوع بنانها تماماً... أتراها لا تمتلك رغبة بالعودة إلى بلدها؟ ربما لا يكون لمخططاتها هدف سوى الزواج؛ فالرجال بعمر السير روديريك لا يكفُّون عن الزواج بفتيات جميلات في كل يوم. وبالمعنى المادي، يمكن لسونيا أن تستفيد كثيراً. حيث المكانة الاجتماعية الآمنة، وترمُّلٌ تتطلع إليه مع دخل ثابت وكافٍ... أم أن أهدافها مختلفة تماماً؟ هل ذهبت إلى كيو غاردنز وقد دست أوراق السير روديريك المفقودة بين طيات كتابها؟

هل أصبحت ماري ريستاريك تشك فيها... في نشاطاتها، في ولاءاتها، في الأماكن التي تذهب إليها أيام عطلتها، وفي من تلتقيهم؟ وهل قامت سونيا عندها بدس السم الذي ليس من شأنه -إذا ما دُسّ بطريقة تراكمية- أن يثير الشكوك بأي شيء عدا الالتهابات المعوية العادية؟

وضع سكان كروسهيدجيز مؤقتاً خارج تفكيره.

جاء -كما جاءت نورما- إلى لندن، وبدأ بالتفكير بثلاث فتيات يشتركن في شقة: كلوديا ريسلاند، فرانسيس كاري، نورما ريستاريك. كلوديا: ابنة عضو مشهور بالبرلمان، غنية، قديرة، متدربة جيداً، جميلة وسكرتيرة من الدرجة الأولى. فرانسيس: ابنة

محام ريفي، ميالة للفن، كانت في معهد مسرحي لفترة قصيرة، ثم التحقت بغيره، ثم تركته هو الآخر، وعملت من وقت لآخر لدى مجلس الفنون، وهي موظفة الآن في قاعة للأعمال الفنية. تكسب راتباً جيداً، كانت ميالة للفن، وهي تعرف الشاب ديفيد بيكر، رغم أنها ظاهرياً لا تعرفه إلاّ معرفة عابرة. أيمكن أنها وقعت في حبه؟ رأى بوارو أنه كان من ذلك النوع من الشباب المكروهين عموماً من قبل الآباء والأمهات ومن قبل الشرطة، وقد عجز عن رؤية مكمن الجاذبية لدى مثل هؤلاء الشباب بالنسبة للفتيات من بنات العائلات. ولكن على المرء أن يعترف بالأمر على أنه حقيقة. ما رأيه هو شخصياً بديفيد؟

فتى جميل الشكل ذو سمتٍ وقح ومسرور قليلاً بنفسه، رآه أول مرة في الطابق العلوي من منزل كروسهيدجيز، يقوم بمهمة لصالح نورما (أو يتجسس لحسابه الخاص، من يدري؟). وقد رآه ثانية عندما أقله بسيارته. شاب ذو شخصية، يعطي حقاً انطباعاً بالقدرة على ما يختار القيام به من عمل. ومع ذلك كان واضحاً أن فيه جانباً شقياً. أخذ بوارو إحدى الأوراق عن الطاولة الصغيرة إلى جانبه ودرسها. سجل سيء، رغم أنه ليس جرمياً بشكل مؤكد. قضايا احتيال صغيرة، عصابات شبابية، تحطيم أشياء، إطلاق سراحه مرتين بكفالة. كل هذه الأمور كانت الموضة السائدة هذه الأيام، وهي لا تدخل ضمن تصنيف بوارو للشر. لقد كان رساماً واعداً، ولكنه ترك ذلك. كان من النوع الذي لا يستقر على عمل. كان مغروراً، فخوراً، طاووساً مُعجباً بشكله. أكان فيه شيء أكثر من هذا؟ تساءل بوارو.

مد يده وتناول ورقة سُجلت عليها عناوين عامة للحديث

الذي دار بين ديفيد ونورما في المقهى... بقدر ما أسعفت الذاكرة السيدةَ أوليفر التي كتبت تلك الملاحظات. وتساءل بوارو عن حجم ودقة هذا «الإسعاف» من ذاكرة السيدة أوليفر، وهزّ رأسه بارتياب. إن المرء لا يعرف بالضبط في أية نقطة يبدأ خيال السيدة أوليفر بالجموح! هل كان الشاب يحب نورما ويريد الزواج بها حقاً؟ لم يكن حول شعورها هي نحوه أي شك، وقد اقترح أن يتزوجها. هل لدى نورما مال خاص بها؟ لقد كانت ابنة رجل غني، ولكن هذا لا يعني -آلياً- أنها غنية. أطلق بوارو زفرة سخط. لقد نسي أن يتحرى عن شروط وصية السيدة ريستاريك الراحلة. قلّب في الأوراق إلى جانبه. كلا، إن السيد غوبي لم يتجاهل هذه الحاجة الواضحة. بدا واضحاً أن السيدة ريستاريك كانت تتلقى معونة جيدة من زوجها خلال حياتها؛ فقد كان لها -فيما يبدو- دخل صغير خاصٌ بها يكاد يبلغ ألف جنيه سنوياً. وقد تركت كل ما تملكه لابنتها. ولكن بوارو رأى أن ذلك لا يكاد يستحق أن يكون دافعاً للزواج. ربما كانت سترث مبالغ كبيرة من المال عند وفاة أبيها باعتبارها ابنته الوحيدة، ولكن هذا لا يعني أنها غنية الآن. فقد لا يترك لها أبوها سوى مبلغ ضئيل إن هو كره الرجل الذي تزوجته.

سيقول -إذن- إن ديفيد قد أحبها بالفعل، طالما أنه كان مستعداً للزواج بها. ومع ذلك... هزّ بوارو رأسه. وكانت هذه خامس مرة تقريباً يهز رأسه فيها. إن كل هذه الأمور لا تترابط معاً... إنها لا تُشكل نمطاً مُقنعاً. تذكر مكتب ريستاريك والشيك الذي كان يكتبه... ليشتري به الشاب كما هو واضح. وكان الشاب -كما هو واضح أيضاً- مستعداً تماماً لبيع نفسه! هذا لا يستقيم هو الآخر. لقد

كان الشيك مكتوباً بالتأكيد لديفيد بيكر، وكان بمبلغ كبير جداً، بل بمبلغ غير معقول حقاً. كان مبلغاً من شأنه أن يغري أي شاب فقير ذي شخصية سيئة. ومع ذلك فقد اقترح عليها الزواج قبل يوم واحد فقط. ربما كان ذلك -طبعاً- مجرد حركة في اللعبة... حركة تهدف إلى رفع المبلغ الذي يطلبه. تذكر بوارو جلوس ريستاريك هناك وشفتاه متصلبتان. لا بد أنه يحب ابنته كثيراً حتى يكون مستعداً لدفع مثل هذا المبلغ الضخم، ولا بد أنه كان أيضاً خائفاً من أن تكون الفتاة نفسها مصممة تماماً على الزواج بذلك الفتى.

انتقل من تفكيره بريستاريك إلى كلوديا. كلوديا وأندرو ريستاريك. أكانت مصادفة، مجرد مصادفة، أن تصبح هذه الفتاة سكرتيرته؟ قد تكون بينهما صلة. كلوديا... أخذ يفكر فيها. ثلاث فتيات في شقة، في شقة كلوديا ريسلاند. كانت هي التي استأجرت الشقة أساساً، واشتركت فيها بداية مع صديقة، مع فتاة تعرفها من قبل، ثم مع فتاة أخرى، الفتاة الثالثة. وفكر بوارو: **الفتاة الثالثة**. نعم، يعود الأمر دوماً إلى هذه النقطة. إلى الفتاة الثالثة. وإلى هنا وصل هو الآخر في النهاية. إلى حيث كان مضطراً أن يصل. إلى حيث قاد كل هذا التفكير بالأنماط... إلى نورما ريستاريك.

فتاة أتت لاستشارته وهو جالس إلى إفطاره. فتاة انضم إليها وهي تجلس على طاولة في مقهى كانت تأكل فيه الفاصولياء قبل قليل من ذلك مع شاب تحبه. (لاحظ أنه يراها دوماً -فيما يبدو- في أوقات الطعام!). وما الذي رآه فيها؟ ولكن أولاً: ما الذي رآه الناس الآخرون فيها؟ لقد أحبها ريستاريك واهتم بها، وكان قلقاً عليها أشد القلق، وخائفاً عليها أشد الخوف. وهو لم يشكّ فقط،

بل كان واثقاً تماماً -فيما يبدو- أنها قد حاولت تسميم زوجته التي تزوجها حديثاً. وقد استشار طبيباً بشأنها. شعر بوارو أنه يحب كثيراً التحدث مع ذلك الطبيب شخصياً، ولكنه شك في إمكانية توصله لشيء؛ فالأطباء يضنّون كثيراً بإفشاء المعلومات الطبية لأي شخص ما لم يكن شخصاً مخولاً حسب الأصول، كأن يكون أحد الوالدين. ولكن بوسع بوارو أن يتخيل تماماً ما قاله الطبيب. رأى بوارو أن الطبيب كان حذراً دون ريب، كما هو دأب الأطباء دوماً. ولا شك أنه همهم وغمغم ثم تحدث -ربما- عن العلاج الطبي. إنه لم يركز على الزاوية العقلية بشكل مكثف، ولكنه ألمح إليها بالتأكيد. بل ربما كان الطبيب في الحقيقة واثقاً -في قرارة نفسه- أن ذلك هو ما حدث. ولكنه كان يعرف الكثير أيضاً عن الفتيات الهستيريات، وأنهن يفعلن أحياناً أشياءَ لا تكون ناتجة حقاً عن أسباب عقلية، بل لمجرد المزاج والغيرة والعاطفة. ولم يكن ذلك الطبيب محللاً نفسياً ولا طبيب أعصاب، بل طبيباً عاماً لا يجازف بإلقاء الاتهامات التي لا يستطيع التأكد من صحتها ويقترح أموراً معينة بسبب حذره، كأن يقترح حصولها على وظيفة في مكان ما... وظيفة في لندن، وربما اقترح أن يصار لاحقاً لمعالجتها لدى أخصائي؟

ماذا كان رأي الآخرين بنورما ريستاريك؟ كلوديا ريسلاند؟ لا يعرف. ومن المؤكد أنه لا يعرف ذلك من القدر القليل الذي يعرفه عنها. لقد كانت قادرة على إخفاء أي سر، ومن شأنها -بالتأكيد- أن لا تترك معلومة تُفلت منها وهي لا تريد لها أن تُفلت. إنها لم تُظهر علامات على رغبتها بطرد الفتاة من شقتها... وهو ما كان بإمكانها أن تفعله لو أنها خافت من حالتها العقلية. ولا يمكن أن يُقال إن

نقاشاً واسعاً قد دار بينها وبين فرانسيس حول الموضوع، طالما أن الفتاة الأخرى قد كشفت -ببراءة- حقيقة أن نورما لم تعد إليهما بعد قضائها عطلة نهاية الأسبوع في الريف. وقد كانت كلوديا منزعجة من ذلك. من الممكن أن تكون كلوديا جزءاً من النمط أكثر مما يبدو عليها فهي ذكية جداً فيما يبدو... ثم عاد ثانية إلى نورما، عاد إلى الفتاة الثالثة. ما هو موقعها هي في النمط؟ ذلك الموقع الذي من شأنه أن يُعطي للنمط كله معناه وشكله. وفكر: أتكون كأوفيليا، بطلةِ هاملت؟ ولكن كان في هذا الصدد رأيان، تماماً كما يوجد رأيان بالنسبة لنورما. أكانت أوفيليا مجنونة أم كانت تتظاهر بالجنون؟ لقد اختلفت الممثلات كثيراً في كيفية أداء دورها... أو ربما كان الأحرى أن يقول إن المخرجين هم الذين اختلفوا في ذلك، فهم أصحاب الأفكار في هذا الشأن. أكان هاملت مجنوناً أم عاقلاً؟ لك أن تختار ما تشاء. أكانت أوفيليا مجنونة أم عاقلة؟

لم يكن من شأن ريستاريك أن يستخدم كلمة «مجنونة» حتى في أفكاره عن ابنته. كانت عبارة «مضطربة عقليا» هي العبارة التي يفضل الجميع استخدامها. والكلمة الأخرى التي جرى استخدامها في وصف نورما هي «الحمق». «إنها حمقاء قليلاً»، و«ناقصة العقل قليلاً، إن كنتَ تعرف ما أعنيه». ولكن هل يمكن أن يثق المرء بأحكام عاملات التنظيف والخادمات؟ رأى بوارو أن ذلك ممكن؛ فقد كان في نورما شيء غريب فعلاً، ولكنها قد تكون غريبة بطريقة مختلفة عما تبدو عليه. تذكر الصورة التي قدمتها عن نفسها وهي تدخل غرفته بطريقة خرقاء: فتاة من فتيات اليوم، من النوع الحديث الذي بدت فيه ككثير غيرها من الفتيات الأخريات. الشعر المتهدل يرتخي

على كتفيها، والملابس التي لا تنمُّ عن ذوق شخصي، والمظهر الضعيف... كل ذلك بدا له -وهو الرجل قديم الطراز- كفتاة ناضجة تتظاهر بأنها طفلة.

"إنني آسفة، أنت كبير جداً بالسن". ربما كان ذلك صحيحاً. لقد نظر إليها من خلال عيني رجل عجوز دون إعجاب، إذ كانت -بالنسبة له- مجرد فتاة ليست لها رغبة واضحة ببعث السرور حولها، ولذلك ربما كانت محقة في إدانتها له. إنه لن يستطيع مساعدتها لأنه لم يفهمها، بل لأنه لم يكن من الممكن أن يُقدِّرها. لقد فعل كل ما في وسعه من أجلها، ولكن ماذا نتج عن ذلك حتى الآن؟ ما الذي فعله من أجلها منذ دقيقة الاستغاثة الوحيدة تلك؟ وقد جاء الجواب في ذهنه سريعاً. **لقد أبقاها في أمان**. لقد فعل ذلك على الأقل. هذا إن كانت حقاً بحاجة للبقاء في أمان. كان هذا هو مكمن الأمر كله: **فهل تحتاج** للبقاء في أمان؟ ذلك الاعتراف السخيف المُستهجن! بل إنه لم يكن اعترافاً بقدر ما كان إعلاناً: "أظن أنني ربما ارتكبتُ جريمة قتل".

فليتوقف عند هذا الأمر، ذلك أنه هو لبُّ المسألة كلها. كانت تلك مهنته؛ التعامل مع جرائم القتل، وكشف ملابسات جرائم القتل، ومنع جرائم القتل! أن يكون ذلك الكلب المدرب جيداً على اقتفاء أثر جرائم القتل. جريمة قتل مُعلنة. جريمة قتل في مكان ما. لقد بحث عنها ولم يجدها. أهي نمط الزرنيخ في الحساء؟ أم نمط أشرار شباب يطعن بعضهم بعضاً بالسكاكين؟ يا لتلك العبارة السخيفة الشريرة: بقع دم في الباحة! طلقةٌ تنطلق من مسدس. على من، ولماذا؟

لم تكن المسألة كما ينبغي لها أن تكون، صيغة لجريمة تتناسب مع الكلمات التي استخدمَتْها: "ربما ارتكبتُ جريمة قتل". كان قد خبط في الظلام خبط عشواء وهو يبحث، محاولاً رؤية نمطِ جريمة، محاولاً رؤية موقع الفتاة الثالثة من ذلك النمط، ثم يعود دوماً إلى نفس الحاجة المُلحّة لمعرفة نوع هذه الفتاة وطبيعتها الحقة.

وبعد ذلك جاءت أريادني أوليفر -بجملة عرضية منها- لتريه الضوء كما ظن، وذلك بحديثها عن الانتحار المُفترض لامرأة في مُجمّع بورودين مانشينز. وكان من شأن ذلك أن يناسب النمط وينسجم معه؛ فقد وقع ذلك في المُجمّع الذي تسكنه الفتاة الثالثة. ويجب أن تكون هذه هي جريمة القتل التي قصدتها؛ إذ ستكون مصادفة مستهجنة أن تكون جريمة قتل ثانية ارتُكبت في نفس الوقت تقريباً! وفوق ذلك لم توجد أية علامة أو أثر لجريمة قتل أخرى ارتُكبت في وقت قريب. ما من وفاة أخرى تجعلها تهرع مُسرعة لاستشارته بعد استماعها -في إحدى الحفلات- لصديقته السيدة أوليفر وهي تُسهب في إعجابها بإنجازاته أمام كل الناس. ولذلك بدا له أنه قد وصل أخيراً إلى ما كان يبحث عنه، عندما أخبرته السيدة أوليفر بطريقة عرضية بالمرأة التي ألقت بنفسها من النافذة. فها هو المفتاح لديه، وها هو حل كل اللغز المحير. هنا سيجد ما يحتاجه. سيعرف لماذا ومتى وأين.

قال بوارو لنفسه بصوت عالٍ: يا له من وهم!

مدّ يده إلى الطاولة الصغيرة ورتب سيرة حياة امرأة طُبعت بشكل أنيق. الحقائق المجردة عن حياة السيدة تشاربنتير: امرأة في

الثالثة والأربعين، ذات مكانة اجتماعية جيدة، يقال عنها إنها كانت في صباها فتاة طائشة. تزوجت مرتين... وطُلِّقت مرتين... امرأة كانت تحب الرجال. امرأة شربت في السنوات الأخيرة أكثر مما تتحمله صحتها. امرأة كانت تحب الحفلات. امرأة يُذكر الآن أنها تخرج مع رجال أصغر منها بكثير. تعيش وحيدة في شقة في بورودين مانشينز. إن بوسع بوارو أن يشعر ويفهم نوعية تلك المرأة، ويمكنه أن يفهم لماذا يمكن لمثل هذه المرأة أن ترغب بإلقاء نفسها من نافذة عالية في أحد الصباحات الباكرة بعد أن استيقظت على يأسها.

ألأن لديها سرطاناً، أو ظنت أن لديها سرطاناً؟ ولكن الشهادة الطبية في التحقيق قد أكدت -بما لا يدع مجالاً للشك- بأن الأمر لم يكن كذلك.

إن ما كان يحتاجه هو وجود نوع من الصلة مع نورما، ولكنه لم يستطع العثور عليها. وقرأ بإمعان الحقائق المجردة ثانية.

لقد تم التعرف على الجثة في التحقيق من قِبَل محامٍ. لويز كاربنتر... رغم أنها قد استخدمت صيغة فرنسية لاسمها فجعلته تشاربنتير. ألأن ذلك ينسجم أكثر مع اسمها الأول؟ لويز؟ لماذا كان اسم لويز مألوفاً لديه؟ أهي إشارة عرضية سمعها؟ عبارة؟... تنقلت أصابعه بترتيب بين الأوراق المطبوعة. آه! ها هو السبب! تلك الإشارة اليتيمة فقط؛ فقد كان اسم الفتاة التي ترك أندرو ريستاريك زوجته من أجلها هو لويز بيريل. امرأة ثبت أنها كانت قليلة الأهمية في حياة ريستاريك اللاحقة؛ فقد تشاجرا وافترقا بعد نحو عام. ورأى بوارو أنه النمط نفسه... نفس الأمر السائد الذي ربما كان سائداً طوال

حياة هذه المرأة تحديداً. أن تحب رجلاً بجنون، وأن تحطم بيته، وربما تعيش معه، ثم تتشاجر معه وتتركه. شعر بالثقة، بل بالثقة الأكيدة، بأن لويز تشاربنتير هذه هي لويز تلك ذاتها.

ولكن كيف يمكن لذلك أن يرتبط بالفتاة نورما؟ هل عاد ريستاريك إلى لويز تشاربنتير ثانية عندما عاد إلى إنكلترا؟ شكّ بوارو في ذلك. فقد انفصلت حياتهما قبل سنوات طويلة. وقد بدت إمكانيةُ عودة كل إلى الآخر -نتيجةَ أي مصادفة- مسألةً بعيدة الاحتمال إلى درجة الاستحالة! لقد كانت علاقتهما هياماً قصيراً وغير مهم في الواقع، ولا تكاد زوجته الحالية تملك من الغيرة تجاه ماضي زوجها ما يجعلها ترغب بدفع خليلته السابقة من نافذة عالية. هذه فكرة سخيفة! إن الشخصية الوحيدة التي يمكن أن تكون من النوع الذي تعتمل الضغينة في صدرها لسنوات طويلة تجاه المرأة التي هدمت بيتها هي السيدة ريستاريك الأولى، وقد بدا ذلك مستحيلاً أيضاً؛ فقد كانت السيدة ريستاريك الأولى ميتة!

رن جرس الهاتف، ولم يتحرك بوارو؛ إذ لا يريد -في هذه اللحظة بعينها- أن يزعجه أحد. كان لديه شعور بأنه يتّبع أثراً من نوع ما، وقد أراد أن يتابعه... توقف جرس الهاتف. جيد، لا بد أن الآنسة ليمون تتعامل معه.

انفتح الباب ودخلت الآنسة ليمون قائلة: السيدة أوليفر تريد الحديث معك.

لوح بوارو بيده قائلاً: ليس الآن، ليس الآن، أرجوك! لا أستطيع الكلام معها الآن.

- تقول إن لديها شيئاً قد فكرت به لتوها... شيئاً نسيت إخبارك به. عن ورقة ما... رسالة غير مكتملة يبدو أنها وقعت من درج مكتب في شاحنة لنقل الأثاث.

ثم أضافت الآنسة ليمون وقد سمحت لنبرة استهجان أن تدخل صوتها: قصة غير متماسكة بعض الشيء.

لوح بوارو بيده بمزيد من العصبية قائلاً: ليس الآن. أتوسل إليك، ليس الآن.

قالت الآنسة ليمون: "سأقول لها إنك مشغول"، ثم خرجت.

عاد الهدوء ليخيم على الغرفة من جديد، وشعر بوارو بموجات من التعب تزحف على جسمه؛ فقد فكر كثيراً. يجب على المرء أن يسترخي. أن يدع التوتر يمضي... ففي الاسترخاء يأتي النمط. أغمض عينيه. إن لديه كل المُكوِّنات، وهو واثق من ذلك الآن. لم يَبْقَ شيء آخر يمكن أن يعلمه من الخارج. يجب أن تأتي النتيجة من الداخل.

وفجأة تماماً... تماماً عندما كان جفناه يسترخيان للنوم، جاءت...

كانت كلها هناك... في انتظاره! سيتعين عليه أن يفكر لاستخراجها. ولكنه عرف الآن. كانت كل القطع هناك، نُتفٌ ومِزقٌ غير مترابطة، وكلها تنتظم معاً: باروكة، وصورة، والخامسة صباحاً، والنساء وتسريحات شعرهن، والفتى الطاووس... كل ذلك يقود إلى الجملة التي بدأ بها الأمر كله. وفجأة صاح: الفتاة الثالثة... "ربما

أكون قد ارتكبتُ جريمة قتل..." بالطبع!

دخلت الآنسة ليمون في تلك اللحظة. نظرت إلى بوارو بقلق وقالت: إن الدكتور ستيلنغفليت يُصر على الحديث معك فوراً. يقول أمر عاجل.

- قولي له أن يأتي... هل قلتِ الدكتور ستيلنغفليت؟

اندفع يتجاوزها وأمسك بسماعة الهاتف وقال: نعم، بوارو يتكلم! هل حدث شيء؟

- لقد تركتني.

- ماذا؟

- لقد سمعتَني. خرجتْ... خرجتْ من البوابة الأمامية.

- وهل تركتَها تذهب؟

- وماذا يمكنني أن أفعل غير ذلك؟

- كان بوسعك أن تمنعها.

- كلا.

- لقد كان من الجنون أن تتركها تذهب.

- كلا.

- أنت لا تفهمني.

- كان هذا هو الاتفاق... أن تكون حرة في الخروج في أي وقت.

- أنت لا تفهم ما قد يعنيه ذلك.

- حسناً إذن، أنا لا أفهم، ولكنني أعرفُ ما أفعله. ولو لم أدعها تذهب لضاع كل عملي الذي قمتُ به عليها... وقد عملتُ الكثير معها. إن عملك يختلف عن عملي، ولسنا نسعى من أجل الشيء ذاته. أقول لك إنني كنتُ أحقق بعض النتائج. أحقق بعض النتائج بحيث كنتُ واثقاً تماماً أنها لن تتركني.

- آه، نعم. وبعد ذلك يا صديقي، تَرَكَتْك.

- بصراحة لا أفهم ذلك. لا أستطيع أن أرى سبباً لهذه الانتكاسة.

- ربما حدث شيء.

- نعم، ولكن ما هو؟

- ربما رأت أحداً، أو تكلم معها أحد، أو كشف أحدٌ مكانها.

- لا أفهم كيف يمكن لأي من هذا أن يحدث... ولكن ما لا يبدو أنك تفهمه هو أنها حرة. كان ينبغي أن تكون حرة.

- لقد توصل أحدهم إليها. كشف أحدهم مكانها. هل تلقت رسالة أو برقية أو مكالمة هاتفية؟

- لا، لم تتلقّ شيئاً من ذلك. هذا ما أنا واثق منه تماماً.

- إذن كيف... آه، بالطبع! من الصحف. أحسب أن لديك صحفاً في مؤسستك تلك، أليس كذلك؟

- بالتأكيد، فالحياة هناك عادية طبيعية... هذا ما تمثله المؤسسة

التي أعمل فيها.

- إذن فهذه هي الطريقة التي توصلوا إليها من خلالها. الحياة العادية الطبيعية... ما هي الصحف التي تقدمونها؟

قال الدكتور ستيلنغفليت: "خمس صحف"، ثم ذكر له أسماءها.

- متى ذهَبَتْ؟

- صباح اليوم... في العاشرة والنصف.

- بالضبط، بعد أن قرأَت الصحف. هذه معلومة جيدة نبدأ منها. أية صحيفة كانت تقرأ عادة؟

- لا أظن أنها تفضل صحيفة بعينها. فأحياناً تقرأ هذه الصحيفة، وأحياناً تقرأ غيرها، وأحياناً تقرأها جميعاً... فيما تكتفي بإلقاء نظرة عليها في بعض الأحيان.

- حسناً، يجب أن لا أضيع الوقت في الحديث.

- أتظن أنها رأت إعلاناً أو شيئاً من ذلك؟

- وهل من تفسير آخر؟ وداعاً، لا أستطيع قول المزيد الآن. عليّ أن أبحث عن الإعلان المُحتمل وأتحرك بسرعة.

ثم أعاد السماعة إلى مكانها وقال: آنسة ليمون، أحضري لي صحيفتينا، مورنينغ نيوز، وديلي كوميت. وأرسلي جورج ليحضر كل الصحف الأخرى.

وفيما فتح الصحيفة على باب الإعلانات الشخصية وأخذ يتابعها بدقة كانت أفكاره تتبع طريقها الخاص.

سيصل في الوقت المناسب. يجب أن يصل في الوقت المناسب... لقد حدثت جريمة قتل بالفعل، وستحدث جريمة أخرى قادمة. ولكنه هو، هيركيول بوارو، سيمنع وقوعها... إن وصل في الوقت المناسب. إنه هيركيول بوارو... المنتقم للأبرياء. ألم يقل (وضحك الناس لقوله هذا): "إنني لا أوافق على القتل". لقد ظنوا ذلك تعبيراً مُخَفّفاً من طرفه. ولكنه لم يكن كذلك، بل كان تصريحاً بسيطاً بالحقيقة دون رتوش... إنه لا يوافق على القتل.

دخل جورج حاملاً رزمة من الصحف وقال: هذه كل صحف هذا الصباح يا سيدي.

نظر بوارو إلى الآنسة ليمون التي كانت تقف قربه منتظرة تقديم كفاءتها وقال: ابحثي في الصحف التي فتّشتُها خشية أن أكون قد أغفلتُ شيئاً.

- أتعني في صفحة الإعلانات الشخصية؟

- نعم. أظن أنه ربما ورد اسم ديفيد، أو اسم فتاة، أو اسم تحبب ودلع؛ فهم لن يستعملوا اسم نورما. وربما كانت استغاثة لطلب المساعدة، أو دعوة للقاء.

أخذت الآنسة ليمون الصحف طائعة ببعض الاشمئزاز؛ فلم تكن هذه المهمة مما يمكن أن يُبرز كفاءتها، ولكن لم يكن لدى بوارو في تلك اللحظة مهمة أخرى يطلبها منها. وقد فتح هو نفسه صحيفة مورنينغ كرونيكل، وكانت هذه أكبر حقل للبحث ففيها ثلاثة أعمدة من الإعلانات. وانكب على الصفحة المفتوحة.

سيدة تريد بيع معطف فرو لها...طلب مسافرين للاشتراك في رحلة بالسيارة إلى الخارج... بيت أثري جميل للبيع... تأجير غرف مع الطعام... أطفال متخلفون عقلياً... حلويات مصنوعة منزلياً... جوليا. سوف لن أنسى أبداً. مع إخلاصي الدائم. كان هذا أقرب إلى ما يبحث عنه بوارو. فكر بالعبارة قليلاً، ثم تجاوزها. أثاث من عهد لويس الخامس عشر... مطلوب سيدة في أواسط عمرها للمساعدة في إدارة فندق... **في مأزق يائس. يجب أن أراك. تعالي إلى الشقة ٤,٣٠ دون إبطاء. شيفرتنا جالوت.**

سمع جرس الباب يقرع في نفس الوقت الذي نادى فيه جورج ليحضر له سيارة أجرة، ثم ارتدى معطفه على عجل وخرج إلى الصالة في الوقت الذي كان فيه جورج يفتح الباب الأمامي ويصطدم بالسيدة أوليفر. وقد كافح الثلاثة جميعاً لفك الاشتباك فيما بينهم في الصالة الصغيرة.



الفصل الثاني والعشرون

مشت فرانسيس كاري في شارع مانديفيل وهي تحمل حقيبة سفر صغيرة، وتتحدث مع صديقة قابلتها لتوها عند المنعطف باتجاه مُجمّع بورودين مانشينز.

- حقاً يا فرانسيس، إن السكنى في هذا المبنى أشبه بالعيش في سجن كبير... كأنه سجن سكرابز أو غيره.

- هذا هراء يا إيلين؛ فتلك الشقق مريحة جداً. وأنا محظوظة جداً، وكلوديا فتاة من الرائع الاشتراك معها في السكن... فهي لا تُزعجك أبداً. كما أن لديها خادمة رائعة. إن الشقة تُدار بشكل ممتاز فعلاً.

- هل أنتما وحيدتان فيها؟ لقد نسيت. حسبتُ أن معكما فتاة ثالثة، أليس كذلك؟

- آه، يبدو أنها قد تركتنا.

- أتعنين أنها لا تدفع الأجرة؟

- آه، لا أظن أن المسألة مسألة أجرة. أحسبها تُقيم علاقة مع صديق ما.

فقدت إيلين اهتمامها، فقد كان موضوع الأصدقاء موضوعاً روتينياً جداً.

- من أين أنت عائدة الآن؟

- من مانشيستر. كان هناك عرض خاص لأحد المعارض، وقد حقق نجاحاً عظيماً.

- هل أنت ذاهبة حقاً إلى فينا في الشهر القادم؟

- نعم، أظن ذلك. لقد أصبح الموعد ثابتاً تقريباً الآن. وهو أمر لا يخلو من متعة.

- ألن يكون فظيعاً أن تُسرق بعض اللوحات؟

- كلها خاضعة للتأمين. أو اللوحات الثمينة منها على الأقل.

- كيف كان معرض صديقك بيتر؟

- أخشى أنه لم يكن رائعاً جداً. ولكنه غُطي تغطية جيدة جداً من قِبَل ناقد مجلة ذي آرتيست، ومثل هذه التغطية تعني الكثير.

انعطفت فرانسيس إلى مُجمّع بورودين مانشينز فيما مضت صديقتها في طريقها إلى بيتها الصغير في آخر الشارع. قالت فرانسيس للبواب: "طاب مساؤك"، وصعدت في المصعد إلى الطابق السادس، وهناك مشت في الممر وهي تهمهم بلحن مع نفسها.

أدخلت المفتاح في باب الشقة. لم يكن المصباح في الصالة مُضاءً بعد، ولن يحل موعد عودة كلوديا من المكتب إلاّ بعد ساعة

ونصف. ولكن المصباح في غرفة الجلوس -التي كان بابها نصف مفتوح- كان مُضاء. قالت فرانسيس بصوت عالٍ: "المصباح مُضاء... هذا غريب". ثم نزعت معطفها، وألقت حقيبتها، وفتحت باب غرفة الجلوس على اتساعه ودخلت...

ثم توقفت جامدة. انفتح فمها ثم انغلق، وتصلب جسدها كله وعيناها تحدقان إلى الجسد المنكبّ على وجهه على الأرض، ثم ارتفعت عيناها ببطء إلى المرآة على الجدار التي عكست لها صورة وجهها الذي أذهله الرعب...

سحبت نفساً عميقاً. وعندما انقضى شللها المؤقت دفعت رأسها إلى الخلف وصرخت، ثم خرجت وهي تتعثر بحقيبتها في الصالة وتركلها بقدمها جانباً، فركضت من الشقة، ثم عبر الممر، وقرعت بشكل محموم على باب الشقة المجاورة.

فتحت الباب امرأة كهلة وقالت: ما الذي تفعلينـ...

- يوجد شخص ميت... شخص ميت. وأظنه شخصاً أعرفه... ديفيد بيكر. إنه متمدد هناك على الأرض... أظنه طُعن... لا بد أنه طُعن. فهناك دم... دم في كل مكان.

ثم بدأت تنتحب بشكل هستيري. دست الآنسة جاكوبز كأساً من الماء في يدها وقالت: انتظري هنا واشربيه.

ارتشفت منه فرانسيس طائعة، فيما خرجت الآنسة جاكوبز بسرعة من الباب ومضت في الممر، ثم دخلت من الباب المفتوح الذي كان الضوء ينصب منه إلى الخارج. كان باب غرفة الجلوس مفتوحاً على مصراعيه، فدخلت منه الآنسة جاكوبز.

لم تكن من النساء اللاتي يصرخن. وقفت هناك داخل العتبة وقد زمت شفتيها المتصلبتين. كان ما تنظر إليه أشبه بالكوابيس؛ فعلى الأرض تمدد شاب وسيم وقد انفتح ذراعاه عن آخرهما ووقع شعره الكستنائي على كتفيه. كان يرتدي معطفاً مخملياً قرمزي اللون، وقد تبقّع قميصه الأبيض بالدماء...

انتبهت بجفلةٍ إلى وجود جسد آخر معها في الغرفة. كانت ثمة فتاة تقف ضاغطة جسمها على الجدار، فيما بدا المهرج العظيم فوقها وكأنه يقفز عبر السماء المرسومة. كانت الفتاة ترتدي ثوباً فضفاضاً من الصوف الأبيض، وقد تهدّل شعرها البني الباهت على جانبي وجهها، وفي يدها كانت تمسك بسكين مطبخ.

حدقت الآنسة جاكوب إليها، وبادلتها هي بدورها التحديق. ثم قالت بصوت تأملي تماماً وكأنها تجيب عن سؤال وجهه أحدهم لها: نعم، لقد قتلتُه... وقد جاء الدم على يدي من السكين فذهبتُ إلى الحمام لأغسله... ولكنك لا تستطيعين حقاً غسل مثل هذه الأمور، أليس كذلك؟ ثم عدتُ إلى هنا لأرى إن كان ذلك صحيحاً... ولكنه صحيح. المسكين ديفيد... ولكني أحسب أنني اضطررتُ لفعل ذلك.

أجبرت الصدمة الآنسةَ جاكوبز على قول كلمات غير متوقعة (وفكرت -وهي تقولها- كم بدت كلمات سخيفة!): حقاً؟ ولماذا اضطررتِ لفعل مثل هذا الشيء؟

- لا أدري... بل أحسب أنني أدري... حقاً. لقد كان في مأزق عظيم. وقد أرسل في طلبي... وقد جئت... ولكنني أردت التحرر

منه. أنا لم أحبه حقاً.

ثم وضعت السكين بحذر على الطاولة وجلست على كرسي قائلة: إنه ليس آمناً، أليس كذلك؟ أعني أن يكره المرء أحداً... هذا ليس آمناً لأن المرء لا يدري ما الذي يمكن أن يفعله... مثل لويز...

ثم قالت بهدوء: أليس من الأفضل أن تتصلي بالشرطة؟

أدارت الآنسة جاكوبز طائعة الرقم ٩٩٩.

* * *

كان ستة أشخاص موجودين الآن في الغرفة التي رُسم على جدارها مهرج. وكان وقت طويل قد مرّ، وجاء الشرطة ثم ذهبوا.

جلس أندرو ريستاريك كرجل تحجر في مكانه. وقد كرّر مرة أو مرتين نفس الكلمات: "لا أستطيع تصديق ذلك...". كان قد جاء من مكتبه بعد أن اتصلوا به، وجاءت معه كلوديا ريسلاند. وقد كانت قديرة جداً بطريقتها الهادئة؛ فقد أجرت مكالمات هاتفية مع محامين، وحاولت الاتصال بماري ريستاريك، وأعطت فرانسيس كاري مهدئاً وأرسلتها لترتاح.

جلس هيركيول بوارو والسيدة أوليفر جنباً إلى جنب على إحدى الأرائك، وكانا قد وصلا مع وصول الشرطة.

وكان آخر الواصلين -بعد أن ذهب الجميع تقريباً- رجلاً هادئاً أشيب الشعر ذا سمتٍ لطيف، هو كبير المفتشين نيل من شرطة سكوتلانديارد. وكان قد حيا بوارو بإيماءة من رأسه، ثم جرى تعريفه

بأندرو ريستاريك. وعند النافذة وقف شاب طويل أحمر الشعر محدقاً إلى الباحة في الخارج.

تساءلت السيدة أوليفر عن الذي كانوا ينتظرونه جميعاً؟ كانت الجثة قد نُقلت، وأنهى المصورون ومسؤولو الشرطة الآخرون عملهم، وهم أنفسهم أُعيد السماح لهم بدخول غرفة الجلوس بعد أن اقتيدوا قبلها إلى غرفة نوم كلوديا، وكانوا هناك الآن في غرفة الجلوس ينتظرون -كما افترضت- وصول ضابط سكوتلانديارد.

قالت له السيدة أوليفر بتردد: إن كنتَ تريد مني الذهاب...

- أنت السيدة أريادني أوليفر، أليس كذلك؟ نعم، بل أفضل بقائك إن لم يكن عندك مانع. أعرف أن هذه كانت تجربة مزعجة...

- إنها لم تبدُ حقيقية.

أغمضت السيدة أوليفر عينيها وهي تتخيل الأمر كله من جديد: الفتى الطاووس، ميت بهذا الشكل الجميل الغريب بحيث بدا أشبه بشخصية مسرحية. والفتاة... كانت الفتاة مختلفة... ليست نورما المترددة القادمة من كروسهيدجيز... ليست أوفيليا التي ينقصها الجمال كما أسماها بوارو... بل بدت صورة هادئة ما، تمثل الكرامة التراجيدية... وتتقبل قَدَرَها.

كان بوارو قد سأل إن كان بوسعه إجراء مكالمتين هاتفيتين. وكانت إحداهما إلى سكوتلانديارد، وقد تمت الموافقة عليها بعد أن قام الرقيب بإجراء استفسار أولي مُتشكك عبر الهاتف. وقد أشار الرقيب لبوارو باستخدام الخط الفرعي في غرفة نوم كلوديا، فقام

بإجراء المكالمة من هناك بعد أن أغلق الباب خلفه.

وقد استمر الرقيب في إظهار الريبة متمتماً لمساعده: "قالوا أنْ لا بأس بذلك. إني لأتساءل من هذا الرجل. إنه رجل غريب الشكل!".

- إنه أجنبي، أليس كذلك؟ ربما كان من الفرع الخاص؟

- لا أظن ذلك. لقد أراد التحدث مع كبير المفتشين نيل.

رفع المساعد حاجبيه وكتم صفرة تعجب كاد يُطلقها.

بعد أن أجرى بوارو مكالمتيه عاد ففتح باب الغرفة وأشار للسيدة أوليفر -التي كانت تقف مترددة في المطبخ- كي تنضم إليه، حيث جلس الاثنان على سرير كلوديا. قالت السيدة أوليفر (وهي الميالة دوماً للفعل): ليتنا نستطيع فعل شيء.

- صبراً يا سيدتي العزيزة.

- لا بد أنك تستطيع فعل شيء؟

- لقد فعلت... اتصلتُ بمن هو ضروري الاتصال بهم. إننا لا نستطيع فعل شيء هنا حتى ينتهي رجال الشرطة من تحقيقاتهم الأولية.

- مَن الذي اتصلتَ به بعد اتصالك بالمفتش؟ أبأبيها اتصلت؟ ألا يستطيع الحضور وإخراجها بكفالة أو غير ذلك؟

قال بوارو بتجهم: ليس من المحتمل الموافقة على الخروج بكفالة في حالات القتل، وقد أبلغ الشرطة أباها على أي حال...

أخذوا رقم هاتفه من الآنسة كاري.

- وأين هي؟

- فهمتُ أنها تمر بحالات هستيرية في شقة السيدة جاكوبز المجاورة؛ فقد كانت هي مَن اكتشف الجثة، ويبدو أن ذلك أخافها؛ إذ انطلقت من هنا وهي تصرخ.

- إنها تلك المتعلقة بالفن، أليس كذلك؟ كان من شأن كلوديا أن تحتفظ برباطة جأشها.

- أتفق معك. إنها شابة... متزنة جداً.

- بمن اتصلتَ بعد ذلك؟

اتصلتُ أولاً -كما قد تعلمين- بكبير المفتشين نيل، من سكوتلانديارد.

- هل سيرتاح رجال الشرطة هؤلاء لقدومه وتدخله في الأمر؟

- إنه لم يأت ليتدخل. فقد كان يجري لي مؤخراً بعض التحريات التي يمكن أن تُلقي ضوءاً على هذه القضية.

- آه، فهمت... وبمن اتصلتَ غيره؟

- بالدكتور جون ستيلنغفليت.

- ومن هو؟ ألكي يقول إن نورما المسكينة مختلة ولا تملك إلاّ أن تقتل الناس؟

- إن مؤهلاته تؤهله لإعطاء شهادة بهذا المعنى في المحكمة إذا تطلب الأمر.

- وهل يعرف شيئاً عن الفتاة؟

- أظنه يعرف الكثير؛ فقد كانت تحت رعايته منذ اليوم الذي وجدتِها فيه في مقهى شامروك.

- ومن الذي أرسلها إليه؟

ابتسم بوارو وقال: أنا. فقد قمت ببعض الترتيبات عبر الهاتف قبل أن أنضم إليك في المقهى.

- ماذا؟ وطوال هذا الوقت الذي خاب فيه أملي بك، وظللتُ أحثك على فعل شيء... كنتَ قد فعلتَ شيئاً؟ ولم تخبرني! يا إلهي يا بوارو! كيف أمكنك أن تكون... أن تكون لئيماً إلى هذا الحد؟

- لا تُغضبي نفسك يا سيدتي، أرجوك. إن ما فعلته كان للمصلحة العامة.

- دائماً يقول الناس ذلك عندما يُقدمون على شيء يثير الجنون. وماذا فعلتَ غير ذلك؟

- رتّبتُ الأمور بحيث يكلفني أبوها بتقديم خدماتي له، بحيث أستطيع القيام بالترتيبات الضرورية لسلامتها.

- أتعني لدى هذا الطبيب ستيلنغووتر؟

- اسمه ستيلنغفليت... نعم.

- وكيف تمكنتَ من ذلك بالله عليك؟ ما كنتُ لأظن أبداً أن

والدها سيختار شخصاً مثلك للقيام بكل هذه الترتيبات؛ فهو يبدو من النوع الذي يشك كثيراً بالأجانب.

- لقد فرضتُ نفسي عليه... كما يفعل ساحر يفرض خدَعه على الناس. فقد زرتُه متظاهراً بأنني تلقيتُ منه رسالة يطلبني فيها.

- وهل صدّقك؟

- بالطبع؛ فقد أريته الرسالة، وكانت مطبوعة على ورق شركته، وموقعة باسمه... رغم أن الخط لم يكن خطّه كما قال.

- أتعني أنك قمتَ عملياً بكتابة الرسالة بنفسك؟

- نعم. فقد قدّرتُ (وكنتُ مصيباً) أن ذلك سيثير فضوله، وأنه سيرغب برؤيتي. وبعد أن وصلتُ إلى هذا الحد اعتمدتُ على مواهبي الخاصة.

- وهل أخبرته بما كنتَ تعتزم عمله بشأن الدكتور ستيلنغفليت؟

- كلا، لم أخبر أحداً. فقد كان في الأمر خطر.

- خطر على نورما؟

- على نورما، أو من نورما على شخص آخر. فمنذ البداية وُجد دوماً هذان الاحتمالان؛ إذ يمكن تفسير الحقائق بكلا الاتجاهين. لم تكن محاولة تسميم السيدة ريستاريك مقنعة ولم تكن محاولة جدية للقتل. ثم كانت قصة غير أكيدة عن طلقة مسدس أُطلِقت هنا في بورودين مانشينز... وقصة أخرى عن سكاكين وبقع دماء.

وفي كل مرة تحدث مثل هذه الأشياء فإن نورما لا تعرف شيئاً عنها ولا تستطيع التذكّر أبداً... لقد وجدتْ الزرنيخ في دُرجها، ولكنها لا تتذكر أنها وضعته هناك. تدعي أنها تمرّ فترات لا تعيها ذاكرتها، وأنها أضاعت فترات من الوقت لا تتذكر فيها ما الذي كانت تفعله. ولذلك يضطر المرء لأن يسأل نفسه: هل ما تقوله صادق، أم أنها تخترعه لسبب خاص بها؟ هل هي الضحية المحتملة لخطة جهنمية... أم أنها هي نفسها الشخص المُحرِّك؟ هل هي ترسم صورة لنفسها كفتاة تعاني من اضطراب عقلي، أم أن في عقلها جريمة قتل توطد النفس عليها، وتهيء الأرضية للتعلل بمحدودية مسؤوليتها بسبب اضطرابها عقلياً؟

قالت السيدة أوليفر ببطء: لقد كانت مختلفة اليوم. هل لاحظتَ ذلك؟ مختلفة تماماً. لم تعد... لم تعد مشتتة الذهن.

أومأ بوارو برأسه موافقاً، ثم انصرف انتباه الاثنين إلى صوت ضجة إضافية في الشقة خارج الغرفة.

قالت السيدة أوليفر: أتظن...

ثم سكتت. كان بوارو قد ذهب إلى النافذة وراح ينظر إلى الباحة البعيدة أسفل منه، وكانت سيارة إسعاف قد دخلت الباحة.

سألت السيدة أوليفر بصوت مهزوز: "هل سيأخذون الجثة؟"، ثم أضافت باندفاعة شفقة مفاجئة: يا للطاووس المسكين!

قال بوارو ببرود: يصعب القول إنه كان شخصية محبوبة.

فتح بوارو الباب قليلاً بحذر ليبدو شقٌّ صغير من خلاله، وأخذ ينظر إلى الخارج. قال: اعذريني إن تركتُكِ دقيقة واحدة.

سألته السيدة أوليفر بارتياب: إلى أين تذهب؟

أجابها بوارو بتأنيب: لقد فهمتُ أن هذا السؤال لا يُعتبر مهذباً في هذا البلد.

قالت: "آه، أستميحك العذر". ثم جاءت بدورها فنظرت من شق الباب خلفه وقالت بصوت منخفض: وهذا ليس الطريق إلى الحمّام أيضاً.

ثم عادت إلى النافذة لتراقب ما يجري في الأسفل. وعندما عاد بوارو ليندس في الغرفة بعد بضع دقائق قالت: لقد وصل السيد ريستاريك لتوه بسيارة أجرة، وقد جاءت كلوديا معه. هل تمكنت من الوصول إلى غرفة نورما أو إلى المكان الذي كنتَ تقصده الآن؟

- إن غرفة نورما مشغولة برجال الشرطة.

- كم هي مسألة مزعجة بالنسبة لك! ما الذي تحمله في هذا الملف الأسود في يدك؟

سألها بوارو بدوره سؤالاً: ما الذي تحملينه بهذه الحقيبة القماشية المزينة بصور خيول فارسية؟

- في حقيبة التسوق هذه؟ مجرد ثمرتَي أفوكاتو في الحقيقة.

- إذن فإنني سآتمنُكِ على هذا الملف. ولا تعامليه بخشونة أو تعصريه رجاء.

- ما هو؟

- شيء كنتُ آمل العثور عليه، وعثرتُ عليه...

ثم سمع زيادة في الأصوات في الخارج فقال: آه، بدأت الأمور تتحرك.

لفت انتباه السيدة أوليفر أن كلمات بوارو كانت ذات طبيعة وصفية أكثر بكثير مما يمكن للكلمات الإنكليزية أن تُعبر عنه. ريستاريك، بصوته العالي الغاضب. وكلوديا القادمة لإجراء مكالمة هاتفية. ولمحة لأحد كُتّاب الشرطة ينتقل إلى الشقة المجاورة لأخذ أقوال فرانسيس كاري والمرأة الغامضة الأخرى الآنسة جاكوبز. مجيء وذهاب البعض في أعمال رسمية، والرحيل الأخير لشخصين معهما آلات تصوير. ثم الدخول المفاجئ لشاب طويل أحمر الشعر إلى غرفة كلوديا. ودون أن ينتبه هذا الشاب أبداً لوجود السيدة أوليفر قال لبوارو: ماذا فعلَتْ؟ جريمة قتل؟ من الضحية؟ صديقها؟

- نعم.

- هل اعترفتْ بالأمر؟

- يبدو ذلك.

- هذا أمر سيء. هل قالت ذلك بكلمات قاطعة؟

- لم أسمعها، ولم تتح لي فرصة سؤالها بنفسي عن أي شيء.

أطلّ شرطيٌّ من باب الغرفة وقال: دكتور ستيلنغفليت؟ إن طبيب الشرطة يود الحديث معك قليلاً.

أومأ الدكتور ستيلنغفليت برأسه وتبع الشرطي خارج الغرفة.

قالت السيدة أوليفر: هذا إذن هو الدكتور ستيلنغفليت.

ثم فكرت قليلاً وقالت: إنه لذو مكانة، أليس كذلك؟

* * *

الفصل الثالث والعشرون

سحب كبير المفتشين نيل ورقة باتجاهه وكتب عليها بضع ملاحظات، ونظر حوله إلى الأشخاص الخمسة في الغرفة. وعندما تحدث كان صوته رسمياً قوياً: الآنسة جاكوبز؟

ثم نظر نحو الشرطي الذي يقف عند الباب وقال: أعرف أن الرقيب كونولي قد أخذ إفادتها، ولكني أود طرح بعض الأسئلة عليها بنفسي.

بعد دقائق دخلت الآنسة جاكوبز إلى الغرفة، ونهض نيل بأدب لتحيتها قائلاً: أنا كبير المفتشين نيل، وأنا آسف لإزعاجك مرة أخرى، ولكن الأمر غير رسمي أبداً هذه المرة. أريد فقط الحصول على صورة أوضح لما رأيتِه وسمعتِه بالضبط. أخشى أن يكون هذا مؤلماً...

قالت الآنسة جاكوبز وهي تأخذ الكرسي الذي أشار إليه: لا، ليس مؤلماً. كان صدمة بالطبع، ولكن لم تكن في الأمر أية عواطف. يبدو أنكم رتّبتم المكان.

وافترض نيل أنها تشير إلى مسألة نقل الجثة.

تنقلت عيناها المُلاحِظتان النقديتان بسرعة بين الحاضرين، وهما تسجلان -بالنسبة لبوارو- دهشة صريحة (وكأنهما تقولان: ما هذا بالله؟)، وبالنسبة للسيدة أوليفر فضولاً خفيفاً، ولمؤخرة رأس الدكتور ستيلنغفليت الأحمر تقويماً، ولكلوديا تمييزَ الجيرة، حيث حيّتها بإيماءة بسيطة، وأخيراً تعاطفاً بدأ في الظهور تجاه أندرو ريستاريك. قالت له: لا بد أنك والد الفتاة. لا فائدة تُرجى من تعازي شخصٍ غريب كلياً مثلي، ولذلك من الأفضل الصمت. إنه لعالم محزنٌ هذا الذي نعيش فيه هذه الأيام...

ثم أدارت رأسها بهدوء إلى نيل وقالت: نعم؟

- أريد منك -يا آنسة جاكوبز- أن تروي لي بكلماتك أنت ما رأيتِه وسمعتِه بالضبط.

قالت الآنسة جاكوبز على غير توقع: أحسب أن ذلك سيختلف عما ذكرتُه سابقاً. فالأشياء تتغير كما تعلم. يحاول المرء أن يجعل وصفه على أكمل وجه من الدقة، فيستخدم كلمات أكثر، ولا أحسب أن ذلك يجعله أكثر دقة. أحسب أن المرء يقوم -لاشعورياً- بإضافة أشياء يظن أنه ربما رآها أو يجب أن يكون رآها... أو سمعها. ولكنني سأبذل قصارى جهدي. لقد بدأ الأمر بصرخات. وقد جفلتُ لذلك، وظننتُ أن أحداً لا بد قد جُرح. ولذلك كنتُ أهم بالاقتراب من الباب عندما أخذت إحداهن تقرعه وهي ما زالت تصرخ. فتحتُه ورأيت أنها واحدة من جاراتي في الشقة التالية... الفتيات الثلاث الساكنات في شقة ٦٧، وأخشى أنني لا أعرف اسمها، رغم أنني

أعرفها بالشكل.

قالت كلوديا: فرانسيس كاري.

- كانت شديدة الاضطراب، وتمتمت بشيء عن وجود شخص ميت... شخص تعرفه... وكانت تنشج وترتجف من رأسها إلى أخمص قدميها. أدخلتُها وأعطيتها كأس ماء، ثم ذهبتُ لأرى بنفسي.

شعر الجميع بأن من شأن الآنسة جاكوبز أن تفعل ذلك دوماً طوال حياتها.

- وأنتَ تعرف ماذا وجدت. هل من حاجة لشرحه؟

- باختصار فقط.

- وجدتُ شاباً من شباب هذه الأيام... ذا ملابس فاقعة مبهرجة وشعر طويل. كان ممدداً على الأرض، وكان واضحاً أنه ميت. كان قميصه قد تصلب ما عليه من دماء.

تململ ستيلنغفليت، ثم التفت ونظر بإمعان إلى الآنسة جاكوبز.

- ثم أدركتُ أن في الغرفة فتاة. كانت تمسك بسكين مطبخ، وبدت هادئة تماماً ومسيطرة على نفسها... وكان ذلك حقاً غريباً جداً.

قال ستيلنغفليت: هل قالت شيئاً؟

- قالت إنها ذهبت إلى الحمام لتغسل الدم عن يديها... ثم

قالت: "ولكنكِ لا تستطيعين غسل مثل هذه الأمور، أليس كذلك؟".
وكانت رابطة الجأش تماماً. وضعت السكين على الطاولة وجلست
على كرسي.

سأل كبير المفتشين وهو ينظر إلى الورقة المكتوبة أمامه: ماذا
قالت غير ذلك؟

- قالت شيئاً ما عن الكراهية. قالت إنه ليس من الآمن أن يكره
المرء شخصاً.

- لقد قالت شيئاً عن المسكين ديفيد، أليس كذلك؟ أو هذا ما
قلتِه أنت للرقيب كونولي، وأنها أرادت أن تتحرر منه.

- لقد نسيتُ ذلك. بلى، قالت شيئاً عن إحضاره لها إلى هنا...
وشيئاً عن لويز أيضاً.

- ماذا قالت عن لويز؟

كان بوارو هو الذي طرح هذا السؤال وهو يميل إلى الأمام
بحدة. نظرت الآنسة جاكوبز إليه بارتياب وقالت: لا شيء في الواقع،
بل اكتفت بذكر الاسم. قالت: "مثل لويز"، ثم سكتت. وكان ذلك
بعد أن قالت إن من غير الآمن كره الناس...

- وبعد ذلك؟

- ثم أخبرتني -بكل هدوء- بأن من الأفضل أن أتصل
بالشرطة، الأمر الذي فعلتُه. واكتفينا بالـ... بالجلوس هناك حتى
جاء رجال الشرطة... لم أرَ أن من المناسب تركها، ولم تقل شيئاً.

بدت غارقة في أفكارها، وأنا لم أستطع -بصراحة- التفكير بأي شيء يُمكن أن يقال.

قال أندرو ريستاريك: لقد كان بوسعك أن تري أنها مضطربة عقلياً، أليس كذلك؟ كان بوسعك أن تري أنها لا تدري ما فعلت أو لماذا، تلك الطفلة المسكينة؟

كان يتكلم متوسلاً... يحدوه الأمل.

- إن كان من علامات الاضطراب العقلي أن يظهر المرء بمنتهى البرود والهدوء بعد ارتكابه جريمة قتل، فإنني -عندها- أتفق معك.

قالت الآنسة جاكوبز ذلك بنبرة شخص لا يتفق معه على الإطلاق.

قال ستيلنغفليت: آنسة جاكوبز، هل اعترفتْ في أي وقت بأنها قد قتلته؟

- آه، نعم. كان عليّ أن أذكر ذلك من قبل... فقد كان ذلك أول شيء قالته، كما لو أنها تجيب عن سؤال طرحتُه عليها. قالت: "نعم. لقد قتلتُه". ثم مضت تتحدث عن غسلها ليديها.

جأر ريستاريك ووضع وجهه بين كفيه، ووضعت كلوديا يدها على ذراعه. قال بوارو: آنسة جاكوبز، قلتِ إن الفتاة وضعت السكين التي كانت تحملها على الطاولة. أكانت قريبة منك تماماً؟ هل رأيتِها بوضوح؟ هل بدا لك أن السكين أيضاً قد غُسلت؟

نظرت الآنسة جاكوبز إلى كبير المفتشين، وبدا واضحاً أنها شعرت أن بوارو قد ضرب على وترٍ غير رسمي وخارجٍ عن الموضوع في هذا التحقيق الذي يُفترض أنه رسمي. قال نيل: هل لك أن تتلطفي بالإجابة عن هذا السؤال؟

- كلا... لا أظن أن السكين كانت قد غُسلت أو نُشِّفت بأي شكل. فقد كانت ملطخة بمادة كثيفة لزجة.

- آه.

قالها بوارو وعاد ليسند ظهره إلى مسند كرسيه، فقالت الآنسة جاكوبز لكبير المفتشين بلهجة اتهام: لقد ظننتُ أنكم تعرفون كل شيء عن السكين. ألم يفحصها شرطتكم؟ يبدو لي هذا إهمالاً شديداً إن لم يفحصوها.

قال نيل: آه، بلى، لقد فحصها الشرطة. ولكننا... ولكننا نحب دوماً الحصول على تأكيد لحقائقنا.

رمته بنظرة حادة وقالت: أحسب أن ما تعنيه حقاً هو أنكم تحبون أن تكشفوا مدى دقة ملاحظة شهودكم، وكم يخترعون من بنات أفكارهم، أو كم يرون فعلياً، أو يظنون أنهم رأوا.

ابتسم نيل قليلاً وهو يقول: لا أحسب أننا بحاجة للشك فيما يتعلق بك يا آنسة جاكوبز؛ فمن شأنك أن تكوني شاهدة ممتازة.

- ولن يكون ذلك ممتعاً بالنسبة لي. ولكنه أمر يضطر المرء لخوضه فيما أرى.

- أخشى أن ذلك صحيح. شكراً لك يا آنسة جاكوبز.

ثم التفت حوله وقال: هل لدى أحد منكم أسئلة أخرى.

أشار بوارو إلى أن لديه أسئلة. توقفت الآنسة جاكوبز قرب الباب منزعجة وقالت: نعم؟

- فيما يخص تلك الإشارة إلى امرأة تُدعى لويز. هل عرفتِ من هي التي قصدتها الفتاة؟

- وكيف لي أن أعرف؟

- أليس ممكناً أن تكون قد قصدت السيدة لويز تشاربنتير؟ هل كنت تعرفين السيدة تشاربنتير؟

- لا.

- تعرفين أنها ألقت بنفسها مؤخراً من نافذة في هذا المُجمّع؟

- أعرف ذلك بالطبع. ولكني لم أكن أعرف أن اسمها الأول كان لويز، كما أنني لم أكن أعرفها معرفة شخصية.

- ولعلك لم تتمني مثل هذه المعرفة؟

- أنا لم أقل ذلك، فالمرأة ميتة الآن، ولكني سأعترف أن هذا صحيح تماماً. لقد كانت مستأجرة كريهة جداً، وكثيراً ما شكوناها -أنا وبعض الساكنين الآخرين- إلى الإدارة هنا.

وبعد أن تخلصت الآنسة جاكوبز من السيدة الراحلة تشاربنتير دون شفقة استأذنت بالانصراف.

تحول بوارو بانتباهه إلى أندرو ريستاريك وقال بلطف: هل أنا مُصيب في ظني يا سيد ريستاريك بأنك كنتَ ذات يوم تعرف السيدة تشاربنتير معرفة جيدة؟

لم يجبه ريستاريك لبضع لحظات، ثم تنهد بعمق ونقل نظرته إلى بوارو قائلاً: نعم، ذات يوم، منذ سنوات طويلة. وقد كنتُ أعرفها بشكل جيد جداً في الواقع... ولكن ليس باسم تشاربنتير، فقد كانت لويز بيريل عندما عرفتها.

- لقد كنتَ... كنتَ تحبها!

- نعم، كنتُ أحبها... كنتُ غارقاً في حبها حتى أذني! وقد تركتُ زوجتي من أجلها. ذهبنا معاً إلى جنوب أفريقيا. ولم يكد يمر عام حتى انهار الأمر كله، وعادت هي إلى إنكلترا. ولم أتلقّ منها شيئاً مرة أخرى. بل إنني لا أعرف ماذا حلّ بها.

- وماذا عن ابنتك؟ هل كانت تعرف أيضاً لويز بيريل؟

- ليس بحيث تتذكرها بالتأكيد. كانت طفلة في الخامسة من عمرها!

أصرّ بوارو قائلاً: ولكن هل كانت تعرفها؟

قال ريستاريك ببطء: نعم، كانت تعرف لويز. وأعني بذلك أن لويز جاءت إلى بيتنا. وكانت تلعب مع الطفلة.

- إذن فإن من الممكن أن تتذكرها الفتاة، حتى بعد مرور السنين، أليس كذلك؟

- لا أدري. إنني -ببساطة- لا أدري. لا أدري كيف أصبح شكلها، وما مدى التغيير الذي أصابها. فلم أرها ثانية أبداً كما قلتُ لك.

قال بوارو بلطف: ولكنك تلقيت منها أخباراً، أليس كذلك يا سيد ريستاريك؟ أعني أنك تلقيت منها أخباراً بعد عودتك إلى إنكلترا؟

ومرة أخرى ساد ذلك الصمت، ومرة أخرى زفر ريستاريك زفرة تعاسة عميقة وقال: "نعم... تلقيت منها أخباراً". ثم سأل بفضول مفاجئ: كيف عرفتَ ذلك يا سيد بوارو؟

أخرج بوارو من جيبه ورقة طويت بعناية، ففتحها وأعطاها لريستاريك الذي نظر إليها بشيء من العبوس المتحير.

عزيزي آندي،

لقد رأيت في الصحف أنك قد عدتَ إلى الوطن.. ينبغي أن نلتقي ونتبادل الحديث عما كنا نفعله كلانا طوال هذه السنين...

وانقطعت الرسالة هنا... ثم بدأت من جديد:

آندي... احزر ممن هذه الرسالة! لويز. إياك أن تتجرأ على القول إنك قد نسيتني!...

عزيزي آندي،

كما سترى من عنوان هذه الرسالة، فإنني أعيش في نفس

مجمّع الشقق الذي تسكنه سكرتيرتك. يا له من عالم صغير! يجب أن نلتقي. هل لك أن تأتي لزيارتي يوم الاثنين أو الثلاثاء من الأسبوع القادم؟ يجب أن أراك ثانية... لم يهمني أحدٌ أبداً غيرك... وأنت لم تنسني حقاً، أليس كذلك؟

سأل ريستاريك بوارو وهو ينقر على الورقة: من أين حصلتَ على هذه؟

- من صديقة لي، عبر شاحنة لنقل الأثاث.

ثم نظر إلى السيدة أوليفر.

نظر ريستاريك إليها نظرة عدم استحسان، فقاطعت نظرته قائلة: لم أكن أملك غير ذلك. أحسب أنهم كانوا ينقلون أثاثها، وقد أسقط الرجال أحد الأدراج من مكتب كانوا يحملونه، فتبعثرت منه عدة أشياء، وحملت الريح هذه الورقة عبر الباحة، وهكذا أخذتها وحاولتُ إعادتها إليهم، ولكنهم كانوا منزعجين ولم يقبلوا أخذها، وهكذا وضعتها في جيب معطفي دون تفكير. بل إنني لم أنظر إليها حتى مساء اليوم عندما كنتُ أفرغ محتويات جيوب المعطف لأرسله للتنظيف. ولذلك فإنها لم تكن حقاً غلطتي.

ثم سكتت وقد تقطعت أنفاسها قليلاً.

سأله بوارو: هل بعثت لك برسالتها مكتوبة في النهاية؟

- نعم... بعَثَتْها... بنسخة أكثر رسمية من هذه! ولم أجبها؛ إذ رأيتُ أن من الحكمة عدم الإجابة.

- ألم ترغب برؤيتها من جديد؟

- كانت آخر شخص أود رؤيته! كانت امرأة صعبة المراس بشكل كبير... كانت دوماً كذلك. وكنتُ قد سمعتُ عنها أشياء... منها أنها أصبحت تشرب كثيراً. مع... مع أشياء أخرى.

- هل احتفظتَ برسالتها لك؟

- كلا، بل مزقتها!

طرح الدكتور ستيلنغفليت سؤالاً مفاجئاً: هل سبق لابنتك أن تحدثت معك حول لويز في أي وقت؟

بدا ريستاريك غير راغب في الإجابة، فحثّه ستيلنغفليت قائلاً: فقد يكون هذا مهماً إن كانت قد تحدثت معك بشأنها.

- نعم، لقد ذكرتها مرة أمامي.

- ما الذي قالته بالضبط؟

- قالت بشكل مفاجئ تماماً: "لقد رأيت لويز قبل أيام يا أبي". فوجئتُ وقلت: "أين رأيتِها؟". قالت: "في مطعم المُجمّع الذي أسكنه". وقد أُحرجتُ قليلاً، ثم قلت: "إنني لم أتخيل أبداً أنك تتذكرينها"، فقالت: "أنا لم أنسَ أبداً. ما كانت أمي لتتركني أنسى، حتى لو أردتُ ذلك".

قال ستيلنغفليت: نعم، نعم، من شأن ذلك أن يكون مهماً بالتأكيد.

التفت بوارو فجأة إلى كلوديا وقال: وأنتِ يا آنسة، هل سبق

لنورما أن تحدثت معك حول لويز كاربنتر؟

- نعم... كان ذلك بعد الانتحار. قالت شيئاً عن كون المرأة شريرة. قالت ذلك بأسلوب طفولي بعض الشيء، إن كنتَ تفهم ما أعنيه.

- هل كنتِ أنت شخصياً هنا ليلة... أو بالأحرى صباح اليوم الذي انتحرت به السيدة كاربنتر؟

- لا، لم أكن هنا في تلك الليلة! كنت خارج المدينة. أذكر أنني وصلتُ إلى هنا في اليوم التالي وسمعتُ بالأمر.

ثم التفتت نصف التفاتة إلى ريستاريك قائلة: أتذكر؟ كان ذلك يوم الثالث والعشرين، وكنتُ قد ذهبتُ إلى ليفربول.

قال ريستاريك: نعم، بالطبع. ذهبتِ لتمثيلي في اجتماع مجلس وصاية هيفر.

قال بوارو: ولكن هل نامت نورما هنا في تلك الليلة؟

قالت كلوديا وهي تبدو غير مرتاحة: نعم.

وضع ريستاريك يده على ذراعها وقال: كلوديا؟ ما هو ذلك الشيء الذي تعرفينه عن نورما؟ لديك شيء... شيء تخفينه.

- لا شيء! وماذا عساني أعرف عنها؟

قال الدكتور ستيلنغفليت بنبرة حديث عابر: أنت تحسبين أنها مجنونة، أليس كذلك؟ وهذا ما تراه الفتاة ذات الشعر الأسود أيضاً.

ثم التفت فجأة إلى ريستاريك وقال: وهكذا ترى أنت أيضاً. إننا نتصرف جميعاً بكل أدب ونتجنب الموضوع ونحن نرى الشيء نفسه! باستثناء كبير المفتشين، فهو لا يفكر بشيء، بل يجمع الحقائق ليرى إن كانت مجنونة أم قاتلة. ماذا عنك يا سيدتي؟

قفزت السيدة أوليفر قائلة: أنا؟ إنني... لا أدري.

- أتريدين الاحتفاظ بحكمك؟ أنا لا ألومك؛ فالأمر صعب. ولكن أغلب الناس يتفقون -عموماً- على ما يرونه. كل ما في الأمر أنهم يستخدمون عبارات مختلفة في قول ذلك: مجنونة، معتوهة، فاقدة لصوابها، مهلوِسة... إلخ. هل يعتقد أي امرئ أن الفتاة عاقلة؟

قال بوارو: الآنسة باترسبي تعتقد ذلك.

- ومن هي الآنسة باترسبي بالله عليك؟

- مديرة مدرسة.

- لو قُدِّر لي أن أُرزق بابنة لأرسلتها إلى تلك المدرسة... أما أنا فوضعي مختلف؛ **فأنا أعرف**، أعرف كل شيء عن تلك الفتاة!

حدّق والد نورما به ثم سأل كبيرَ المفتشين: من هو هذا الرجل؟ وماذا عساه يعني بقوله إنه يعرف كل شيء عن ابنتي؟

قال ستيلنغفليت: إنني أعرف كل شيء عنها لأنها كانت تحت رعايتي الطبية خلال الأيام العشرة الماضية.

قال كبير المفتشين: إنه الدكتور ستيلنغفليت، وهو طبيب نفسي بارع ومشهور.

- وكيف أتت لتصبح بين مخالبك... دون أن يحصل أحدٌ على موافقتي أولاً؟

أومأ الدكتور ستيلنغفليت باتجاه بوارو وقال: اسأل هذا الشارب!

- أنت... أنت...

لم يكد ريستاريك يستطيع الكلام لفرط غضبه. وتكلم بوارو بهدوء: لقد كانت لديّ تعليماتٌ منك. لقد أردتَ رعاية ابنتك وحمايتها عند العثور عليها. وقد عثرتُ عليها... واستطعتُ إثارة اهتمام الدكتور ستيلنغفليت بحالتها. لقد كانت في خطر يا سيد ريستاريك... في خطر شديد مُحدق.

- لا يمكن أن تكون في خطر أكثر مما هي فيه الآن، وقد اعتُقلت بتهمة القتل!

تمتم كبير المفتشين قائلاً: "إنها لم تُتهم بعدُ بالمعنى الفني للكلمة". ثم وجّه كلامه إلى الطبيب قائلاً: دكتور ستيلنغفليت، هل أفهم من هذا أنك مستعد لتقديم رأيك المهني فيما يتعلق بالحالة العقلية للآنسة ريستاريك، ومدى معرفتها بطبيعة ومعنى أفعالها؟

قال ستيلنغفليت: يمكننا توفير كلامنا حول المسؤولية الجنائية للمحكمة. إن ما تريد معرفته الآن هو -بكل بساطة- ما إذا كانت الفتاة مجنونة أم عاقلة؟ حسناً، سأخبرك بذلك. إن هذه الفتاة عاقلة... وهي لا تقلُّ عقلاً عن أي واحد منكم أيها الجالسون هنا في هذه الغرفة!

* * *

الفصل الرابع والعشرون

حدّق الجميع به، فقال: أنتم لم تتوقعوا هذا، أليس كذلك؟

قال ريستاريك بغضب: أنت مخطئ. إن تلك الفتاة لا تعرف ما فعلته. إنها بريئة... بريئة تماماً. لا يمكن اعتبارها مسؤولة عن شيء لا تعرف أنها فعلته.

- دعني أتكلم قليلاً؛ فأنا أعرف ما أتكلم عنه، وأنت لا تعرف. تلك الفتاة عاقلة ومسؤولة عن أفعالها. وسنُحضرها بعد دقائق لتتكلم عن نفسها. فهي الوحيدة التي لم تُتح لها فرصة الحديث عن نفسها! نعم، إنهم ما زالوا يحتفظون بها هنا... أقفلوا عليها باب غرفة نومها مع مشرفة من الشرطة. ولكن قبل أن نسألها بضع أسئلة لديّ شيء أقوله، ومن الأفضل أن تستمعوا له قبل ذلك. فعندما جاءتني تلك الفتاة كانت مشبَعَة بالمخدرات.

صاح ريستاريك: وهو الذي أعطاها إياها! ذلك الفتى المنحط السافل.

- لا شك أنه هو الذي بدأ ذلك معها.

قال ريستاريك: الحمد لله، الحمد لله على ذلك.

- ما الذي تحمد الله عليه؟

- لقد أسأتُ فهمك. ظننتُك تريد إلقاءها بين مخالب الأسود عندما ظللتَ تُلحّ على أنها عاقلة. لقد أسأتُ الحكم عليك. لقد كانت المخدرات هي من فَعَلَ ذلك... المخدرات هي التي جعلتها تفعل أشياء ما كانت لتفعلها أبداً بمحض إرادتها، وتركتها دون معرفة منها أنها تفعلها.

رفع ستيلنغفليت صوته قائلاً: لو تركتني أتكلم قليلاً بدل أن تتكلم أنت كل هذا الكلام وتُظهر ثقتك الزائدة بأنك تعرف كل شيء، فربما أمكننا التقدم قليلاً. وفي البداية أقول **إنها ليست** مدمنة. ليست عليها آثار لِحُقَن، بل لقد كان أحدهم -وربما كان هو الفتى أو غيره- يدس لها المخدرات دون معرفة منها. ليس مجرد حبة أو اثنتين من الأنواع السائدة الحديثة، بل خلطة مخدرات تثير الاهتمام. حبوب من تلك التي تجعل المرء يرى سلسلة من الأحلام الزاهية أو الكوابيس أو الرؤى السعيدة، وبعض الأعشاب التي تشوه إحساس المرء بالوقت بحيث تظن أن تجربة ما قد استغرقت ساعة كاملة بدلاً من بضع دقائق، والكثير غير ذلك من المواد الأخرى التي لا أنوي جعل أحدٍ منكم يعرفها. لقد قام شخص بارع في استخدام المخدرات بالعبث عبثاً سيئاً جداً بتلك الفتاة، وقد لعب ذلك كله دوره في السيطرة عليها، وفي إظهارها **أمام نفسها** كشخص مختلف كلياً.

قاطعه ريستاريك قائلاً: هذا ما أقوله. لم تكن نورما مسؤولة! لقد كان أحدهم ينومها مغنطيسياً لتقوم بهذه الأعمال.

- أنت لم تفهم النقطة بعد! ما من أحد يستطيع جعل الفتاة تفعل ما لا تريد فعله! إن ما كان بوسعهم فعله هو أن يجعلوها تظن أنها قد فعلت ذلك. سوف ندخلها الآن ونجعلها ترى ما الذي كان يحدث لها.

ثم نظر متسائلاً إلى كبير المفتشين نيل الذي أومأ له موافقاً.

وبينما كان ستيلنغفليت يخرج من الغرفة التفت إلى كلوديا قائلاً لها: أين وضعتِ تلك الفتاة الأخرى، الفتاة التي أخذتِها من الآنسة جاكوبز، هل أعطيتها مُهدئاً أيضاً؟ أهي في غرفتها على سريرها؟ من الأفضل أن تهزّيها قليلاً وتأتي بها إلى هنا؛ فسوف نحتاج إلى كل ما يمكننا الحصول عليه من مساعدة.

خرجت كلوديا أيضاً من الغرفة.

عاد ستيلنغفليت وهو يدفع نورما أمامه ويُطلق عبارات التشجيع: هيا، فتاة طيبة... لن يعضك أحد. اجلسي هناك.

جلست طائعة، وكان انقيادها ما يزال مخيفاً بعض الشيء. وبقيت مشرفة الشرطة مرتبكة عند الباب وكأنها مُحرَجة.

قال الدكتور ستيلنغفليت لنورما: كل ما أطلبه منك هو قول الحقيقة، وهذا ليس صعباً كما تظنين.

دخلت كلوديا مع فرانسيس كاري. كانت فرانسيس تتثاءب بشدة، وقد تدلى شعرها الأسود كستارة تخفي نصف فمها الذي لم يتوقف عن التثاؤب. قال لها ستيلنغفليت: أنت بحاجة إلى مُنبّه ما.

تمتمت قائلة دون وعي: ليتني أعود إلى النوم.

قال الدكتور ستيلنغفليت: لن تُتاح لأحد فرصة النوم قبل أن أنتهي منه! والآن يا نورما، أجيبي عن أسئلتي... إن تلك المرأة الساكنة في نهاية الممر تقول إنك اعترفتِ لها بأنك قتلتِ ديفيد بيكر. هل هذا صحيح؟

قال صوتها الخانع: نعم، لقد قتلتُ ديفيد.

- طعنتِه طعناً؟

- نعم.

- كيف تعرفين أنك طعنتِه؟

نظرت إليه بشي من الحيرة وقالت: لا أدري ماذا تعني. لقد كان هنا على الأرض... ميتاً.

- أين كانت السكين؟

- أنا أخذتها.

- أكانت عليها دماء؟

- نعم، وعلى قميصه.

- كيف كان ملمس الدماء على السكين؟ الدم الذي لطّختِ به يديك واضطررتِ لغسله... أكان رطباً؟ أم أشبه بمربى الفراولة؟

- بل كان كمربى الفراولة... دبِقاً.

ثم ارتعدت وقالت: اضطررتُ للذهاب وغسل يديّ.

- فتاة عاقلة. حسناً، هذا يجعل الأمر كله منسجماً واضحاً. الضحية، والقاتل... وهو أنت... وكل شيء كامل، مع السلاح. هل تذكرين قيامك فعلاً بذلك؟

- كلا... لا أذكر ذلك... ولكن لا بد أنني فعلتُها، أليس كذلك؟

- لا تسأليني؛ فلم أكن هناك! أنت التي تقولين ذلك. ولكن وقعت عملية قتل أخرى قبل هذه، أليس كذلك؟ حادثة قتل سابقة.

- أتعني... لويز؟

- نعم، أعني لويز... متى فكرتِ بقتلها لأول مرة؟

- منذ سنوات. آه، منذ سنوات طويلة.

- عندما كنتِ طفلة.

- نعم.

- لقد اضطررتِ للانتظار طويلاً، أليس كذلك؟

- كنتُ قد نسيت كل شيء عن هذا الأمر.

- حتى رأيتِها ثانية وميّزتِها؟

- نعم.

- عندما كنتِ طفلة كنتِ تكرهينها، لماذا؟

- لأنها أخذت أبي.

- وجعلَتْ أمك تعِسة؟

- لقد كرهتُ أمي لويز. قالت إن لويز كانت امرأة شريرة.

- أحسب أنها تكلمت عنها كثيراً معك، أليس كذلك؟

- بلى. ليتها لم تتكلم... لم أحب الاستمرار في السماع.

- كان ذلك رتيباً مملاً... أعرف. الكراهية ليست شعوراً منتجاً مبدعاً. عندما رأيتِها ثانية، هل أردتِ حقاً قتلها؟

بدت نورما وكأنها تفكر. وبدت على وجهها نظرة اهتمام بسيطة، وقالت: أتعلم أنني لم أُرد ذلك حقاً.. بدا كل ذلك مسألة قديمة جداً. ولم أستطع تصور نفسي... لهذا السبب...

- لهذا السبب لم تكوني واثقة من أنك قتلتِها؟

- نعم. لقد راودتني فكرة مستهجنة بأنني لم أقتلها أبداً. وبأن ذلك كله كان حلماً. وأنها قد تكون رمت نفسها فعلاً من النافذة.

- حسناً... ولماذا لا يكون الأمر كذلك؟

- لأنني عرفتُ أنني فعلتُ ذلك... قلتُ إنني فعلته.

- لقد قلتِ إنك أنت مَن فعل ذلك؟ لمن قلتِ ذلك؟

هزّت نورما رأسها وقالت: يجب أن لا أقول ذلك... فقد كانت امرأة حاولت أن تكون لطيفة معي... أن تساعدني. قالت إنها ستتظاهر بعدم معرفة شيء عن الأمر.

ثم مضت والكلمات تخرج منها سريعة منفعلة: كان ذلك خارج باب لويز، باب الشقة ٧٦، وكنتُ خارجة لتوي منه. ظننتُ أنني كنتُ أمشي في نومي. وقد قالت إن حادثاً قد وقع. تحت في الباحة.

ويقيت تقول لي أنْ لا علاقة لي بالأمر، وأن أحداً لن يعرف أبداً... ولم أستطع أن أتذكر ما فعلتُه... ولكن كانت تلك في يدي...

- تلك؟ ما هي تلك؟ أتعنين دماً؟

- كلا، ليس دماً... بل مزقة من الستارة. عندما دفعتها من النافذة.

- أتتذكرين دفعك لها من النافذة؟

- كلا، كلا. وهذا هو الفظيع في الأمر. لم أتذكر شيئاً. ولذلك كنتُ آمل. ولذلك ذهبتُ إليه.

وأشارت برأسها إلى بوارو. ثم عادت فالتفتت إلى الدكتور ستيلنغفليت قائلة: إنني لم أتذكر أبداً الأشياء التي فعلتُها، لم أتذكر أياً منها. ولكنني أصبحتُ أخاف أكثر فأكثر. لأن فترات طويلة من الوقت أخذت تغيب عن ذهني... ساعات تمر كصفحة بيضاء تماماً لا يمكنني تفسيرها، ولا أستطيع أن أتذكر أين كنتُ خلالها أو ما الذي فعلتُه بها. ولكنني كنتُ أجدُ أشياء... أشياء لا بد أنني خبأتها بنفسي. فقد كانت ماري قد تسممت على يدي، وقد اكتشفوا في المستشفى أنها سُممت. وقد وجدتُ قاتل الأعشاب الضارة الذي خبأتُه في الدرج. وفي الشقة هنا كانت عندي سكينة مطواة، وكان عندي مسدس لا أذكر حتى إنني اشتريته! إنني أقتل الناس فعلاً، ولكني لا أتذكر قتلي لهم، ولذلك فإنني لستُ قاتلة حقاً... إنني مجرد... مجنونة! لقد أدركتُ ذلك في النهاية. إنني مجنونة، ولا أملك لذلك دفعاً. لا يمكن للناس أن يلوموك إن كنتَ تفعل

أموراً وأنت مجنون. ولئن كان بوسعي القدوم إلى هنا وقتل ديفيد، فهذا يُظهر أنني مجنونة، أليس كذلك؟

- أتحبين كثيراً أن تكوني مجنونة؟

- إنني... نعم، أحسب أني أحب ذلك.

- إن كان الأمر كذلك فلماذا اعترفت لإحداهن بأنك قتلتِ امرأة بدفعها من النافذة؟ من هي التي أخبرتِها بذلك؟

أدارت نورما رأسها مترددة. ثم رفعت يدها وأشارت قائلة: أخبرتُ كلوديا.

نظرت كلوديا إليها بازدراء وقالت: هذا غير صحيح إطلاقاً. أنت لم تقولي لي أبداً شيئاً كهذا.

- بل قلت... قلت.

- متى؟ أين؟

- إني... لا أدري.

قالت فرانسيس بشيء من الإبهام: لقد قالت لي إنها اعترفت لك بالأمر كله. وقد رأيتُ -بصراحة- أنها كانت هستيرية، وأنها تلفق القصة كلها.

نظر ستيلنغفليت إلى بوارو فقال الأخير بحيادية: يمكن أن تكون قد لفقت الأمر كله بوجود الكثير مما يمكن أن يدعم هذا الرأي، ولكن إن كان الأمر كذلك فإن علينا أن نجد دافعاً، دافعاً قوياً، لرغبتها في موت هذين الشخصين، لويز كاربنتر وديفيد بيكر.

أيكون الدافع كرهاً طفولياً انتهى ونُسي أمره منذ زمن بعيد؟ هذا هراء. وبالنسبة لديفيد، هل يكون الدافع مجرد التحرر منه؟ ليس لهذا تَقتُلُ الفتيات! إننا نريد دوافع أفضل من هذه. ولنقل مثلاً مبلغاً هائلاً من المال يثير جنون المرء!... الجشع!

ثم نظر حوله وتغير صوته ليصبح ذا نبرة تقليدية وهو يقول: إننا بحاجة إلى مساعدة صغيرة أخرى. ما يزال شخصٌ ينقص جلستنا هذه. لقد استغرقت زوجتك وقتاً طويلاً للالتحاق بنا هنا يا سيد ريستاريك؟

- لا أدري أين أصبحت ماري. لقد اتصلتُ بالقرية، وقد تركت كلوديا رسائل في كل مكان استطعنا تخيله. كان ينبغي -بعد مرور هذا الوقت- أن تتصل بنا على الأقل من مكان ما.

قال هيركيول بوارو: ربما كانت فكرتنا خاطئة. ربما كانت السيدة موجودة هنا جزئياً على الأقل... إذا صح التعبير.

صاح ريستاريك بغضب: ما الذي تعنيه بالله عليك؟

مال بوارو نحو السيدة أوليفر وقال: هل تسمحين لي بإزعاجك يا سيدتي العزيزة.

حدقت السيدة أوليفر إليه فقال: أريد المغلف الذي ائتمنتُك عليه...

دست السيدة أوليفر يدها في حقيبة تسوقها ثم أخرجت المغلف الأسود وأعطته إياه.

سمع شهقة حادة قربه، ولكنه لم يلتفت.

فكّ المغلف برقة ثم أخرج... باروكة من الشعر الذهبي المنفوش، وقال: إن السيدة ريستاريك ليست هنا، ولكن باروكتها هنا... أمر مثير!

سأله نيل: من أين -بالله عليك- حصلتَ على هذه يا بوارو؟

- من حقيبة سفر الآنسة فرانسيس كاري، حيث لم يُتح لها -بعدُ- أن تُخرجها منها. هل لنا أن نرى كيف تنسجم مع شكلها؟

وبحركة بارعة واحدة نحّى جانباً الشعر الأسود الذي يحجب وجه فرانسيس بشكل كامل. وبعد أن تُوِّجت بهالة ذهبية من الشعر -قبل أن تستطيع الدفاع عن نفسها- حدّقت بهم جميعاً.

هتفت السيدة أوليفر: يا إلهي... إنها ماري ريستاريك!

كانت فرانسيس تتلوى كحية غاضبة. وقفز ريستاريك من مقعده ليأتي إليها... ولكن أوقفته قبضة نيل القوية وهو يقول له: كلا، لا نريد أي عنف منك. لقد انتهت اللعبة يا سيد ريستاريك... أم هل أسميك روبرت أورويل؟!

خرج من فم الرجل سيل من البذاءة، وعلا صوت فرانسيس بحدة وهي تقول: اخرس أيها الأحمق التعِس!

* * *

ترك بوارو الباروكة وذهب إلى نورما وأخذ يدها بلطف بين يديه قائلاً: لقد انتهت محنتك يا طفلتي. لن تتم التضحية بالضحية مرة أخرى؛ فلا أنت بالمجنونة، ولا أنت قتلت أحداً. لقد تآمر عليك مخلوقان قاسيان لا قلب لهما، بمخدرات تُدس بكل مكر،

وبالكذب، وفعلا كل ما بوسعهما حتى يقوداك إما إلى الانتحار أو إلى أن تقتنعي بجنونك.

راحت نورما تحدق برعب إلى المتآمر الثاني. قالت: أبي أنا؟ أبي أنا؟! أيمكنه أن يفكر بفعل ذلك بي أنا، ابنته. أبي الذي أحبني...

- ليس أباك يا ابنتي... بل هو رجل جاء إلى هنا بعد وفاة أبيك ليقوم بدوره ويضع يده على الثروة الهائلة. وكان بوسع شخص واحد أن يميزه... أو أن يميِّز -بالأحرى- أن هذا الرجل **لم يكن أندرو ريستاريك**... وأعني المرأة التي كانت صديقة أندرو ريستاريك قبل خمسة عشر عاماً.



الفصل الخامس والعشرون

جلس أربعة أشخاص في غرفة بوارو. كان بوارو في كرسيه المربع يشرب كأساً من عصير التوت، وجلست نورما والسيدة أوليفر على الأريكة. بدت السيدة أوليفر فَرِحةً بشكل خاص بثوب أخضر فاتح لا يليق بها، تعلوه واحدة من أكثر تسريحاتها تعقيداً. وكان الدكتور ستيلنغفليت جالساً على كرسي وقد مدّ ذراعيه وساقيه بحيث بدت ساقاه وكأنهما ستصلان إلى منتصف الغرفة.

قالت السيدة أوليفر بصوت فيه نبرة اتهام: والآن، بقي الكثير من الأمور التي أريد معرفتها.

سارع بوارو إلى صب الزيت على النار: ولكن، يا سيدتي العزيزة، فكّري. لا أكاد أستطيع التعبير عن مقدار ما أنا مدين لك به. إن كل... كل أفكاري الجيدة أنتِ التي اقترحتِها عليّ.

نظرت إليه السيدة أوليفر بارتياب، فقال: ألم تكوني أنت من عرّفني بعبارة «الفتاة الثالثة»؟ لقد كانت بدايتي من هذه العبارة... وعندها انتهيت أيضاً... عند الفتاة الثالثة من ثلاث فتيات يعشن في شقة. لقد كانت نورما -دوماً- الفتاة الثالثة من الناحية الفنية للكلمة،

ولكن عندما نظرتُ إلى الأمور من الزاوية الصحيحة استقر كل شيء في مكانه واتضح. الجواب المفقود، القطعة المفقودة من اللغز، كانت في كل مرة هي نفسها: الفتاة الثالثة. الشخص الثالث، إن كنتم تفهمونني... **الشخص الغائب غير الموجود هناك**. كانت مجرد اسم بالنسبة لي، لا أكثر.

قالت السيدة أوليفر: إنني أتعجب من عدم ربطي بينها وبين ماري ريستاريك، فقد رأيت ماري في منزل كروسهيدجيز وتحدثتُ معها. وبالطبع فإن فرانسيس كاري كانت ذات شعر أسود يتدلى على وجهها كله عندما رأيتها أول مرة... وكان من شأن ذلك أن يضلل أي شخص!

قال بوارو: مرة أخرى كنتِ أنت -يا سيدتي- من لفت انتباهي إلى السهولة التي يتغير بها شكل المرأة بمجرد تغيير تسريحتها. تذكري أن فرانسيس كاري كانت قد تلقت تدريباً مسرحياً، وهي تستطيع تغيير صوتها عند الحاجة. وبصفتها فرانسيس، كان لها شعر أسود طويل يؤطر وجهها ويكاد يخفيه، ومساحيق كثيفة تضعها ذات لون أبيض تماماً، وحاجبان تخططهما بقلم أسود، مع صوت خشن ممطوط الأحرف. أما باعتبارها ماري ريستاريك، فقد كانت باروكتها من الشعر الذهبي المرتب بشكل رسمي مع تموجات صغيرة فيه، وملابسها تقليدية، ولهجتها لا تخلو من لهجة أهل المستعمرات وطريقة كلامها السريعة، مما جعلها تشكل نقيضاً كاملاً لفرانسيس. ومع ذلك شعر المرء منذ البداية بأنها **لم تكن حقيقية**. أي نوع من النساء كانت؟ لم أعرف. لم أكن ذكياً فيما يتعلق بها... نعم... أنا -هيركيول بوارو- لم أكن ذكياً أبداً.

قال الدكتور ستيلنغفليت: اسمعوا، اسمعوا، إنها المرة الأولى التي أسمعك تقول فيها ذلك يا بوارو! إن عجائب الدنيا لن تنقضي!

قالت السيدة أوليفر: لا أرى -حقاً- لماذا رغبت في تمثيل شخصيتين؛ فهذا يبدو أمراً مربكاً دون ضرورة.

أجابها بوارو: كلا، كان ذلك مهماً جداً بالنسبة لها؛ فقد منحها عُذرَ غياب دائماً كلما احتاجت له. إن ما يزعجني هو أن الأمر كان أمام عينيّ طوال الوقت، ولم أنتبه له! كانت أمامي مسألة الباروكة... وقد بقيتُ قلقاً -لاشعورياً- من مسألة الباروكة ولكني لم أدرك سبب قلقي. امرأتان مختلفتان... لم تُشاهدا معاً أبداً في أي وقت. وحياة كلٍّ منهما مرتبة بحيث لا يلاحظ أحدٌ الفجوات الكبيرة في جداول أوقاتهما عندما تغيبان دون مبرر. فماري تذهب كثيراً إلى لندن؛ لتتسوق، وتزور المكاتب العقارية، وتغادر محملة بالكثير من العروض التي يُفترض أن تُمضي وقتها في معاينتها. وفرانسيس تسافر إلى بيرمنغهام ومانشيستر، بل إنها تسافر خارج البلد، وتتردد على تشيلسي مع شُلتها الخاصة من الشباب هواة الفن الذين تستخدمهم بعدة طرق لا يُقرها القانون...

لقد تم تصميم إطاراتِ لوحاتٍ خاصة لقاعة ويديربيرن. وكان للفنانين الشباب الصاعدين «عروض» تُقام هناك، وكانت لوحاتهم تلقى رواجاً جيداً وتُشحن إلى الخارج أو تُرسل إلى معارض وقد حُشيت إطاراتها بأكياس سرية من الهيروين... خدع فنية وعمليات تزييف بارعة لأولئك الرسامين العظام ممن لا تكون أعمالهم مشهورة

على نطاق واسع... لقد كانت ترتب وتنظم كل هذه الأمور. وقد كان ديفيد بيكر أحد الرسامين الذين استخدمتهم. لقد كانت لديه موهبة التقليد الرائع للأعمال الفنية.

تمتمت نورما قائلة: يا للمسكين ديفيد! عندما قابلتُه أول مرة ظننتُ أنه رائع.

قال بوارو بشكل حالم: تلك الصورة... دائماً، دائماً كنتُ أعود لها في عقلي. لماذا أحضرها ريستاريك إلى مكتبه؟ ما هي أهميتها الخاصة بالنسبة له؟ تباً، إنني لا أنظر لنفسي بعين الرضا نتيجة هذا الغباء مني.

- لم أفهم مسألة الصورة هذه.

- كانت فكرة ذكية جداً، وقد أدت مفعولها كنوع من شهادة هويّة. لوحتان لزوج وزوجته رسمهما فنان كان مشهوراً ومحبوباً في زمانه... ولكن عندما أُخرجت اللوحتان من المخزن قام ديفيد بيكر باستبدال صورة من صور أورويل بصورة ريستاريك الحقيقية (بعد أن صوّره وكأنه أصغر بعشرين سنة من عمره الآن). ما كان من شأن أحد أن يحلم أن الصورة كانت زائفة؛ فالأسلوب وضربات الفرشاة، وقماش اللوحة، كل ذلك كان عملاً مقنعاً إلى حدٍ رائع. وقد علقها ريستاريك فوق مكتبه. وقد كان من شأن أي شخص عرف ريستاريك الحقيقي منذ سنوات طويلة أن يقول: "إنني لم أكد أعرفك!"، أو: "لقد تغيرتَ كثيراً"، ثم ينظر إلى اللوحة فيظن أنه هو الذي نسي كيف كان شكل ريستاريك من قبل!

قالت السيدة أوليفر متأملة: لقد كانت تلك مجازفة كبرى بالنسبة لريستاريك... أو بالأحرى لأورويل.

-ليس بالقدر الذي تتصورينه. فهو لم يكن ليقلق من شيء في ماضيه؛ بل كان مجرد عضو في شركة مشهورة في لندن، عاد إلى الوطن بعد وفاة أخيه ليسوّي شؤون الشركة بعد أن قضى بضع سنوات في الخارج. وقد أحضر معه زوجة شابة تزوجها مؤخراً في الخارج، وسكن مع خالٍ عجوز نصف أعمى. وهذا الخال (وكان خالاً غير مباشر أيضاً) لم يعرف ريستاريك أبداً بشكل جيد منذ أن كان صبياً في المدرسة، وقد قبله دون سؤال. لم يكن له أقارب مُقرّبون آخرون باستثناء ابنته التي لم يرها منذ أن كانت في الخامسة من عمرها. وعندما غادر في الأصل إلى جنوب أفريقيا كان في مكتب الشركة موظفان عجوزان، وقد توفيا بعد ذلك، وصغار الموظفين لا يبقون في مكان واحد لفترة طويلة في هذه الأيام، ومحامي العائلة ميت أيضاً. يمكنكم أنْ تتأكدوا أن الوضع كله قد دُرس بمنتهى العناية على أرض الواقع من قبل فرانسيس بعد أن قرر الاثنان القيام بمغامرتهما.

ويبدو أنها قابلته في كينيا منذ نحو عامين. كان الاثنان مجرمَين منحرفَين، رغم أن لكل منهما اهتمامات مختلفة تماماً. فقد دخل هو في صفقات زائفة باعتباره من أصحاب امتيازات التنقيب، حيث ذهب ريستاريك وأورويل معاً للبحث عن احتياطيات المعادن في بلد ناءٍ، ثم سرت شائعة بأن ريستاريك قد مات (وربما كانت صحيحة) ولكن تم فيما بعد نقضُها.

قال ستيلنغفليت: أحسب أن هذه المغامرة قد انطوت على الكثير من المال، أليس كذلك؟

- لقد انطوت على مبالغ هائلة. كانت مقامرة رهيبة... من أجل مبلغ رهيب، وقد نجحت.

كان أندرو ريستاريك نفسه رجلاً واسع الثراء، كما كان وريثاً لأخيه. ولم يشكّ بهوية «الأخ العائد إلى البلاد بعد سنوات طويلة» أحدٌ في البداية، ولكن، بعد ذلك، بدأت الأمور تسوء؛ فقد أتته -من بطن الغيب- رسالة من امرأة كان من شأنها أن تعرف فوراً أنه ليس أندرو ريستاريك لو قابلته وجهاً لوجه، كما ناله طرف آخر من سوء الحظ أيضاً... فقد بدأ ديفيد بيكر بابتزازه.

قال ستيلنغفليت متأملاً: أحسب أن ذلك كان أمراً يجب توقعه.

- ولكنهما لم يتوقعاه؛ إذ أن ديفيد لم يسبق له أن مارس الابتزاز. ولكني أحسب أن الثروة الهائلة لهذا الرجل هي التي لعبت بعقل ديفيد؛ فقد بدا له المبلغ الذي تقاضاه مقابل تزوير اللوحة ضئيلاً جداً أمام تلك الثروة، فأراد المزيد. وهكذا كتب له ريستاريك شيكاً بمبلغ ضخم، وتظاهر بأن ذلك كان لمصلحة ابنته... ليمنعها من الإقدام على زواج غير مناسب. لا أدري إن كان قد أراد فعلاً الزواج بها... ربما كان ينوي ذلك. ولكن ابتزاز شخصين مثل أورويل وفرانسيس كان أمراً بالغ الخطورة.

سألته السيدة أوليفر: أتعني أن هذين الشخصين قد خططا بكل دمٍ بارد لقتل إنسانين... هكذا بكل هدوء؟

بدت وكأنها تشعر بقرف من ذلك. أجابها بوارو: كان من الممكن أنْ يُضيفاك أنتِ أيضاً إلى القائمة يا سيدتي.

- أنا؟ أتعني أن أحدهما هو الذي ضربني على رأسي؟ أحسبها فرانسيس، أليس كذلك؟ وليس الطاووس المسكين.

- لا أحسب أن من ضربك هو ديفيد. كنتِ قد زرتِ بورودين مانشينز من قبل، وربما كنتِ الآن تلاحقين فرانسيس إلى تشيلسي حاملة معك قصة مريبة لتبرير ذلك، أو هكذا ظنّتْ هي. وهكذا انسلت خارجة ووجهت لك ضربة لطيفة بسيطة لتجازيك على فضولك مؤقتاً. ما كنتِ تصغين إليّ عندما حذرتُك بأن في الأمر خطراً.

- ما كنتُ لأتوقع ذلك منها! ولكن لماذا...

نظرت إلى نورما، ثم إلى بوارو وقالت وهي تشير إلى نورما: لقد استخدموها... عن عمد... لعبوا بأعصابها، وخدروها، وجعلوها تصدق أنها قتلت شخصين. لماذا؟

- لأنهما أرادا ضحية...

ثم نهض عن كرسيه وذهب إلى نورما قائلاً: يا طفلتي، لقد مررتِ بمحنة فظيعة، وهو أمر يجب أن لا يحدث لك ثانية أبداً. تذكّري ذلك الآن، إن بوسعك أن تمتلكي الآن الثقة بنفسك دوماً. إن معرفتك -عن كثب- بمعنى الشر المطلق تعني أنك ستكونين محصنة ضد ما يمكن للحياة أن تأتي به إليك.

قالت نورما: أحسب أنك مُصيب في ذلك. إنه لشيء مخيف

أن يظن المرء أنه مجنون... وأن يُصدِّق حقاً أنه كذلك. إنني لا أفهم -حتى في هذا الوقت- كيف نجوت... كيف تمكّن أيٌّ شخص من أن يؤمن بأنني لم أقتل ديفيد... في وقتٍ آمنت فيه أنا بأنني قتلته؟

قال ستيلنغفليت بنبرة واقعية: كان الدم هو السبب؛ إذ كان قد تخثر. وكان قميصه قد تصلب مما عليه من دماء كما قالت الآنسة جاكوبز، ولم يكن مغمساً بالدماء. كان المُفترض أنكِ قتلتِه قبل خمس دقائق من مشهد صراخ فرانسيس.

قالت السيدة أوليفر وقد بدأت تدرك الأمور: كيف استطاعت... لقد كانت في مانشيستر...

قال ستيلنغفليت: لقد عادت إلى البيت في قطار مبكر، وغيرت شكلها في القطار واضعةً باروكة ماري وزينتها. ثم ذهبت إلى بورودين مانشينز، وصعدت في المصعد كفتاة شقراء مجهولة ودخلت الشقة حيث كان ديفيد بانتظارها كما طلَبَتْ منه. ولم يكن ليرتاب أبداً عندما طعنته. ثم خرجت ثانية، وأخذت تراقب إلى أن رأت نورما قادمة. وعندها انسلّت إلى أحد المرافق العامة حيث غيرت شكلها، وانضمت إلى صديقة لها عند نهاية الشارع فمشت معها، ثم ودعتها عند بورودين مانشينز وصعدت بصفتها فرانسيس وقامت بذلك المشهد... وأظنها استمتعت بتأديته. ولكن لا بد لي من القول -يا نورما- إنك قد وضعتِنا في موقف حرج جداً في ذلك اليوم، وذلك بإصرارك الغريب ذاك على أنك قتلتِ الجميع.

- لقد أردت أن أعترف وأنتهي من الأمر كله... هل... هل ظننتَ إذن أنني ربما أكون قد قتلتهما فعلاً؟

- أنا؟ ماذا تحسبينني؟ إنني أعرف ما يمكن وما لا يمكن لمرضاي أن يفعلوه. ولكني رأيتُ أنك ستجعلين الأمور بالغة الصعوبة. لم أعرف إلى أي مدى يمكن لكبير المفتشين نيل أن يكون جريئاً في الدفاع عنك رغم ما قد يتعرض له من انتقاد. لم يبدُ لي تصرفه ضمن الإجراءات المعتادة للشرطة. انظري إلى الطريقة التي طاوع بوارو بها.

ابتسم بوارو وقال: أنا ونيل متعارفان منذ سنوات طويلة، وفوق ذلك فقد كان يقوم بتحريات حول بعض الأمور أصلاً. إنكِ -يا نورما- لم تكوني أبداً خارج باب لويز في الواقع؛ إذ أن فرانسيس قامت بتغيير الأرقام، حيث بدلت وضع رقمي ٦ و ٧ على بابكم نفسه. فقد كانت تلك الأرقام رخوة يسهل اقتلاعها وإعادة تركيبها، وكانت كلوديا غائبة في تلك الليلة. وهكذا خدّرتك فرانسيس بحيث أصبح الأمر كله بالتسبة إليكِ كابوساً.

قالت نورما: لقد رأيتُ الحقيقة فجأة... فالشخص الوحيد الآخر الذي كان بوسعه أن يقتل لويز هو **الفتاة الثالثة الحقيقية**، فرانسيس كاري.

قال لها ستيلنغفليت: أتعلمين أنك كنتِ تدركين ذلك نصف إدراك، إذا صح التعبير، وذلك عندما شرحتِ لي كيف يبدو لك أن كل شخص يتحول إلى شخص آخر.

نظرت نورما إليه وهي تتأمل ثم قالت له: لقد كنتَ وقحاً جداً مع الناس.

بدا وكأنه فوجئ بقولها، وقال: وقحاً؟

- أعني في الأشياء التي قلتَها للجميع، والطريقة التي صرختَ بها عليهم.

- آه، نعم... حسناً، ربما كنتُ كذلك... لقد غضبتُ قليلاً. إن الناس مزعجون جداً.

ثم ابتسم فجأة لبوارو وقال: إنها فتاة رائعة، أليس كذلك؟

نهضت السيدة أوليفر واقفة وهي تتنهد وقالت: "يجب أن أذهب إلى بيتي". ثم نظرت إلى الرجلين، ثم إلى نورما وقالت: ماذا ستفعلان بها؟

بدا الاثنان وقد فوجئا، فمضت قائلة: أعرف أنها تقيم معي في الوقت الحاضر، وهي تقول إنها سعيدة تماماً. ولكني أقصد أن الأمر يحتاج إلى قرار؛ إذ يوجد لديكِ الآن -يا نورما- الكثير الكثير من المال لأن والدكِ (وأعني بذلك والدكِ الحقيقي) قد ترك كل شيء لك. وسيسبب ذلك تعقيدات وتأتيك رسائل من كل شحاذي البلد وغير ذلك... يمكنها أن تذهب وتعيش مع روديريك العجوز، ولكن ذلك لن يكون ممتعاً بالنسبة لفتاة، فهو يوشك أن يكون أصم بقدر ما هو أعمى، وهو أناني جداً. وبالمناسبة، ما الذي حدث لأوراقه المفقودة، وللفتاة، ومسألة كيو غاردنز؟

قالت نورما: لقد ظهر أن الأوراق كانت في مكان ظنّ أنه بحث فيه من قبل... وقد وجدتها سونيا. وسيتزوج الخال روديريك وسونيا في الأسبوع القادم.

قال ستيلنغفليت: ما من مغفلٍ كمغفلٍ عجوز!

قال بوارو: آها! فالفتاة إذن تفضل العيش في إنكلترا بدل التورط في السياسة. ربما كانت ذكية، تلك الفتاة.

قالت السيدة أوليفر وكأنها تنهي ذلك الموضوع: حسناً، لتفعل ما تشاء. ولكن عودةً إلى موضوع نورما، يجب على المرء أن يكون عملياً. يجب عليه أن يضع خططاً. لا يمكن للفتاة أن تعرف وحدَها ما ينبغي عليها عمله. إنها تنتظر أحداً ليخبرها.

ثم نظرت إليهما بغضب.

لم يقل بوارو شيئاً، بل اكتفى بالابتسام.

قال الدكتور ستيلنغفليت: آه، يخبرها؟ حسناً، أنا سأخبرك يا نورما. إنني سأسافر إلى أستراليا بعد أسبوع، وأريد أن أبحث هناك في البداية... لأرى إن كان ما تم ترتيبه لي سينجح. وعندها يمكن أن أُبرق لك بحيث تنضمين إليّ، وعندها نتزوج. وسيكون عليك أن تثقي بكلامي إذا قلتُ إن ما أريده ليس مالك. إنني لستُ واحداً من أولئك الأطباء الذين يرغبون بتمويل مؤسسات بحث كبرى وغير ذلك... أنا مهتم بالناس أشخاصاً وبشراً ليس غير.

وقفت نورما ساكتة جامدة. نظرت إلى جون ستيلنغفليت بكل إمعان كما لو كانت تفكر بشيء عرفته من زاوية مختلفة تماماً. ثم ابتسمت، وكانت ابتسامة جميلة جداً... كمربية أطفال سعيدة شابة. قالت: حسناً، لا بأس.

ثم عبرت الغرفة إلى بوارو وقالت: أنا أيضاً كنتُ وقحة يوم أتيتُ إلى هنا وأنت تتناول إفطارك. قلتُ لك إنك أكبر سناً من أن

تساعدني. وكانت تلك عبارة وقحة، ولم تكن صحيحة...

ثم قالت لستيلنغفليت: من الأفضل أن تُحضر لنا سيارة أجرة.

أومأ الدكتور ستيلنغفليت برأسه وغادر الغرفة. جمعت السيدة أوليفر حقيبتها ودثار الفرو الذي تضعه على كتفها، وارتدت نورما معطفها وتبعتها إلى الباب.

نادى بوارو: سيدتي، لحظة صغيرة...

التفتت السيدة أوليفر لتجد بوارو وقد جمع من ثنايا الأريكة قبضة كبيرة من الشعر الأشيب. هتفت بغيظ: "هذا ككل شيء يصنعونه هذه الأيام، ليس جيداً على الإطلاق! أعني دبابيس الشعر. فهي تنزلق وتترك كل شيء يتساقط!". ثم خرجت وهي عابسة.

بعد بضع لحظات عادت فأطلّت برأسها من الباب ثانية وقالت بهمسة تآمرية: قل لي... هل أرسلتَ هذه الفتاة إلى هذا الطبيب بعينه عامداً؟

- بالطبع. إن مؤهلاته...

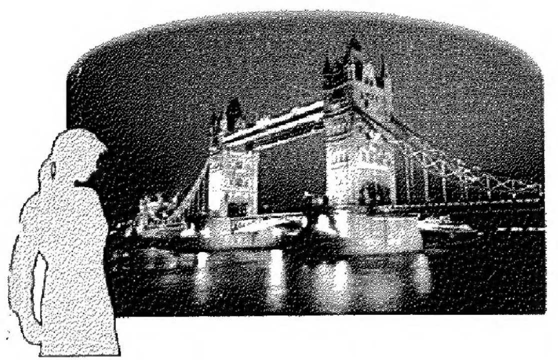
- دعك من مؤهلاته. أنت تعرف ما أعنيه، أعني هو وهي... هل أرسلتَها إليه عامداً؟

- إن كان لا بد أن تعرفي فنعم.

- لقد ظننتُ ذلك. إنك لا تكاد تُغفل شيئاً، أليس كذلك؟

* * *

Agatha Christie



Third Girl

الفَتَاة الثّالِثَة

ثلاثُ فتيات يشتركنَ في السّكَن في شقة صغيرة في لندن. الأولى تعمل سكرتيرة، والثانية تشتغل بالرسم، أما الثالثة (التي جاءت إلى بوارو طلباً للمساعدة) فقد اختفت وهي تظنّ نفسَها قاتلة!

بعد ذلك يسمع بوارو إشاعات عن مسدّسات وسكاكين ودماء... ولكنْ لا أدلّة ولا آثار محسوسة.

والآن على بوارو أن يقرّر: هل الفتاة مجرمة، أم بريئة، أم مجنونة؟



هيركيول بوارو





رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتبَر أعظم مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَن كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجِمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبع منها ألفَيْ مليون نسخة!

رقم هذه الرواية حسب صدور الروايات بالإنـ

الناشر وصاحبـ
بالطبعة العربية في



الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

ISBN 2-1957-2581-4



9782195725814

توزيع دار الأفق
٦ ش حسين فهمى من عباس العقاد
ت : ٢٧٢٥٣٣٥ موبايل : ٠١٢/١٠٣٣١٦٠